المعجم الموضوعى

لمعانى

الآيات القرآنية

تحقيق

أ . د / حمزة النشرتى

الشيخ/ عبد الحفيظ فرغلى

أ . د / عبد الحميد مصطفى

المجلد الرابع

المعجم الموضوعى

لمعانى

الآيات القرآنية

تحقيق

أ . د / حمزة النشرتى

الشيخ/ عبد الحفيظ فرغلى

أ . د / عبد الحميد مصطفى

المجلد الرابع

الآخرة خير من الدنيا

ورد ذلك

* في قوله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (14) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران : ١٤ ، ١٥]

المقنطرة : المجمعة

الخيل المسومة : الخيل الحسان

الحرث : الزرع

حسن المآب : حسن المرجع .

أزواج مطهرة : من الحيض والنفاس .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾

[آل عمران : ١٤، ١٥]

متاع الغرور : متاع الباطل ، يتمتع به قليلا ثم يفنى ويزول .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ [النساء : ٧٧]

سبب النزول

نزلت هذه الآية في نفر من الصحابة كانوا في مكة يلقون من المشركين أذى كثيرا ، وكانوا يطلبون من النبي ﷺ أن يأذن لهم في القتال ، فيقول لهم : لم أؤمر بذلك بعد ، فلما هاجروا وجاء الأمر بالقتال كرهوا ذلك وشق عليهم ..

ـ لباب النقول ـ

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٢]

اللعب : هو ما لا يحقق نفعا ولا يدفع ضرا .

اللهو : هو ما يشغل عما يفيد وعما هو صالح .

أفلا تعقلون : استفهام يفيد التوبيخ لهؤلاء الذين يفضلون الدنيا على الآخرة .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٣) إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ

قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس : ٢٣ ، ٢٤]

تشير الآيتان إلى أن الدنيا متاعها قليل ، وأن الذين يبغون فى الدنيا مصيرهم إلى الله فى الآخرة فيحاسبهم على بغيهم ، وأن الدنيا مهما زهرت وأعطت زخرفها فإن مصير ذلك كله إلى الزوال . فالدنيا فانية والآخرة باقية .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ ﴾ [الرعد : ٢٦]

يبسط : يوسع - يقدر : يضيق - متاع : متعة قليلة سرعان ما تزول .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً ﴾ [الإسراء : ١٨ ، ١٩]

* وفى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً (٧) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً ﴾ [الكهف : ٧ ، ٨]

تشير الآيتان إلى أن الدنيا دار فانية مزينة بزينة زائلة ، وهى دار اختبار لا دار قرار ومصيرها إلى الخراب والفناء .

الصعيد الجزر : هو الخراب الذى لا نبات فيه ولا عمران .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ

فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾ [الكهف : ٤٥ ، ٤٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [القصص : ٦٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ [القصص : ٦١]

تقول الآية :

أنجعل من اتقى وأحسن العمل وأعد الله له في الآخرة ثوابا عظيما ينتظره في الجنة كمن أعطيناه في الدنيا متاعا قليلا سرعان ما يفنى ، ثم هو يوم القيامة مصيره جهنم ؟

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص : ٧٧]

يقول قوم قارون له : اطلب بما أعطاك الله من نعيم الدنيا ثواب الآخرة ، وأحسن إلى الفقراء والمساكين ، واترك الفساد في الأرض .. لأن الله لا يحب المفسدين .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ

وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾

[القصص : ٧٩ - ٨٠]

الذين أوتوا العلم وهم أهل الإيمان يفضلون الآخرة على الدنيا .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص : ٨٣]

الجنة وما فيها من نعيم لا يستحقها إلا من تواضع لله ولم يتكبر على أحد من خلقه ، ولم يسع فى الأرض فسادا ، والمصير المحمود لمن خاف الله واتقاه .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦٤]

الحيوان : الحياة الحقيقية التي يسعد المؤمن فيها سعادة خالدة .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ ... إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ ﴾ [لقمان : ٣٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ [غافر : ٣٩]

المتحدث فى الآية مؤمن آل فرعون ينصح قومه أن يؤمنوا بموسى عليه السلام وأن يستعدوا للآخرة لأنها هى الحياة الحقيقية الخالدة .

* وفي قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى : ٢٠]

الحرث : الكسب والثواب .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الشورى : ٣٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف : ٣٢]

رفعنا بعضهم فوق بعض درجات : جعلنا بعضهم فقراء وبعضهم أغنياء

يتخذ بعضهم بعضا سخريا : يسخر الناس بعضهم بعضا فى الاعمال .

رحمة ربك : الجنة .

خير مما يجمعون : خير من متاع الدنيا والتكالب عليها .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف : ٣٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴾ [محمد : ٣٦]

شأن الحياة الدنيا لعب ولهو ومتاع فان زائل ، ولكن من آمن واتقي فقد أعد الله له ثوابا عظيما باقيا لا يفنى .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [الحديد : ٢٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [الجمعة : ١١]

هذه الآية نزلت في شأن جماعة المصلين الذين كانوا يصلون الجمعة خلف النبي ﷺ وسمعوا بقافلة قادمة ، يتقدمها الطبل والزمر فتركوا النبي ﷺ قائما يخطب وخرجوا مسرعين يتلقون العير ..

روى الحافظ أبو يعلى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : بينما النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة قدمت عير إلى المدينة فابتدرها أصحاب رسول الله ﷺ، حتى لم يبق مع رسول الله ﷺ إلا اثنا عشر رجلا ، فقال رسول الله ﷺ : «والذى نفسي بيده لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادى ناراً» ونزلت الآية ..

وكان في الذين ثبتوا أبو بكر وعمر رضى الله عنهما .

- رواه الشيخان . لباب النقول -

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴾

[القيامة : ٢٠ ، ٢١]

العاجلة : الدنيا .

تذرون : تتركون ، أى تتركون العمل للآخرة

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ [الإنسان : ٢٧]

هؤلاء : أى الكفار .

اليوم الثقيل : يوم القيامة .. تركوا الاستعداد له بالعمل الصالح .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات : ٣٧ ـ ٤١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾

[الأعلى : ١٦ ، ١٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴾ [الفجر : ١٩ ـ ٢٣]

تشير الآيات إلى أن الذين يحبون المال ويؤثرونه على العمل الصالح يندمون

على ذلك ندما شديدا حين تقوم الساعة ، ويدركون بعد فوات الأوان أن سعيهم كان فى باطل وأن العمل للآخرة كان أفضل من التكالب على الدنيا .

* * *

الآخرة خير من المال والأولاد

وردت الإشارة إلى ذلك

* فى قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧) وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾ [الأنفال : ٢٨]

سبب النزول

قيل : نزلت فى أبى لبابة بن عبد المنذر ، سأله بنو قريظة يوم قريظة ما هذا الأمر ؟ فأشار إلى حلقه ، يعنى الذبح . ثم أدرك أنه خان الله ورسوله ، فربط نفسه إلى سارية المسجد وأقسم ألا يحله إلا رسول الله ﷺ . فلما نزلت توبته انخلع من ماله كله ، فقال له النبى ﷺ : يكفيك الثلث

ـ تفسير ابن كثير ـ ولباب النقول ـ

حديث حول الآية الثانية

جاء فى الصحيح عن رسول الله ﷺ « **ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ، ومن كان أن يلقى فى النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه** »

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ **سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ**

بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [الفتح : ١١]

المخلفون من الأعراب : هم الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في الحديبية . قالوا شغلتنا أموالنا وأهلونا عن الخروج معك آثروا المكث في المال والولد على الخروج في صحبة رسول الله ﷺ إلى الجهاد .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المنافقون : ٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾

[التغابن : ١٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴾

[القلم : ١٠ ـ ١٤]

سبب النزول

قيل : نزلت في الأسود بن عبد يغوث ، وقيل : نزلت في الأخنس بن شريق، وقيل : في الوليد بن المغيرة .

مهين : حقير ـ هماز : مغتاب ـ مشاء بنميم : ساع بالنميمة بين الناس.

مناع للخير : بخيل ، ويمنع غيره عن فعل الخير ـ أثيم : كثير الإثم

عتل : جاف غليظ ـ زنيم : دعي ـ منسوب إلى غير أبيه .

لقد فتن هذا الرجل ماله وولده عن الالتفات للحق ، والإيمان بالله ورسوله ﷺ ، وتاه بنفسه وولده كبرا فوصمه الله بوصمة كانت هي القارعة بالنسبة له، وعبرة لأمثاله .

أهوال يوم القيامة

جاءت الإشارة إلى ذلك

* في قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة : ٤٨]

لا تجزىء نفس عن نفس : لا تغني نفس عن نفس .

لا يؤخذ منها : لا يقبل منها فدية .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة : ١٢٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥٤]

لا بيع فيه : ليس في يوم القيامة بيع ولا شراء حتى يمكنكم أن تشتروا أنفسكم من العذاب .

ولا خلة : ولا صداقة هناك تفيد ، لأن الكل مشغول بنفسه .

ولا شفاعة : لا أحد يشفع لأحد ، ولا شفاعة إلا بإذن الله ولمن ارتضى .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ

الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ [النساء : ٤٢]

تسوى بهم الأرض : يدفنون فى الأرض ، أو يصيرون ترابا

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣٦]

* وفى قوله تعالى : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [المائدة : ١١٩]

هذا اليوم يفوز فيه الصادقون لأن صدقهم ينجيهم . أما الكفار الضالون الكاذبون فلا يجدون شيئا ينفعهم وينجيهم من أعمالهم .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) مَن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ [الأنعام : ١٥ ، ١٦]

* وفى قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأعراف : ٥٣]

ينظرون تأويله : أى تأويل ما وعدوا به من العذاب والنكال .

يوم يأتى تأويله : يوم يأتى يوم القيامة .

هل لنا من شفعاء ؟ الاستفهام يفيد التمنى ، ولكنه تمن لا يمكن تحقيقه
ضل عنهم ما كانوا يفترون : ذهب عنهم ما كانوا يعبدون من دون الله .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [يونس : ٥٤]

أسروا الندامة : أخفوا الندامة . ـ بالقسط : بالعدل

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾
[هود : ١٠٥ ، ١٠٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣) وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾
[إبراهيم : ٤٢ ، ٤٤]

تشخص فيه الأبصار : ترتفع فلا تقر فى أماكنها خوفا ورعبا .

مهطعين : مسرعين إلى الداعى .

مقنعى رءوسهم : رافعى رءوسهم إلى السماء .

لا يرتد إليهم طرفهم : لا ترجع إليهم أبصارهم بل تظل مفتوحة شاخصة دائما .

أفئدتهم هواء : قلوبهم خالية من العقل والفهم من شدة الخوف والهلع .

أقسمتم ما لكم من زوال : أقسمتم ما لكم من بعث ، وأنكم ملازمون الدنيا لا تفارقونها .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ [إبراهيم : ٤٥ - ٥٠]

مقرنين : مقرون بعضهم إلى بعض .

الأصفاد : القيود . - سرابيلهم : ثيابهم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٣٧) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٣٨) وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾

[مريم : ٣٧ ، ٣٩]

الأحزاب : أهل الكتاب من اليهود والنصارى . اختلفوا في شأن عيسى عليه السلام .

أسمع بهم وأبصر : أسلوب تعجب ، يعنى ما أقوى سمعهم وبصرهم حين يعاينون يوم المشهد العظيم وهو يوم القيامة .. يدركون تماما حقيقة الأمر ، على عكس ما كانوا عليه فى الدنيا من غفلة عن حقيقة هذا اليوم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ

كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٩٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج : ١ ، ٢]

تذهل كل مرضعة : تغفل المرضعة عن إرضاع ولدها وتنزع ثديها من فمه .

نكتة بلاغية :

المرضعة لا تطلق إلا على المرأة التى تلقم ثديها الطفل ، أما فى غير هذه الحالة فيقال لها مرضع بدون تاء . ولذلك كان لوجود التاء فى الكلمة نكتة بلاغية تشير إلى أن الام وهى فى حالة حنوها الشديد على طفلها حين تضمه إلى صدرها وتضع يديها فى فمه لترضعه تذهل عنه فزعا حين تقوم الساعة ، مع انه لا يمكن أن تذهل عنه بأى سبب كان ولو احاطت بها المخاوف من كل جانب . لكن هول الساعة يخرج المرضعة عن شعورها وينسيها طفلها الذى تفديه بحياتها .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ [الحج : ٥٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ [النور : ٣٧]

تتقلب القلوب : تضطرب من شدة الفزع .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلاً (٢٥) الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْماً عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيراً (٢٦) وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً ﴾

[الفرقان : ٢٥ ، ٢٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴾

[الشعراء : ٨٧ ، ٨٨]

هذا من دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ (٤٣) مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ [الروم : ٤٣ ، ٤٤]

أقم وجهك : اتجه دائما إلى هذا الدين القيم وهو الإسلام .

يوم لا مرد له : هو يوم القيامة .

يصدعون : يتفرقون بعد الحساب إلى الجنة أو إلى النار .

يمهدون : يوطئون ويقدمون المهاد الطيب .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٥٦) فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يَنفَعُ الَّذِينَ

ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ [الروم : ٥٦ ، ٥٧]

لا ينفع معذرتهم : لا يقبل لهم عذر .

لا يستعتبون : لا يطلب منهم إرضاء الله تعالى .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ [لقمان : ٣٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ [سبأ : ٤٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر : ١٨]

الحناجر : الحلوق جمع حنجرة ، والقلوب لدى الحناجر كناية عن شدة الخوف والهلع .

كاظمين : ممتلئين غما وهلعا .

حميم : صديق محب .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [غافر : ٣٣]

مدبرين : هاربين : ـ عاصم : مانع وحافظ .

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ [غافر : ٥٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف : ٦٦ ، ٦٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ [الدخان : ١٦]

وفي التعبير بالبطشة دلالة على هول هذا اليوم « إن بطش ربك لشديد » .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾

[الدخان : ٤١]

المولى : القريب والنصير .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

[الجاثية : ٢٧ ، ٢٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ

حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَزِيدٍ ﴾ [ق : ٢٠ ـ ٣٠]

ترسم الآيات صورة رهبية ليوم القيامة ، حين تساق كل نفس ومعها ملكان أحدهما يسوقها إلى المحشر ، والثاني يشهد على أعمالها ، ويقال له : لقد كنت غافلا عن ذلك اليوم علي الرغم من إنذار الرسل لك ، وقد كشف الحجاب عن العيون والقلوب والأسماع الذى كان يحول بينها وبين الاقتناع بما يسمعون من حجج وبراهين . فأصبح البصر قويا نافذا يرى ما كان محجوبا .

ويقول الملك الموكل به : هذا هو كتابه الذى سجلت فيه أعماله مهيأ حاضر ويقال للملكين اقذفا هذا المعاند فى جهنم واقذفا معه كل معاند مناع للخير ، ويحاول قرينه من الشياطين أن يتملص من تهمة الإغواء فيقول : ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد ، فيقول الله تعالى : لا تختصموا عندى فما ينفع الخصام والجدال الآن وقد أنذرتكم علي لسان رسلى ، إنه لا يبدل القول عندى، ولست بظلام للعبيد . وتتخطف جهنم أصحابها حتى يقال لها : هل امتلأت ؟ فتقول : هل من مزيد ؟

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الممتحنة : ٤٣]

الأرحام : القرابة ـ يفصل بينكم : يحول بينكم ويفرق بينكم . .

تشير الآية إلى عدم فائدة القرابة والأولاد يوم القيامة فإنهم لن يغنوا عن أقربائهم أو آبائهم شيئا ، فلا يصح أن يوالى المؤمن أحدا من أقربائه الكافرين

مهما كانت درجة قرابته ، وسيكون هناك فاصل كبير بين المؤمنين والكافرين .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾ [القلم : ٤٢ ، ٤٣]

يكشف عن ساق : كناية عن الفزع والشدة .

خاشعة أبصارهم : ذليلة منكسرة .

ترهقهم ذلة : تغشاهم وتغطيهم ذلة وحسرة .

تشير الآيتان إلى أنه يطلب من الكفار يوم القيامة السجود فلا يستطيعون السجود لأن ظهورهم تصبح طبقا واحدا ، لا يقدر صاحبه على الإنحناء .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩) وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠) يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ (١٤) كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى ﴾ [المعارج : ٨ - ١٥]

المهل : الرصاص المذاب .

العهن : الصوف .

يبصرونهم : يُعرَّف كل صديق بصديقه ، فلا يلتفت إليه لشدة الهول .

لظى : جهنم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾

[المعارج : ٤٣ ، ٤٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴾ [المزمل]

الولدان : الأطفال الصغار ، يشيبون من شدة الهول .

منفطرة : تتشقق السماء يوم القيامة .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾

[القيامة : ١٠ - ١٢]

الإنسان : المقصود الإنسان الكافر .

لا وزر : لا ملجأ ولا حصن يتحصن به من العذاب .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴾ [المرسلات : ٢٩ ، ٣٩]

ظل ذي ثلاث شعب : لهب النار إذا ارتفع يكون له من شدته ثلاث شعب .

ترمى بشرر كالقصر : يتطاير الشر فيرتفع كأنه قصر فى الارتفاع .

كأنه جمالة صفر : يشبه الشرر الجمال فى صفرتها .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [النبأ : ٤٠]

يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا : حين يحكم الله بين الحيوانات ، حتى إنه يقتص للشاة الجماء من القرناء ، وإذا فرغ قال لها : كونى ترابا ، فتصير ترابا ، عند ذلك يتمنى الكافر أن يكون ترابا .. - تفسير ابن كثير -

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ [النازعات : ٦ - ٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ﴾ [النازعات : ٣٤ ، ٣٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ [عبس : ٣٤ ، ٤٢]

صاحبته : زوجته .

مسفرة : مشرقة مضيئة وهي وجوه المؤمنين الموعودين بالجنة .

غبرة : سواد .

ترهقها قترة : تغطيها ظلمة وذلة

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾

[الانفطار : ١٧ - ١٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ ﴾

[الطارق : ٩ ، ١٠]

تبلى السرائر : تنكشف الخبايا التي في الضمائر والقلوب .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾

[الفجر : ٢١ - ٢٦]

حول مجيء جهنم

روى الإمام مسلم في صحيحه عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « **يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها** »

أني له الذكرى : كيف تنفعه الذكرى يومئذ .

لا يعذب عذابه أحد : بيان لأن عذاب الله للكفار لا يمكن أن يشبهه عذاب أحد من الخلق .

ولا يوثق وثاقه أحد : وبيان بأن القبض على الكفار وتقييدهم بالغ القوة والإحكام لا يمكن أن يفلت كافر منه .

من أوصاف عذاب الآخرة

* في قوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾ [الأنعام : ١٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ **وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ** ﴾ [هود : ٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ** ﴾ [هود : ١٠٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ **فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾ [مريم : ٣٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ **وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ** ﴾ [الحج : ٥٥]

يوم عقيم : لأنه لا يجيء يوم بعده .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الشعراء : ١٣٥]

هذه الآية وردت علي لسان هود يحذر قومه عذاب يوم القيامة .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ① لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ② خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾ [الواقعة : ١ - ٣]

تشير الآيات إلى ان القيامة حين تجيء لا يكون لوقوعها تكذيب ، وهي تخفض من شان الكفار ، وترفع من شان المؤمنين .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ⑨ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ [المدثر : ٩ ، ١٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ [الإنسان : ٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾

[الإنسان : ١٠]

عبوساً : تعيسا ضيقا .

قمطريرا : طويلا مع شدة البلاء والهول .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ [الإنسان : ٢٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [المطففين : ٤ - ٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾ [القارعة : ٤ ، ٥]

المبثوث : المنتشر . ـ العهن : الصوف .

* * *

لا أنساب في الآخرة

* في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠١]

تشير الآية إلي أن الانساب لا تنفع يوم القيامة ، فإن التفاضل يومئذ لا يكون بالحسب والنسب ولكنه بالتقوى ، قال تعالى : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .

وهذا اليوم يوم يفر فيه المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا

وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ [لقمان : ٣٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الممتحنة : ٣]

أى أن قراباتكم لا تنفعكم عند الله إذا أراد بكم سوءا ، ونفعهم لا يصل إليكم إذا أرضيتموهم بما يسخط الله تعالى .

* * *

الأعضاء تشهد على أصحابها يوم القيامة

* فى قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النور : ٢٤]

حديث شريف

روى ابن أبي حاتم وابن جرير عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« إذا كان يوم القيامة عُرِّف الكافر بعمله فيجحد ويخاصم ، فيقال لهم: احلفوا ، ثم يصمهم الله ، فتشهد عليهم أيديهم وألسنتهم ، ثم يدخلهم النار » رواه مسلم بلفظ مقارب .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [يس : ٦٥]

* وفى قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ

وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

[فصلت : ٢٠ ـ ٢٣]

إذا ما جاءوها : الضمير هام يعود إلى جهنم التى يساق إليها المجرمون .

وهو خلقكم : تقول الأعضاء : أنطقنا الله الذى خلقكم ، فلا نستطيع مخالفته .

ما كنتم تسترون : تقول الاعضاء : إنكم كنتم لا تكتمون منا الذي كنتم تفعلونه ، بل كنتم تجاهرون بالكفر والمعاصى ، لانكم لا تعتقدون أن الله يعلم الذى تفعلون .

ذلكم ظنكم أرداكم : تقول الأعضاء : وهذا الظن هو الذي أتلفكم وأرداكم وجعلكم من الخاسرين .

* * *

سبب نزول الآيات

أخرج الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمر قال : كنت مستترا بأستار الكعبة ، فجاء ثلاثة نفر ، قرشي وختناه ثقفيان ـ أو ثقفي وختناه قرشيان ـ كثير شحم بطونهم ، قليل فقه قلوبهم ، فتكلموا بكلام لم أسمعه ، ثم قال أحدهم : أترى الله يسمع كلا منا هذا ؟ فقال الآخر : إنا إذا رفعنا أصواتنا سمعه وإذا لم نرفعه لم يسمعه ، فقال الآخر : إن سمع منه شيئا سمعه كله . قال : فذكرت ذلك للنبى ﷺ ، فأنزل الله ـ عز وجل ـ « وما كنتم تستترون ... إلي قوله : الخاسرين » .

* * *

تفسير آخر للظن

قال بعض العلماء : الظن في الآية هو الظن السيء فى الله تعالى . ورووا فى ذلك الحديث الآتى : عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « لا يموتن أحد منكم إلا وهو يحسن الظن فإن قوما قد أرداهم سوء ظنهم بالله ، فقال الله تعالى « ذلكم ظنكم الذى كنتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين » - تفسير ابن كثير -

* * *

الجزاء

أولا الجنة

صفات جنة الآخرة

ورد ذلك

* فى قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥]

* وفى قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران : ١٥]

أزواج مطهرة : أى مطهرات من الدنس والحيض والنفاس .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣]

عرضها السموات والأرض : هذا تنبيه إلى اتساع طول الجنة ، لأنه إذا كان العرض هكذا فما بال الطول ؟ والمعروف أن الطول أوسع من العرض .

حديث

روى الإمام أحمد في مسنده : أن هرقل كتب إلى النبي ﷺ ، إنك دعوتني إلى جنة عرضها السموات والأرض ، فأين النار ؟ فقال النبي ﷺ : « **سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار ؟** » - تفسير ابن كثير -

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ **أُولَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٣٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ **فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ** ﴾ [آل عمران : ١٩٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ **لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ** ﴾

[آل عمران : ١٩٨]

النزل : ما يقرى به الضيف .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [النساء : ١٣]

تلك : اسم الإشارة يعود علي الفرائض والمقادير التي جعلها الله للورثة من مورثهم .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ [النساء : ٥٧]

ظلا ظليلا : ظلا عميقا طيبا أنيقا .

حديث

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « إن في الجنة الشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ـ شجرة الخلد »

رواه ابن جرير عن شعبة .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء : ١٢٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة : ١٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة : ٨٥]

* وفى قوله تعالى : ﴿ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة : ١١٩]

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ٧٢]

* وفى قوله تعالى : ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ٨٩]

الضمير فى (لهم) يعود إلى النبى ﷺ والذين آمنوا وجاهدوا معه .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠]

* وفى قوله تعالى : ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾ [الرعد : ٣٥]

أكلها دائم : أى ما فيها من المطاعم والفواكه لا ينقطع ابدا ولا يفنى .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ ﴾ [إبراهيم : ٢٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ (٤٧) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر : ٤٥ ، ٤٨]

بسلام : اي سالمين من الآفات .

آمنين : من كل خوف وفزع .

غل : حقد وضغينة - لا يمسهم فيها نصب : لا ينالهم مشقة وأذى .

حديث : عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «يخلص المؤمنون من النار ، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار ، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة - رواه البخارى -

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴾ [النحل : ٣١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف : ٣١]

جنات عدن : جنات إقامة دائمة - سندس : مارق من الديباج

استبرق : ما غلظ منه . - الارائك : جمع أريكة ، وهى بيت يزين بالستور للعروس .

مرتفقا : مستقرا .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ (٧٥) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [طه : ٧٥ ، ٧٦]

تزكى : تطهر من الذنوب .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [الحج : ١٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٢٣) وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾

[الحج : ٢٣ ، ٢٤]

حديث شريف

جاء في الحديث المتفق عليه أن النبي ﷺ قال : « **تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء** » .

وجاء في الحديث الصحيح : « **لا تلبسوا الحرير ولا الديباج في الدنيا فإن من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة** » - تفسير ابن كثير -

هدوا إلى الطيب من القول : هو قولهم : لا إله إلا الله .

هدوا إلى الصراط الحميد : هو هدايتهم إلى الطريق المحمود وهو دين الإسلام .

* * *

سبب نزول الآية

أخرج ابن أبى شيبة فى المصنف وابن جرير وابن أبى حاتم عن خيثمة قال : قيل للنبي ﷺ : إن شئت أعطيناك مفاتيح الأرض وخزائنها لا ينقصك ذلك عندنا شيئا فى الآخرة ، وإن شئت جمعتهما لك فى الآخرة . قال : بل اجمعهما لى فى الآخرة . فنزلت الآية . ـ لباب النقول ـ

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ** ﴾ [الروم : ١٥]

الروضة : الجنة

يحبرون : يسعدون ويُسرون



* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (٨) خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [لقمان : ٨ ، ٩]

* وفى قوله تعالى : ﴿ **جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ** ﴾ [فاطر : ٣٣ ، ٣٥]

الحزن : كل ما يحزن ويغم . ـ دار المقامة : دار الخلود وهى الجنة .

نصب : تعب ومشقة . ـ لغوب : إعياء من التعب .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ (٤١) فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ (٤٢) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٤٣) عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَعِينٍ (٤٥) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (٤٦) لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ (٤٧) وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾ [الصافات : ٤٠ - ٤٩]

كأس من معين : كأس من خمر جارية على وجه الأرض كالعيون والأنهار

بيضاء : أشد بياضا من اللبن

غول : ذهاب للعقل كما تفعل خمر الدنيا .

ينزفون : يسكرون

قاصرات الطرف : نساء يقصرن أنظارهن على أزواجهن لا يتطلعن إلى غيره .

عين : جمع عيناء وهى واسعة العينين حسنتهما .

كأنهن بيض : كأنهن في صفاء اللون بَيْض النعام المستور بالريش من الغبار والريح .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩) جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ ﴾ [ص : ٤٩ ، ٥٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴾ [الزمر : ٢٠]

الغرف : هى درجات الجنة .

* * *

حديث شريط

روى الإمام أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« إن أهل الجنة ليتراءون فى الجنة أهل الغرف كما تراءون الكوكب الدري الغارب فى الأفق الطالع فى تفاضل أهل الدرجات ، فقالوا : يا رسول الله أولئك النبيون ؟ فقال ﷺ : بلي والذى نفسي بيده ، وأقوام آمنوا بالله وصدقوا الرسل »** .

حديث فى وصف الجنة

وروى الإمام أحمد أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قلنا : يا رسول الله ، إنا إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة ، فإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا ، وشممنا النساء ، والأولاد . فقال ﷺ : **« لو أنكم تكونون على كل حال على الحال التى أنتم عليها عندى لصافحتكم الملائكة بأكفهم ، ولزارتكم فى بيوتكم ، ولو لم تذنبوا لجاء الله - عز وجل - بقوم يذنبون كي يغفر لهم »** قلنا : يا رسول الله ، حدثنا عن الجنة ما بناؤها ؟ قال ﷺ : **« لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، وملاطها المسك الأذفر ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران ، من يدخلها ينعم ولا ييأس ، ويخلد ولا يموت ، لا تبلي ثيابه ، ولا يفنى شبابه ، ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل ، والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام ، وتفتح لها أبواب السموات ، ويقول الرب تبارك وتعالى : وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين »** .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ **وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ** ﴾ [الزمر : ٧٣ ، ٧٤]

زمرا : جماعات ، مفردها زمرة .

فتحت أبوابها : قال أهل العلم : أبواب الجنة ثمانية ، وقد ورد في ذلك حديث شريف رواه سهل بن سعد الساعدي عن النبي ﷺ قال : **« إن في الجنة ثمانية أبواب ، باب منها يسمى الريّان لا يدخله إلا الصائمون »** .

وروى الإمام مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو يسبغ الوضوء ، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها يشاء »** .

* وفي قوله تعالى : ﴿ **... وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ** ﴾ [الشورى : ٢٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ** ﴾ [الزخرف : ٦٩ - ٧٣]

تحبرون : تسعدون وتسرون .

صحاف : أطباق جمع صحفة ، والمراد ما في الأطباق والأكواب من لذائذ الطعام والشراب .

* وفي قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٥) لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ** ﴾ [الدخان : ٥١ ، ٥٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ [محمد : ١٥]

آسن : متغير ، منتن ـ مصفى : منقى من الشوائب

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح : ٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ الفتح : ١٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق : ٣١ ـ ٣٥]

أزلفت : قُرِّبت

أواب : كثير الأوبة أى الرجوع إلى الله .

حفيظ : حافظ للشرائع مُطبقٌ لها

منيب : سليم مقبل على طاعة الله .

ولدنيا مزيد : المزيد هو النظر إلى وجه الله تعالى .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ (٢٠) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١) وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (٢٣) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾

[الطور : ١٧ - ٢٤]

فاكهين : متنعمين		- ما ألتناهم : ما أنقصناهم

يتنازعون : يتجاذبون في مرح وسرور

لا لغو فيها ولا تأثيم : ليس فيها باطل أو إثم

غلمان : خدم مخصوصون بهم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر : ٥٤ ، ٥٥]

نَهَر : أنهار

مقعد صدق : مكان مرضي كريم لا لغو فيه ولا تأثيم .

عند مليك : في جوار الله تعالى ملك الملوك .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَامَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴾

[الرحمن : ٤٦ ، ٧٨]

ذواتا أفنان : أغصان ، أو أنواع من الثمار - وأفنان جمع فَنَن أى غصن .

زوجان : صنفان ، صنف معروف وصنف غريب .

إستبرق : غليظ الديباج

جنى الجنتين : أى ما يجنى منهما من ثمر .

دان : قريب لمن يتناوله .

قاصرات الطرف : قصرن الطرف على أزواجهن .

لم يطمثهن : لم يفضض بكارتهن أحد قبل أزواجهن .

مدهامتان : شديدتا الخضرة .

نضاختان : فوارتان بالماء لا تنقطعان .

مقصورات في الخيام : مخدرات في البيوت

رفرف خضر : وسائد ، أو فرش مرتفعه .

عبقرى : بسط ذات خمل رقيق .

تبارك : تعالى وكثر خيره .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾ [الواقعة : ١١ - ٤٠]

ثلة : أمة كثيرة من الناس - سرر موضونة : منسوجة من الذهب بإحكام

أباريق أوان لها خراطيم - كأس : قدح فيه الخمر

لا يصدعون عنها : لا يصيبهم صداع بشربها .

لا ينزفون : لا تذهب عقولهم بالشرب .

حور عين : نساء بيض واسعات العيون حسانها .

اللؤلؤ المكنون : المصون فى أصدافه .

لغوا : كلاما لا خير فيه .

لا تأثيما : ليس فيه إثم ولا موجب فيه للإثم .

سدر : شجر النبق .

مخضو : مقطوع شوكه .

طلح : شجر الموز - منضود : نضد بالحمل من أسفله إلى أعلاه .

مسكوب : مصبوب يجرى فى غير أخاديد .

عربا : متحببات إلى أزواجهن

أترابا : متساويات فى السن والحسن

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [الحديد : ١٢]

* وفى قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التغابن : ٩]

يكفر عنه سيئاته : يمحو خطاياه .

* وفي قوله تعالى : ﴿ رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴾

[الطلاق : ١١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم : ٨]

التوبة النصوح : هي التوبة الصادقة التي يصحبها الندم على الذنب والعزم على عدم العودة إليه .

روى ابن أبي حاتم عن زر بن حبيش قال : قلت لأبي بن كعب : فما التوبة النصوح ؟ فقال : سألت رسول الله ﷺ عن ذلك ، فقال : « **هو الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله بندامتك منه عند الحاضر ثم لا تعود إليه أبدا** » .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة : ٢١ ، ٢٤]

عيشة راضية : عيشة مرضية

جنة عالية : مرتفعة قصورها .

قطوفها دانية : قريبة لمن يتناولها ، حتي إن أحدهم يتناولها وهو نائم على سريره .

أسلفتم : قدمتم

الأيام الخالية : الأيام الماضية في الدنيا

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا ۝١٣ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ۝١٤ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ ۝١٥ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝١٦ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً ۝١٨ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ۝١٩ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝٢٠ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝٢١ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإنسان : ٥ : ٢٢]

كأس : خمر - مزاجها : ما تمزج به

كافورا : ماء الكافور في أحسن أوصافه .

يفجرونها : يجرونها حيث شاءوا - مستطيرا : منتشرا غاية الانتشار .

عبوسا : تكلح فيه الوجوه لهوله - قمطريرا : شديد العبوس .

نضرة : حسنا وبهجة في الوجوه - الأرائك : السُّرر فى الحجال .

زمهريرا : بردا شديدا - دانية عليهم ظلالها : قريبة منهم .

ذللت قطوفها : قُرِّبَتْ ثمارها - أكواب : أقداح ليس لها عروة

قوارير : كالزجاجات في الصفاء - قدورها : جعلوا شرابها على قدر الرِّى.

زنجبيلا : ماء كالزنجبيل فى أحسن أوصافه

تسمى سلسبيلا : توصف بغاية السلاسة والانسياغ .

لؤلؤا منثورا : متفرقا غير منظوم - سندس : ديباج رقيق .

استبرق : ديباج غليظ - بكرة وأصيلا : أول النهار وآخره .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا (٣٥) جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴾ [النبأ : ٣١ ، ٣٦]

مفازا : فوزا وظفرا .

كواعب : جمع كاعب وهى الفتاة الناهدة .

أترابا : مستويات فى السن والحسن .

كأسا دهاقا : مترعة مليئة .

لغوا : كلاما غير مفيد .كذابا : تكذيبا .

عطاء حسابا : إحسانا كافيا .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطففون : ٢٢ - ٢٨]

نضرة النعيم : بهجته ورونقه . ـ رحيق : أجود الخمر .

مختوم : أوانيه وأكوابه . ـ فليتنافس : فليتسابق .

مزاجه : ما يمزج به .

تسنيم : عين في الجنة ، شرابها أشرف شراب .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾ [البروج : ١١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ [الغاشية : ١٠ - ١٦]

لاغية : كلمة لغو . ـ أكواب موضوعة : معدة للشرب .

نمارق : وسائد . ـ زرابي : بسط ، ومبثوثة : مفروشة .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ

اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ [البينة : ٧ ، ٨]

البرية : الخليقة		ـ جنات عدن : جنات إقامة .

حديث حول خير البرية

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ألا أخبركم بخير البرية ، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ، كلما كانت هيعة استوى عليه ، ألا أخبركم بخير البرية ؟ قالوا :بلى يا رسول الله ، قال : رجل من ثلة من غنمه يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ، ألا أخبركم بشر البرية ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : الذي يسأل بالله ولا يعطي به »		ـ تفسير ابن كثير ـ

* * *

أسماء الجنة

١ ـ من أسمائها عدن

* في قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ٧٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ [الرعد : ٢٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللهُ الْمُتَّقِينَ ﴾ [النحل : ٣١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ

فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف : ٣١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴾ [مريم : ٦١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [طه : ٧٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [فاطر : ٣٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾ [ص : ٥٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ [الصافات : ٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [الصف : ١٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ [البينة : ٨]

* * *

٢ ـ من أسمائها الفردوس

* في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ

الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴾ [الكهف : ١٠٧]

جنات الفردوس : هي أعلى منازل الجنة .

روى الشيخان في صحيحهما : « **إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ، ومنه تفجر أنهار الجنة** » .

* * *

* وفي قوله تعالى : **﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ⑩ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾** [المؤمنون : ١٠ - ١١]

أولئك هم الوارثون : الذى يرثون منازل الكفار التى كانت لهم فى الجنة ، فقد جاء في الحديث الشريف : « **ما منكم من أحد إلا وله منزلان : منزل فى الجنة ومنزل فى النار ، فإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله** » .

رواه ابن أبى حاتم عن أبى هريرة - رضى الله عنه -

* * *

٣ - ومن أسمائها الغرفة

* فى قوله تعالى : **﴿ أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا ﴾** [الفرقان : ٧٥]

الغرفة : هى الجنة - يلقون : يتلقون .

* * *

* وفى قوله تعالى : **﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾** [العنكبوت : ٥٨]

الغرف : الأماكن العالية فى الجنة - نبوئنهم: ننزلنهم .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾ [سبأ : ٣٧]

زلفى : قربى

جزاء الضعف : أى ثوابا مضاعفا .

الغرفات : الأماكن العالية فى الجنة .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴾ [الزمر : ٢٠]

* * *

٤ ـ من أسمائها جنة الخلد

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴾ [الفرقان : ١٥]

* * *

٥ ـ من أسمائها جنة المأوى

* في قوله تعالى : ﴿ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴾ [النجم : ١٥]

عندها : الضمير يعود على سدرة المنتهى ، فى أعلى مكان فى السماء ،

وفي الصحيح أنها في السماء السادسة ، وجنة المأوى هي التي تأوى إليها أرواح المؤمنين المتقين بعد مفارقتها أجسادها .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات : ٤٠ ، ٤١]

* * *

٦ - ومن أسمائها دار السلام

* في قوله تعالى : ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [يونس : ٢٥]

يدعو إلى دار السلام ، يرغب عباده في دخول الجنة عن طريق إرسال رسله إليهم .

حديث شريف

روى ابن جرير في تفسيره حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : خرج علينا رسول الله ﷺ يوما فقال : « **إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي ، وميكائيل عند رجلي يقول أحدهما لصاحبه : اضرب له مثلا . فقال : اسمع سمعت أذنك ، واعقل عقل قلبك ، إنما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ داراً ثم بني فيها بيتا ثم جعل فيها مأدبة ، ثم بعث رسولا يدعو الناس إلى طعامه ، فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من ترك ، فالله الملك ، والدار الإسلام ، والبيت الجنة ، وأنت يا محمد الرسول من أجابك دخل الإسلام ، ومن دخل الإسلام دخل الجنة ، ومن دخل الجنة أكل منها** » .

٧ ـ ومن أسمائها جنة النعيم

* في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ [المائدة : ٦٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس : ٩]

يهديهم ربهم بإيمانهم : يجعل لهم نورا يمشون به . وقيل : يهديهم الله يوم القيامة على الصراط المستقيم حتى يجوزوه ويخلصوا إلى الجنة .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ [الحج : ٥٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ [الشعراء : ٨٥]

هذا الدعاء جاء على لسان إبراهيم عليه السلام .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴾ [لقمان : ٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ (٤٢) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ [الصافات : ٤٢ ، ٤٣]

وفي قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ [الواقعة : ١١ ـ ١٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ [الواقعة : ٨٨ - ٨٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ [القلم : ٣٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾

[المعارج : ٣٨]

الحديث عن المشركين الذين ينفرون عن دعوة الحق ، ويعرضون عن الإسلام ، والاستفهام يفيد استبعاد دخولهم الجنة فهم لا يستحقونها وحالتهم هذه ...

* * *

٨ - ومن أسمائها دار المقامة

* في قوله تعالى : ﴿ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ [فاطر : ٣٥]

دار المقامة : دار الإقامة وهي الجنة . - النصب : التعب والمشقة .

اللغوب : الإعياء من التعب .

* * *

٩ - ومن أسمائها الحسنى

* في قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى

الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [البقرة : ٤١]

غير أولي الضرر : أصحاب العاهات من زمانة أو عمى ونحوه .

الحسنى : الجنة

حول سبب النزول

روى البخارى عن البراء قال : لما نزلت « لا يستوى القاعدون من المؤمنين » قال النبى ﷺ : ادع فلانا ومعه الدواة واللوح والكتف ، فقال : اكتب : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله » وخلف النبى ﷺ ابن أم مكتوم ، فقال : يا رسول الله ، أنا ضرير ، فنزلت مكانها « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر » ـ لباب النقول ـ

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [يونس : ٢٦]

الحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى الله تعالى .

لا يرهق : لا يغشى .	ـ قتر : سواد

ذلة : كآبة .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [الرعد : ١٨]

استجابوا لربهم : أجابوه بالطاعة .

الحسنى : الجنة ـ ماواهم : مصيرهم وملجؤهم .

المهاد : الفراش .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴾ [النحل : ٦٢]

ما يكرهون : هو نسبة البنات إلي الله وان الملائكة بنات الله .

لا جرم : حقا

مفرطون : متركون فيها أو مقدمون إليها ـ وفي قراءة بكسر الراء : أى متجاوزون الحد .

كان الكفار يقولون عن الملائكة إنهم بنات وأنهن بنات الله ، مع كراهتهم للبنات وأنفتهم ان يكون لهم ذرية من البنات .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ [الكهف : ٨٨]

الآية واردة علي لسان ذى القرنين حين وصل إلى مغرب الشمس .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [الانبياء : ١٠١]

عنها مبعدون : أى مبعدون عن النار .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [فصلت : ٥٠]

تتحدث الآية عن الإنسان الجاحد الذى لا يشكر النعمة وينسى المنعم ، ويكفر بالآخرة ولا يعتقد بقيامها .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد : ١٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الليل : ٥ - ٧]

الحسنى : الجنة ، وقيل : لا إله إلا الله ، واليسرى : الجنة

* * *

١٠ - ومن أسمائها الروضة

* في قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ [الروم : ١٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [الشورى : ٢٢]

١٠ - ومن أسمائها الروضة وروضات الجنة

* في قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ [الروم : ١٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [الشورى : ٢٢]

* * *

١١ - ومن أسمائها طوبي

* في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾ [الرعد : ٢٩]

طوبى : من أسماء الجنة ، وقيل : هى شجرة فى الجنة يسير الراكب فى ظلها مائة عام ما يقطعها .

حسن مآب : مرجع .

إعداد الجنة لأهلها

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ٨٩]

الضمير في لهم يعود على الرسول ﷺ والذين آمنوا معه وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد : ٢١]

* * *

الترغيب في الجنة ومؤهلات استحقاقها

* في قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥]

أتوابه متشابها : أى يشبه ثمر الدنيا في الشكل واللون ، ولكن يخالفه في المذاق والطعم ، أو يشبه بعضه بعضا في الشكل واللون ولكن يخالفه في الرائحة والطعم والمذاق .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ

بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران : ١٥]

ذلكم : اسم الإشارة يعود إلى ما زين للناس في الدنيا من حب الشهوات والنساء والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [يونس : ٢٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف : ٣٠ ، ٣١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ [الكهف : ١٠٧ ، ١٠٨]

لا يبغون : لا يطلبون　　- حولا : متحولا وانتقالا .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴾ [مريم : ٦٠ ، ٦١]

مأتيا : آتيا لا محالة

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾

[مريم : ٦٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾

[الحج : ٢٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون : ١ ـ ١١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ [العنكبوت : ٥٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧ ـ ١٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩) جَنَّاتِ عَدْنٍ

مُفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ (٥٠) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١) وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ (٥٢) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ (٥٣) إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴾ [ص : ٤٩ - ٥٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴾ [الزمر : ٢٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الزخرف : ٦٩ ، ٧٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن : ٤٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد : ٢١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [الصف : ١٠ - ١٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ

أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴾ [النبأ: ٣١ - ٣٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ [الفجر : ٢٧ ، ٣٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ [البينة : ٧ ، ٨]

* * *

ذكر جنة الدنيا فى القرآن

* فى قوله تعالى : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾

[البقرة : ٢٦٦]

هذه الآية إحدى أمثال القرآن الكريم ، وقد ورد ذكرها في (موضوع الامثال فى القرآن) والجنة فى الآية هى الحديقة .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ

وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الانعام : ٩٩]

حبا متراكبا : حبا يركب بعضه بعضا كالسنابل ونحوها .

قنوان : جمع قنو ، وهي عذوق الرطب .

دانية : قريبة ممن يتناولها .

ينعه : نضجه .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الانعام : ١٤١]

المقصود بالجنات الحدائق والبساتين .

معروشات : مبسوطات على الأرض كالبطيخ ، وقيل : محتاجة إلى العريش كالكرم ونحوه .

وغير معروشات : مرتفعة على ساق كالنخل ، وقيل : مستغنية عن العريش باستوائها كالنخل .

أكله : ثمره .

آتوا حقه : زكاته ، وهي زكاة الزروع والثمار .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد : ٤]

قطع متجاورات : ترى أن هناك قطعة من الأرض خصبة ، وقطعة أخرى تجاورها غير خصبة .

جنات : حدائق .

صنوان : من أصل واحد . - غير صنوان : متفرقات .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً ﴾ [الإسراء : ٩١]

هذه إحدى تحديات قريش للنبى ﷺ ، قالوا له : إنا لن نؤمن لك إلا إذا كانت لك حديقة من نخيل وأعناب يتخللها أنهار جارية .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ [الكهف : ٣٢ ، ٣٣]

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (١٨) فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٨ ، ١٩]

بقدر : بمقدار معلوم يحقق الكفاية ولا يسبب الهلاك .

أسكناه : جعلناه مستقرا فى الأرض تكون منه العيون والآبار والأنهار .

جنات : حدائق وبساتين .

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ [الفرقان : ٨]

هذا من تحديات الكفار للنبي ﷺ ، حين طلبوا منه برهانا على نبوته أن يلقى إليه كنز من السماء ، أو يعطيه الله بستانا يأكل من ثمره .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الشعراء : ٥٧]

الحديث في الآية عن فرعون وقومه ، حيث أغرقهم الله في البحر حين كذبوا بآيات الله .

وحرمهم الله من الجنات (الحدائق) التي كانوا يعيشون فيها مترفين في أرض مصر على جانبي النيل .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾

[الشعراء : ١٣٣ ، ١٣٤]

الحديث في الآية عن قوم هود الذين ذكرهم رسولهم هود بنعم الله عليهم حيث أنعم عليهم بالأنعام والبنين والحدائق والبساتين ، فمن حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾

[الشعراء : ١٤٧]

والحديث عن قوم صالح الذين أمدهم الله بالأمن والحدائق والعيون ، ولكنهم جحدوا ولم يؤمنوا .

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ [سبا : ١٥ ، ١٦]

قوم سبأ : ملوك اليمن وأهلها ، كانوا في نعمة عظيمة وعيش رغيد .

أعرضوا : لم يتعظوا بنصح الرسل الذين أرسلهم الله إليهم ، فقد طغوا وبغوا.

سيل العرم : الماء الجارف الذي انساب من السد الذى بنوه لاحتجاز المياه وتصريفها منه حسب حاجتهم ، وقد عاقبهم الله بتحطيم هذا السد فاغرقتهم المياه واقتلعت حدائقهم وبساتينهم ، وابتلوا بالعطش فشُتتوا فى البلاد .

جنتين ذواتى أكل خمط : هلكت جنتاهم المثمرتان ، وبدلهم الله بهما جنتين لهما ثمر مر .

وأثل : شجر طويل لا ثمر له . سدر : نبق .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴾

[يس : ٣٣ ، ٣٤]

من دلائل قدرة الله على إحياء الموتى وبعثهم من قبورهم تلك الأرض المجدبة التى ينزل عليها المطر فيحييها وينبت فيها الحب ، وتنشا الحدائق والبساتين العامرة بالنخيل والأعناب ، وتتفجر منها العيون والآبار وتجرى الأنهار .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الدخان : ٢٥]

الحديث في الآية عن قوم فرعون الذين أغرقهم الله ، وتركوا ما كان يتمتعون به في أرض مصر من حدائق وبساتين وأنهار .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾ [ق : ٩]

جنات : حدائق

حب الحصيد : حقولا تزرع فيها الحبوب التي تحصد كالقمح والشعير والفول وغيرها .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ [القلم : ١٧ ، ١٩]

تشير الآية إلى قصة أصحاب حديقة ورثوها عن أبيهم ، وقرروا أن يحرموا المساكين ثمرها ، وكان المساكين قد تعودوا أن يأخذوا منها نصيبا في حياة أبيهم ، فخرجوا مبكرين قبل أن ينتشر الضوء حتى لا يحس أحد بخروجهم فيتبعهم ، وقد حرمهم الله بسبب نيتهم الخبيثة ثمار حديقتهم حيث أرسل عليها نارا أحرقتها ليلا ..

يصرمنها : يقطعونها ويجتذون ثمارها . ـ مصبحين : داخلين في الصباح .

لا يستثنون : لا ينوون استثناء شيء من ثمارها يعطونه المساكين ، أو لم يقولوا : إن شاء الله .

طاف عليها طائف : نزل بها بلاء محيط .

كالصريم : كالليل فى السواد لاحتراقها .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ⑩ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ⑪ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾

[نوح : ١٠ - ١٢]

القائل هو نوح عليه السلام ، يطلب من قومه استغفار الله من ذنب الشرك ، وسيكون نتيجة ذلك أن يرسل الله عليهم المطر غزيرا ، ويمدهم بالمال والاولاد ، ويجعل لهم حدائق وبساتين وأنهارا جارية .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ⑭ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴾ [النبأ : ١٤ - ١٦]

المعصرات : السحب . - ثجاجا : غزيرا .

جنات الفافا : بساتين ملتفة أغصانها على بعض .

* * *

ثانيا النار - أعاذنا الله منها -

صفات النار

* في قوله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤]

الخطاب فى الآية للمشركين الذين يكذبون بالقرآن وينكرون أنه من عند الله، فتحداهم الله تعالى بأن يأتوا بسورة من مثله وأن يدعوا شهداءهم ليشهدوا لهم.. ثم أخبر القرآن بأنهم لم يفعلوا ولن يفعلوا ثم توعدهم بالنار التى وقودها الناس والحجارة .. أعاذنا الله منها .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴾ [الحجر : ٤٣ ، ٤٤]

أسماء الأبواب

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سبعة أبواب : أولها جهنم ، ثم لظى، ثم الحطمة ، ثم السعير ، ثم سقر ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية .

كل واحد يدخل من باب بحسب عمله ، ويستقر فى درك بقدر عمله

- تفسير ابن كثير -

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا (١١) إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا (١٢) وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (١٣) لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾

[الفرقان : ١١ - ١٤]

أعتدنا : أعددنا وهيأنا .

تغيظا وزفيرا : حنقا عليها

مقرنين : مقيدين بالسلاسل والاغلال ومقرون بعضهم إلى بعض .

دعوا ثبورا : نادوا بالويل والثبور .

حديث شريف

روى ابن أبى حاتم عن خالد بن دريك بإسناده ، عن رجل من أصحاب النبى ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : **« من يقل علي ما لم أقل ، أو ادعى إلى غير والديه ، أو انتمى إلى غير مواليه فليتبوأ مقعده إلى النار - وفي رواية - فليتبوأ بين عينى جهنم مقعدا »** .

قيل : يا رسول الله ، وهل لها من عينين ؟ قال : **« أما سمعتم الله يقول : «إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا »** .

* * *

* وفي قوله تعالى : **﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (٦٨) إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (٦٩) فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴾** [الصافات : ٦٢ ، ٧٠]

أذلك : اسم الإشارة يعود على ما أعطى المؤمنون من منزلة عليا فى الجنة .

شجرة الزقوم : شجرة تنبت فى جهنم وتمتد فروعها إلى جميع أماكن جهنم ثمرها يأكل منه الكفار ، وهو ثمر حار مر لا يستساغ ، ولكن الجوع يحملهم على الأكل منه .

طلعها : ثمرها ..

كأنه رؤوس الشياطين : تبشيع لهذا الثمر وتكريه لذكره .

شوبا من حميم : الحميم ماء حار يشربونه فيختلط بالمأكول فيكون ذلك نارا على نار .

ألفوا : وجدوا . - يهرعون : يسرعون .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (٤٦) خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ ﴾ [الدخان : ٤٣ - ٥٠]

الأثيم : كثير الإثم ، ويطلق علي كل مشرك ، وقيل : المراد به أبو جهل ، وذلك انه كان يقول : يعدنا محمد أن في جهنم الزقوم ، وإنما هو الثريد بالزبد والتمر ، ثم يأتي بالزبد والتمر ويقول لأصحابه : تزقّموا ، سخرية واستهزاء بكلام الله .

المهل : النحاس المذاب الذى تناهى حره فهو يجرجر فى البطن .

الحميم : الماء الشديد الحرارة .

فاعتلوه : فسوقوه وجروه بعنف .

سواء الجحيم : وسط جهنم .

ذق إنك أنت العزيز الكريم : يقال له على سبيل الاستهزاء ، وكان أبو جهل يقول في الدنيا : أنا أعز من في هذا الوادى وأكرمه .

تمترون : تشكون - صفوة التفاسير -

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ (٤٣) لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (٤٤) ﴾ [الواقعة : ٤١ ، ٤٤]

سموم : ريح حارة من النار تنفذ فى المسام .

حميم : ماء شديد الحرارة - يحموم : دخان شديد السواد .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥) هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الواقعة ٥١ ، ٥٦]

فمالئون منها : الضمير فى (منها) يعود إلى الشجر .

فشاربون عليه : الضمير (عليه) يعود إلى الزقوم المأكول .

الهيم : جمع هيمان وهيمى ، والهيم هى الإبل العطاش .

نزلهم : النزل ما يعد للضيف من قرى ، وقرى أهل جهنم هو الزقوم والحميم.

يوم الدين : يوم القيامة .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦]

تصور الآية فظاعة جهنم وانه لا وقود لها إلا الناس والحجارة ، وان حراسها من الملائكة غلاظ شداد لا يمكن مقاومتهم أو الثورة عليهم أو التخلص والفرار من بين أيديهم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴾ [الحاقة : ٣٠ ـ ٣٧]

غلوه : قيدوه بالأغلال .		ـ صلوه : احرقوه .

ذرعها : طولها ـ قيل : كل حلقة من حلقات سلسلة قدر حديد الدنيا .

فاسلكوه : فانظموه في السلسلة ، قيل : تدخل السلسلة من دبره وتخرج من فيه .

حميم : صديق أو قريب ينقذه .

غسلين : صديد أهل النار .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ (١٥) نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ (١٦) تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴾ [المعارج : ١٥ ـ ١٨]

لظى : شدة حر النار .

نزاعة للشوى : تنزع جلدة الرأس وما دون العظم من اللحم وأطراف اليدين والرجلين ، ومكارم الوجه ، وتبرى اللحم والجلد عن العظم . تدعو من أدبر وتولى : تدعو النار من عمل لها فى الدنيا ، ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر كما يلتقط الطير الحب .

جمع فأوعى : جمع المال وربط عليه ومنع حق الله منه ـ تفسير ابن كثير ـ

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا ⁽¹²⁾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [المزمل : ١٢ - ١٣]

انكالا : قيودا ثقيلة . - جحيما : نارا محرقة .

طعاما ذا غصة : هو الزقوم أو الضريع أو شوك من النار ، يقف في الحلق لا ينزل ولا يصعد .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ⁽٢٦⁾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ⁽٢٧⁾ لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ ⁽٢٨⁾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ⁽٢٩⁾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ⁽٣٠⁾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾

[المدثر : ٢٦ - ٣١]

ساصليه سقر : ساغمره في سقر وهي النار ، والضمير في (أصليه) يعود إلى الوليد بن المغيرة .

لا تبقي ولا تذر : لا تترك من أجسامهم شيئا دون أن تاكله ، ثم تبدل غير ذلك على شكل لا يموتون ولا يحيون.

لواحة للبشر : البشر هى البشرة وهى الجلد ، اى تغير النار لون الجلد فتجعله أسود .

تسعة عشر : هم زبانية جهنم وحراسها من الملائكة .

حين نزلت هذه الآية قال أبو جهل : يا معشر قريش ، أما يستطيع كل عشرة منكم أن يغلبوا ملكا من هؤلاء ؟ فنزل قوله تعالى : « **وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة .. الآية** » .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ **انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ (٣٠) لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ** ﴾

[المرسلات : ٣٠ - ٣٣]

يقول أهل النار بعضهم لبعض : اذهبوا إلي ظل من الدخان له ثلاث شعب، فينطلقون لعلهم يجدون في ظله بردا ، ولكنهم يفاجأون بانه لا وقاية فيه من حر جهنم ، ولا غطاء فيه عن لهيبها ، إن جهنم ترمى بشرر عظيم كالبناء الضخم ، وكالجمال الصفراء فى الهيئة واللون ، والعرب يطلقون الصفر علي ما يخالط سواده صفرة

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ **لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا (٢٤) إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا** ﴾ [النبأ : ٢٤ ، ٢٦]

لا يذوق أهل جهنم فيها بردا يطفىء عنهم حر جهنم ، ولا شرابا يروي ظمأهم ، ليس لهم إلا الحميم وهو الماء الحار ، والغساق وهو سائل منتن إن هذا كان جزاء موافقا لما قاموا به فى الدنيا من كفر وتكذيب وإفساد .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ **وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ (١٢) ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ** ﴾ [الأعلى : ١١ - ١٣]

يتجنبها الأشقى : أى يحرم الكافر الشقى من نعمة التذكر والهداية إلى الإسلام .

يصلى النار : يحترق بالنار الشديدة الحرارة .

لا يموت ولا يحيا : لا يموت فيستريح ، ولا يحيا حياة تفيده وتنفعه .

حديث

روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون ولا يحيون، ولكنهم أناس - أو كما قال - تصيبهم النار بذنوبهم - أو قال - بخطاياهم ، فيميتهم إماتة ، حتى إذا صاروا فحما أذن فى الشفاعة ، فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ، فيقال : يا أهل الجنة ، أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون فى حميل السيل »** ورواه الإمام مسلم أيضا . - تفسير ابن كثير -

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ **تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ** ﴾ [الغاشية : ٤ - ٧]

عين آنية : شديدة الحرارة .

ضريع : نوع من الشوك لا ترعاه دابة لخبثه .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ **فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى** ﴾

[الليل : ١٤ - ١٥]

انذرتكم : خوفتكم .

تلظى : تتوقد وتشتعل . ـ لا يصلاها : لا يدخلها .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ [االقارعة : ٨ ـ ١١]

أمه : مأواه ومصيره .

هاوية : جهنم ، سميت بذلك لأن الكافر يهوى فيها مع عمق قعرها ، وأهل الهاوية المكان المنخفض جدا .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ [الهمزة : ٤ ـ ٩]

الحطمة : النار التي تحطم كل من يلقى فيها .

تطلع على الأفئدة : تشرق على القلوب فتحرقها .

عليهم مؤصدة : مغلقة مطبقة .

عمد ممدة : معلقة بعمد من النار ممددة

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ [المسد : ٣ ـ ٥]

الضمير في سيصلى يعود على ابى لهب .

حمالة الحطب : كانت تحمل الحطب وتضعه فى طريق النبى ﷺ فيعثر فيه حين يخرج إلى الصلاة ليلا .

حبلا من مسد : حبلا من ليف يشتعل نارا فى عنقها فى جهنم .

ذكر الرواة أن امرأة أبى لهب كانت لها قلادة من ذهب غالية الثمن ، فقالت لأنفقنها فى عداوة محمد ، فباعتها وأنفقت ثمنها فى ذلك ، فأعقبها الله تعالى غيرها حبلا من نار فى جهنم .

* * *

أسماء نار الآخرة

١ ـ من أسمائها الجحيم

* فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ [البقرة : ١١٩]

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [المائدة : ١٠]

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [المائدة : ٨٦]

* وفى قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة : ١١٣]

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ

الْجَحِيمِ﴾ [الحج : ٥١]

سعوا فى آياتنا معاجزين : اجتهدوا فى محاربة القرآن ظانين أنهم يعجزوننا.

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ [الشعراء : ٩١]

بُرزت : أظهرت ـ الغاوين : الكفار .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات : ٢٢ ـ ٢٣]

اهدوهم إلى صراط الجحيم : دلوهم على طريق جهنم .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات : ٥٥]

نظر المؤمن وهو فى الجنة إلى صاحب له كان يحاول إغواءه فى الدنيا وقد أصبح فى النار ، فرآه فى وسط جهنم .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴾

[الصافات : ٦٤]

هذه الشجرة هى شجرة الزقوم .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات : ٦٨]

* وفى قوله تعالى : ﴿ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴾

[الصافات : ١٦٢ ، ١٦٣]

الخطاب للكافرين يقول لهم : إنكم لن تقدوا على إضلال أحد وفتنته إلا إذا كان من أصحاب نار جهنم .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [غافر : ٧]

الدعاء على ألسنة الملائكة الذين يحملون العرش ويستغفرون للمؤمنين .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [الدخان : ٤٧]

* وفى قوله تعالى : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [الدخان : ٥٦]

الحديث عن أهل الجنة الذين يخلدون فى الجنة ولن يذوقوا فيها الموت بعد أن ذاقوا الموت فى الدنيا بانتهاء آجالهم فيها .

* وفى قوله تعالى : ﴿ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [الطور : ١٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾ [الواقعة : ٩٢ ، ٩٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [الحديد : ١٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾ [الحاقة : ٣١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴾ [المزمل : ١٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات : ٣٨ ، ٣٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾ [التكوير : ١٢]

سعرت : أوقدت إيقادا شديدا . وجواب الشرط : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾ [التكوير : ١٤] .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ [الانفطار : ١٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴾ [المطففين : ١٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾ [التكاثر : ٦]

لترون : اللام واقعة في جواب قسم ، يقسم الله تعالى أنكم سترون بأبصاركم جهنم وتعاينونها لتدركوا حقيقتها .

٢ ـ ومن أسمائها : جهنم

* فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [البقرة : ٢٠٦]

نزلت هذه الآية فى المنافقين الذين يقولون ما لا يفعلون ، وإذا وعظ أحدهم أنف من الموعظة ، واعتبر نفسه أعظم من أن يوعظ .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [آل عمران : ١٢]

بئس المهاد : بئس الفراش .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [آل عمران : ١٢]

تقلب الذين كفروا : أى تنقلهم بالأسفار للتجارة وتحصيل المكاسب وتكوين الثروات .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾ [النساء : ٥٥]

منهم : أى من اليهود ـ صد : أعرض وكفر ـ سعيرا : عذابا

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٩٣]

سبب نزول الآية

أخرج ابن جرير من طريق ابن جريج عن عكرمة أن رجلا من الأنصار قتل أخا مقيس بن صبابة ، فأعطاه النبي ﷺ الدية فقبلها ، ثم وثب على قاتل أخيه فقتله ، فقال النبي ﷺ : « **لا أؤمنه في حل ولا حرم ، فقتل يوم الفتح** » فنزلت فيه الآية - لباب النقول -

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ٩٧]

ظالمي أنفسهم : ظلموا أنفسهم بعدم الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام.

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ١١٥]

يشاقق : يخالف .

يتبع غير سبيل المؤمنين : يخالف ما أجمعوا عليه .

نوله ما تولى : نجعله واليا لما تولاه من الضلال ، بأن نخلي بينه وبينه في الدنيا .

اعتبر الإمام الشافعي هذه الآية دليلا على إجماع المسلمين ، وأن الإجماع من مصادر التشريع . ـ مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للسيوطي ـ .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً ﴾
[النساء : ١٢١]

اسم الإشارة يعود إلى أولياء الشيطان وحزبه .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء : ١٤٠]

تحذر الآية من الجلوس مع الذين يسخرون من آيات القرآن يستهزئون بها ، والذى نزل قبل ذلك في الكتاب هو قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ [الانعام : ٦٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨) إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾
[النساء : ١٦٨ ، ١٦٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الاعراف : ١٨]

مذءوما : ممقوتا ـ مدحورا : مبعدا من الرحمة .

منكم : أى منك وممن اتبعك من بني آدم .

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ [الأعراف : ٤١]

مهاد : فراش - غواش : أغطية .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٩]

ذرأنا : خلقنا - لا يفقهون : لا يفهمون .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [الأنفال : ١٦]

متحرفا للقتال : قاصدا للانحراف إلى مكان آخر أو متحايلا ليغلب عدوه.

متحيزا إلى فئة : قاصدا الانضمام إلى جماعة أخرى من إخوانه المقاتلين .

باء بغضب : رجع بغضب - مأواه : مصيره .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦) لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ

في جهنم أولئك هم الخاسرون ﴾ [الأنفال : ٣٦ ، ٣٧]

ليميز : ليفصل ويبين   - يركمه : يجعله متراكما بعضه على بعض .

* وفي قوله تعالى : ﴿ يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾ [التوبة : ٣٥]

هذه الآية تتوعد البخلاء الذين يكنزون أموالهم ولا ينفقونها في سبيل الله.

واختار الكي في الجباه ، لأنه أول ما يظهر الإعراض عن الدعوة إلى الإنفاق في الجبهة ، يقطب البخيل وجهه .

واختار الجنوب : لأنه إذا ما ألح عليه في الإنفاق نأى بجانبه واستكبر .

واختار الظهور : لأنه بعد ذلك يولي ظهره للداعي وينطلق موليا دبره عنه .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾ [التوبة : ٤٩]

نزلت الآية في الجد بن قيس ، وكان من المنافقين ، حين دعا النبي ﷺ إلى غزوة تبوك ، جاء الجد بن قيس وقال للنبي ﷺ : يا رسول الله ، إني امرؤ صاحب نساء ، وإني إذا رأيت نساء بني الأصفر افتتن ، فاذن لي ولا تفتني ، فنزلت الآية .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ٦٣]

يحادد : يعادى ويحارب ، والحديث فى الآية عن المنافقين .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [التوبة : ٦٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [التوبة : ٧٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة : ٨١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [التوبة : ٩٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [التوبة : ١٠٨]

المسجد المؤسس على التقوى : هو مسجد قباء ، وهو الأحق بأن يصلى النبى ﷺ فيه .

المسجد المؤسس على شفا جرف : هو مسجد الضرار الذى بناه المنافقون للإضرار بالمسلمين .

شفا جرف هار : طرف جانب مشرف على السقوط .

فانهار : فسقط .

والاستفهام فى الآية يفيد التقرير ، أى الصلاة فى مسجد قباء خير من الصلاة فى مسجد الضرار .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [هود : ١١٩]

الاستثناء من اختلاف الناس المستمر ، لا ينجو منه إلا من رحمه الله ، والاختلاف مؤد فى النهاية إلى جهنم التى وعد الله أن تملأ من الناس والجن .

ـ أعاذنا الله من ذلك ـ

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [الرعد : ١٨]

* وفى قوله تعالى : ﴿ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴾ [إبراهيم : ١٦]

من ورائه : فى انتظاره ، والحديث عن كل جبار عنيد .

والماء الصديد : ما يسيل من أجساد أهل النار .

* وفى قوله تعالى : ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾ [إبراهيم : ٢٩]

الحديث فى الآية عن الذين بدلوا نعمة الله كفراً ، وقادوا الناس إلى الكفر والضلال .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر : ٤٣]

* وفى قوله تعالى : ﴿ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [النحل : ٢٩]

* وفى قوله تعالى : ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨]

الخطاب في الآية موجه إلى بنى إسرائيل .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء : ١٨]

مذموما : ممقوتا - مدحورا : مطرودا من رحمة الله .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء : ٣٩]

ذلك : اسم الإشارة موجه إلى التكاليف من أوامر ونواه سبقت هذه الآية وهى من عيون الحكمة .

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا ﴾ [الإسراء : ٦٣]

الخطاب موجه إلى إبليس لعنه الله .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الإسراء : ٩٧]

خبت : خمدت نارها وسكن لهيبها.

سعيرا : توقدا والتهابا .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴾ [الكهف : ١٠٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴾ [الكهف : ١٠٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴾ [الكهف : ١٠٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ [مريم : ٦٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ [مريم : ٨٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ [طه : ٧٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٢٩]

منهم : أي من الملائكة .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٩٨]

حصب جهنم : وقودها . - واردون : داخلون .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان : ٣٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٥]

كان غراما : ملازما .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [العنكبوت : ٥٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة : ١٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴾ [فاطر : ٣٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [يس : ٦٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [ص : ٥٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص : ٨٥]

المخاطب فى الآية إبليس عليه لعنه الله .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [الزمر : ٣٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر : ٧١ ، ٧٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴾ [غافر : ٤٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [غافر : ٧٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الجاثية : ١٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [الفتح : ٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [ق : ٢٤]

الخطاب للملكين الموكلين بكل فرد .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [ق : ٣٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾ [الطور : ١٣]

يُدَعُّون : يدفعون دفعا شديدا .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ [الرحمن : ٤٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [المجادلة : ٨]

النجوى التحادث سرا .

حيوك بما لم يحيك به الله : يقولون له : السام عليك أى الموت .

لولا يعذبنا : هلا يعذبنا - بما نقول : أى من التحية التى يلقونها .

حسبهم جهنم : تكفيهم جهنم . - يصلونها : يحترقون بها

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [التحريم : ٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [الملك : ٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [الجن : ١٥]

القاسطون : الظالمون

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ ... وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ [الجن : ٢٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا ﴾ [النبأ : ٢١ ، ٢٢]

مرصاداً : راصدة لمن يدخلها مترقبة له . ـ مآبا : مرجعا .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾ [البروج : ١٠]

فتنوهم : اختبروهم بالأذى والإحراق في الاخدود لردهم عن دينهم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴾ [الفجر : ٢٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ

جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة : ٦]

شر البرية : شر الخليقة ، وتجمع البرية على البرايا .

* * *

٣ ـ ومن أسمائها : السعير

* في قوله تعالى : ﴿ **فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيراً** ﴾ [النساء : ١٠]

فمنهم : أى من أهل الكتاب ـ آمن به : أى بمحمد ﷺ .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ **وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً** ﴾ [الإسراء : ٩٧]

نحشرهم على وجوههم : أى ناكسى الرءوس .

كلما خبت : سكن لهيبها وضعفت .

* وفي قوله تعالى : ﴿ **كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ** ﴾ [الحج : ٤]

كتب عليه : أى قضى على الشيطان .

انه من تولاه : من اتبعه وسار في ركابه .

ويهديه : يدعوه .

* وفي قوله تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً ﴾
[الفرقان : ١١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ [لقمان : ٢١]

المعنى : أيتبعون آباءهم ولو كان الشيطان يدعوهم ويجرهم إلى عذاب السعير ؟

* * *

والاستفهام للإنكار عليهم والتعجب من شأنهم .

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً ﴾ [الاحزاب : ٦٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ [سبأ : ١٢]

غدوها : مسيرها من الغدوة بمعنى الصباح إلى الزوال .

رواحها : سيرها من الزوال إلى الغروب .

أسلنا : أجرينا . ـ عين القطر : عين النحاس . ـ يزغ : يعدلْ

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر : ٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ [الشورى : ٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴾ [الفتح : ١٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ⑩ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك : ١٠ - ١١]

سحقا : بُعْداً لهم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلَ وَأَغْلالاً وَسَعِيراً ﴾ [الإنسان : ٤]

أغلالا : قيوداً .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ⑩ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ⑪ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾ [الانشقاق : ١٠ - ١٢]

وراء ظهره : الكافر تُغَل يمناه إلى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره فيأخذ بها كتابه .

يدعو ثبوراً : ينادى بالهلاك قائلا : يا ثبوراه ، والثبور هو الهلاك .

والسعير : شدة إضرام النار ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾ [التكوير : ١٢]

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله : « **أوقد علي النار ألف سنة حتى احمرت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودات ، فهي سوداء مظلمة** » وقانا الله شرها وأعاذنا منها .

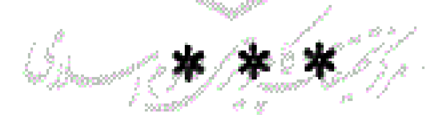
* * *

٤ - ومن أسمائها الحطمة

* فى قوله تعالى : ﴿ **كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ** ﴾ [الهمزة : ٤ - ٧]

كلا لينبذن : كلا كلمة ردع ، وينبذن : يُطرَحَنَّ ، والضمير فى الفعل يعود علي الكافر مطلقا ، أو على الوليد بن المغيرة ، أو على ابى بن خلف ، أو على جميل بن عامر الثقفى . أقوال .

الحطمة : نار الله سميت بذلك لأنها تكسر كل ما يلقى فيها وتحطمه وتهشمه .



* * *

٥ - ومن أسمائها سقر

* فى قوله تعالى : ﴿ **يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ** ﴾ [القمر : ٤٨]

* وفى قوله تعالى : ﴿ **سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ** ﴾ [المدثر : ٢٦ ، ٢٧]

* وفى قوله تعالى : ﴿ **مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ** ﴾ [المدثر : ٤٢]

سميت سقر من سقرته الشمس إذا أذابته ولوحته وأحرقت جلدة وجهه .

روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **سأل موسى ربه فقال : أى رب ، أى عبادك أفقر ؟ فقال : صاحب سقر** » - تفسير القرطبى - .

* * *

٦ - ومن أسمائها لظى

* فى قوله تعالى : ﴿ **كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ** ﴾

[المعارج : ١٥ ، ١٦]

لظى : مشتقة من التلظى وهو التظاء النار أى التهابها ، قال تعالى : ﴿ **لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝١٥ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ** ﴾ [الليل : ١٤ ، ١٥]

ولظى هى الدركة الثانية من طبقات جهنم .

والشوى : جمع شواة وهى جلدة الرأس .

* * *

ومن أسمائها الهاوية

* فى قوله تعالى : ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌ** ﴾ [القارعة : ٨ - ١١]

قال لها أمه : لأنه يأوى إليها كما يأوى إلى أمه .

وسميت بالهاوية لأنه يهوى فيها مع بعد قعرها ، ويروى أن الهاوية اسم الباب الأسفل من النار

* * *

حديث

جاء فى الخبر عن أبى هريرة عن النبى ﷺ : « إن الموتى يسألون الرجل

يأتيهم عن رجل مات قبله ، فيقول : ذاك مات قبلي ، أما مر بكم ؟ فيقولون : لا ، والله .

فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ذُهب به إلى أمه الهاوية ، فبئست الأم وبئست المربية » ـ التذكرة للقرطبي ـ

* * *

٨ ـ ومن أسمائها : سوء الدار

* في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ [الرعد : ٢٥]

لهم اللعنة : في الدنيا .

سوء الدار : في الآخرة ، وسوء الدار هي جهنم والعياذ بالله منها .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ [غافر : ٥٢]

* * *

ومن أسمائها : دار البوار

* في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ [إبراهيم : ٢٨]

دار البوار : جهنم ، والبوار هو الهلاك .

والمراد بالذين بدلوا نعمة الله كفرا : المشركون عامة ، وقيل : مشركو قريش ، وقيل المشركون الذين قاتلوا النبى ﷺ فى بدر .. وقيل غير ذلك .

* * *

١٠ ـ ومن أسمائها الساهرة

* فى قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾ [النازعات : ١٣ ـ ١٤]

الساهرة : جهنم ـ قاله قتادة ـ وإنما قيل لها ساهرة لأن أهلها لا ينامون عليها.

* * *

أبواب جهنم

جاء الحديث عنها

* فى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ [الحجر : ٤٣ ، ٤٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [النحل : ٢٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ [النحل : ٧١ ، ٧٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [غافر : ٧٦]

معنى الأبواب : الأطباق ، طبق فوق طبق ، لكل باب : أى لكل طبقة عن حطان بن عبد الله الرقاشي يقول : سمعت عليا - رضى الله عنه - يقول : هل تدرون كيف أبواب جهنم ؟ قلنا : مثل أبوابنا . قال : لا ، هى هكذا بعضها فوق بعض .

زاد الثعلبى : ووضع إحدى يديه على الأخرى ، وإن الله وضع الجنان على الأرض ، والنيران بعضها فوق بعض ، فأسفلها جهنم ، فوقها الحطمة ، وفوقها سقر ، وفوقها الجحيم ، وفوقها لظى ، وفوقها السعير ، وفوقها الهاوية ، وكل باب أشد حرا من الذى يليه سبعين مرة .

وقيل : إن جهنم أعلى الدركات ، وهى مختصة بالعصاة من أمة محمد ﷺ، وهى التى تخلى من أهلها فتصفق الرياح أبوابها ، ثم لظى ، ثم الحطمة، ثم سعير ، ثم سقر ، ثم الجحيم - ثم الهاوية - تفسير القرطبى .

* * *



تخاصم أهل النار فى النار

* فى قوله تعالى : ﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٨ ، ٣٩]

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴾ [يونس : ٢٨ ، ٢٩]

زيلنا : فصلنا وفرقنا .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ (٢١) وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم : ٢١ ، ٢٢]

برزوا : خرجوا من القبور . ـ ضعفاء : الاتباع .

مغنون : دافعون . ـ محيص : مهرب وملجأ .

مصرخكم : مغيثكم

قال محمد بن كعب القرظي : ذُكر لنا أن أهل النار يقول بعضهم لبعض : يا هؤلاء ، قد نزل بكم من البلاء والعذاب ما قد ترون فهلم فلنصبر ، فلعل الصبر ينفعنا كما صبر أهل الطاعة علي طاعة الله فنفعهم الصبر إذا صبروا ، فاجمعوا رأيهم على الصبر فصبروا ، فطال صبرهم فجزعوا ، فنادوا : « سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لهم من محيص » .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ (٣٢) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ﴾

[سبأ : ٣١ ، ٣٣]

* وفى قوله تعالى : ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (٢٧) قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين (٢٨) قالوا بل لم تكونوا مؤمنين (٢٩) وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين (٣٠) فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون (٣١) فأغويناكم إنا كنا غاوين (٣٢) فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون (٣٣) إنا كذلك نفعل بالمجرمين ﴾

[الصافات : ٢٧ ، ٣٣]

تأتوننا عن اليمين : أى تأتوننا من الجهة التى نحبها ، تزينون لنا الضلالة ، وقيل : اليمين بمعنى القوة ، أى تسوقوننا إلى ما تريدون بقوة وقهر .

فأغويناكم : فزينا لكم الكفر .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار (٥٩) قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار (٦٠) قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار (٦١) وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار (٦٢) أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار (٦٣) إن ذلك لحق تخاصم أهل النار ﴾

[ص : ٥٩ ، ٦٤]

هذا فوج مقتحم معكم : هذا من قول خزنة جهنم لأهل جهنم ، والفوج : الجماعة .

مقتحم : داخل ، والاقتحام يفيد الدخول بشدة .

قالوا : أي الأتباع .

أنتم قدمتموه لنا : أى قدمتم لنا هذا المصير ، حيث دعوتمونا إلى العصيان فأجبناكم .

من قدم لنا هذا : من سوغ لنا العصيان وزينه لنا .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٤٨) وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [غافر : ٤٧ ، ٥٠]

يتحاجون : يختصمون ـ مغنون : يتحملون ؛

عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال : يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب ، فيستغيثون منه فيغاثون بالضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع ، فيأكلونه فلا يغنى ، فيستغيثون فيغاثون بطعام ذى غصة فيغصون به ، فيذكرون أنهم كانوا فى الدنيا يجيزون الغصص بالماء فيستغيثون بالشراب فيرفع لهم الحميم بالكلاليب فإذا دنا من وجوههم شواها ، فإذا وقع فى بطونهم قطع أمعاءهم وما فى بطونهم ، فيستغيثون بالملائكة يقولون : « ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب » فيجيبوهم : ادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال .

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٢٧) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴾ [ق : ٢٧ ، ٢٨]

امتلاء جهنم

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأعراف : ١٨]

مزءوما : مذموما - مدحورا : مطرودا .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [هود : ١١٩]

الجِنة - بكسر الجيم - الجن .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة : ١٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص : ٨٤ ، ٨٥]

الخطاب موجه لإبليس عليه لعنة الله .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [ق : ٣٠]

* * *

وقود جهنم وحرها :

* فى قوله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤]

* وفى قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [التوبة : ٣٥]

الضمير فى (عليها) يعود على الذهب والفضة التى يكنزها أصحابها ولا ينفقونها فى سبيل الله . تكون من وسائل التعذيب لهم فى نار جهنم ، تحمى فى النار وتكوى بها جباههم وظهورهم وجنوبهم .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة : ٨١]

المخلفون : هم المنافقون الذين تخلفوا عن الخروج مع النبى ﷺ فى غزوة تبوك .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٩٨]

• حصب جهنم : وقودها وحطبها .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦]

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [الجن : ١٥]

القاسطون : الكافرون الظالمون .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾ [الغاشية : ٤]

تصلى : أى وجوه الكفار فى جهنم تحرق بنار حامية شديدة الحر

* * *

لمن أعدت النار ؟

* فى قوله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤]

لقد أعدت النار للكافرين .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣١]

* وفى قوله تعالى : ﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً ﴾ [الكهف : ٢٩]

أحاط بهم سرادقها : أى أحاطت بهم النار كما تحيط الخيمة بمن فيها .

المهل : الرصاص المذاب ـ مرتفقا : مقرا

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً ﴾ [الكهف : ١٠٢]

نُزُلا : النزل هو مكان الضيافة.

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً ﴾ [الفرقان : ١١]

* وفى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً ﴾ [الأحزاب : ٦٤]

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ [الفتح : ٦]

الظانين بالله ظن السوء : كان المنافقون والمشركون يظنون حين خرج النبى ﷺ إلى الحديبية فى العام السادس أن الله لن ينصر نبيه ، وأن النبى ومن معه من المؤمنين لن يعودوا سالمين إلى المدينة ، وسوف تبيدهم قريش وأحلافها .

عليهم دائرة السوء : سوف يعود عليهم هذا الظن السيء بالوبال والخسران، ودائرة السوء : الداهية التى تحيط بهم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴾ [الفتح : ١٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴾ [الإنسان : ٤]

* * *

خزنة جهنم

ورد ذكرهم

* في قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [الزمر : ٧١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴾ [غافر : ٤٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَىٰ ﴾ [الملك : ٨ ، ٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ

الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (٣١) كَلاَّ وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴾ [المدثر : ٣٠ ، ٣١]

حول الآية

قال القرطبى : والصحيح إن شاء الله ان هؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء والنقباء ، وأما جملتهم فالعبارة تعجز عنها كما قال تعالى : **﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾** .

وقد ثبت فى الصحيح عن عبد الله بن مسعود ، قال ، قال رسول الله ﷺ : **« يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها »** .

* * *

* وفى قوله تعالى : **﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾** [العلق : ١٧ ، ١٨]

جاء في الأخبار : أن الزبانية رءوسهم فى السماء وأرجلهم فى الأرض ، فهم يدفعون الكفار فى جهنم ، وقيل : إنهم أعظم الملائكة خلقا وأشدهم بطشا.

وروى أن النبى ﷺ لما قرأ هذه السورة وبلغ إلى قوله : **﴿ لنسفعا بالناصية ﴾** .

قال أبو جهل : أنا أدعو قومى حتي يمنعوا عنى ربك . فقال الله تعالى : **﴿ فليدع ناديه سندع الزبانية ﴾** فلما سمع ذكر الزبانية رجع فزعا . فقيل له : خشيت منه ؟ قال : لا ولكنى رأيت عنده فارسا فهددني بالزبانية ، فما أدرى ما الزبانية ؟ ومال إلىّ الفارس فخشيت ان يأكلنى . ـ تفسير القرطبى .

طعام أهل النار وشرابهم

أ ـ طعامهم

* في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴾ [الدخان : ٤٣ ـ ٤٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴾ [الواقعة : ٥١ ـ ٥٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ ﴾ [الحاقة : ٣٥ ـ ٣٧]

حميم : صديق

غسلين : صديد أهل النار وما يسيل منهم من قيح أو دم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [المزمل : ١٢ ، ١٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ (٦) لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾ [الغاشية : ٦ ، ٧]

الضريع : نبات ذو شوك لاصق بالارض يسمى الشبرق إذا كان رطبا ، فإذا يبس فهو الضريع ، لا تقربه دابة ولا بهيمة ولا ترعاه ، وهو سم قاتل وهو أخبث الطعام وأشنعه .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ : « الضريع شيء يكون في

النار يشبه الشوك ، أشد مرارة من الصبر وأنتن من الجيفة ، وأحر من النار سماه الله ضريعا » .

* * *

ب ـ شرابهم

* في قوله تعالى : ﴿ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ [الأنعام : ٧٠]

ابسلوا : أسلموا للعذاب

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ ... وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ [يونس : ٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝١٥ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ۝١٦ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾ [إبراهيم : ١٥ ، ١٦]

واستفتحوا : استنصروا ، والضمير يعود على الرسل الذى طلبوا النصر من الله على أعدائهم ، فنصرهم .

من ورائه جهنم : أى تطلبه وتنتظره .

ماء صديد : هو ما يسيل من أجساد أهل النار .

يتجرعه : يتكلف شربه مرة بعد مرة .

لا يكاد يسيغه : لا يكاد يبتلعه بل يغص به .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ ... إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾

[الكهف : ٢٩]

أحاط بهم سرادقها : أى أحاطت بهم من كل جانب ، صور النار بالسرداق الذى يحيط بمن فيه .

كالمهل : مثل عكر الزيت ، أو الشيء المذاب من المعادن كالنحاس والرصاص.

يشوي الوجوه : من شدة حرارته ، فما بالك بالأمعاء التى يصب فيها ؟

مرتفقا : مقرا ومنزلا .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الواقعة : ٥٤ ، ٥٦]

عليه : أى على الزقوم الذى أكلوه .

الحميم : ماء شديد الحرارة .

الهيم : الإبل العطاش مفرده أهيم وهيمان .

نزلهم : النزل - بضم النون والزاى - ما يعد للأضياف من طعام وشراب .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾ [النبأ : ٢٤ ، ٢٥]

الغساق : سائل منتن يسيل من أجساد المعذبين .

خلود أهل النار في النار

* في قوله تعالى : ﴿ والَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة : ٣٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة : ٨١]

أحاطت به خطيئته : مات على كفره .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١) خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ [البقرة : ١٦١ ، ١٦٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

[البقرة : ٢١٧]

حبطت أعمالهم : بطلت أعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٥]

يتخبطه الشيطان من المس : يصرعه الشيطان فيصاب بالجنون .

له ما سلف : له ما مضى من الربا قبل نزول آية التحريم الذى حرمته .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٦) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ [آل عمران : ٨٦ ، ٨٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [آل عمران : ١١٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النساء : ١٤]

حدود الله : هى شرائع الله وأحكامه التي حدها لعبادها ليعملوا بها ولا يتعدوها

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا

وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٩٣]

تشير الآية إلى حرمة المؤمن عند ربه ، وعظيم جريمة من يقتله متعمدا ، فإنه لا توبة ولا تكفير عن جريمته .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾

[النساء : ١٦٨ ، ١٦٩]

* وفى قوله تعالى : ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ [المائدة : ٨٠]

الحديث فى الآية من اليهود الذين يوالون المشركين لمحاربة النبى ﷺ .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الانعام : ١٢٨]

استكثرتم من الإنس : أى أكثرتم من إغوائهم وإضلالهم .

استمتع بعضنا ببعض : انتفع بعضنا ببعض .

مثواكم : مصيركم ومستقركم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [الاعراف : ٣٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ [التوبة : ١٧]

سبب نزول الآية

أخرج ابن أبى حاتم من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال العباس حين أسر يوم بدر : إن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد فلقد كنا نعمر المسجد الحرام ، ونسقى الحاج ، ونفك العانى ، فأنزل الله تعالى الآية - لباب النقول -

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ٦٣]

يحادد : يعادى

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾ [التوبة : ٦٨]

وعد : هذا الفعل مصدره وعيد ، فإنه يقال : وعد الله بالخير وعدا ، ووعد بالشر وعيدا ..

هى حسبهم : هى كفاية ووفاء لجزاء أعمالهم .

لعنهم : أبعدهم من رحمته - مقيم : دائم .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [يونس : ٢٧]

ترهقهم : تغشاهم ـ أغشيت وجوههم : ألبست وغطيت .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [يونس : ٥٢]

عذاب الخلد : العذاب الذى لا ينقطع .

هل تجزون ... : الاستفهام بمعنى النفى ، وهو مع إلا يفيد القصر ،

فالمعنى : ما تجزون إلا نتيجة كسبكم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾

[هود : ١٠٦ ، ١٠٧]

ما دامت السموات والأرض : ما دامت سموات الجنة والنار وأرضهما .

إلا ما شاء ربك : اى إلا من شاء الله الا يدخلهم النار .

والزفير : هو إخراج النفس . ـ والشهيق : هو رد النفس .

حديث شريف

جاء فى الصحيح من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول

الله ﷺ : « يدخل ناس جهنم حتى إذا صاروا كالحممة أخرجوا منها ودخلوا الجنة ، فيقال هؤلاء الجهنميون » .

والعلماء يقولون : إن هؤلاء من كان فى قلوبهم مثقال ذرة من الإيمان ، أما الكفار فهم خالدون أبدا فى جهنم .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ **وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [الرعد : ٥]

أئنا لفى خلق جديد : أى نعود إلى الحياة مرة أخرى ، واستفهامهم فى الآية يفيد إنكارهم البعث .

الأغلال : القيود والسلاسل .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ **فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ** ﴾ [النحل : ٢٩]

* وفى قوله تعالى : ﴿ **مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا** ﴾ [طه : ١٠٠ ، ١٠١]

من أعرض عنه : أى عن القرآن .

وزرا : ذنبا ثقيلا .

خالدين فيه : أى فى الجزاء فى النار .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنبياء : ٩٨ - ١٠٠]

حصب جهنم : وقودها - واردون : ذاهبون .

زفير : نفس شديد .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴾ [الفرقان : ٦٩]

الضمير في (له) يعود على المشرك والذي يقتل النفس بغير حق ، والذي يزني .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لاَّ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٦٤ ، ٦٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر : ٧٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [غافر : ٧٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [فصلت : ٢٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٤ ، ٧٥]

مبلسون : آيسون من النجاة .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [محمد : ١٥]

المعنى

لا يستوى من دخل الجنة يتمتع بكل ما فيها من انهار وثمار وينعم بمغفرة الله ومن دخل النار خالدا ففيها ويسقى من ماء حميم يقطع الأمعاء .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [المجادلة : ١٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ [الحشر : ١٧]

عاقبتهما : الضمير يعود على الشيطان الغاوى والإنسان المغوى.

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [التغابن : ١٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ ... وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ [الجن : ٢٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ [التغابن : ١٠]

* * *

نار الدنيا

* في قوله تعالى : ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ [الاعراف : ١٢]

الخطاب لإبليس اللعين حين عصى أمر ربه بالسجود لآدم

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴾ [الحجر : ٢٧]

من قبل : أى من قبل خلق آدم .

نار السموم : نار لا دخان لها ، والسموم هى الريح الحارة .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ [ص: ٧٦]

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ [الرحمن : ١٥]

مارج من نار : لهب خالص لا دخان فيه .

والجان : هو أصل الجن .

* * *

ب ـ استخدامات نار الدنيا :

١ ـ تلين الحديد ، وتستخدم فى البناء

* فى قوله تعالى : ﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ [الكهف : ٩٦]

زبر الحديد : قطع الحديد .

ساوى بين الصدفين : ردم بني الجبلين على نحو مساو لهما في العلو ، والصدف : جانب الجبل .

قطرا : القِطر هو النحاس المذاب .

المتحدث فى الآية ذو القرنين حين طلب منه القوم ان يحول بينهم وبين يأجوج ومأجوج المفسدين فى الارض ، فبنى لهم جدارا من حديد بين جبلين ، أذاب الحديد بالنار وصب فوقه النحاس المذاب ، ، فصعب على يأجوج ومأجوج

اختراقه ونقبه . وحين يتمكنون من اختراقه يكون ذلك من علامات الساعة .

حديث شريف

عن قتادة عن أبى رافع عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن يأجوج ومأجوج يخرقون السد كل يوم ، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم : ارجعوا فستخرقونه غدا ، فيعيده الله كأشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم : ارجعوا فستخرقونه إن شاء الله ، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيخرقونه ويخرجون على الناس** » أخرجه ابن ماجة فى سننه .

* * *

٢ ـ وتستخدم فى الصناعة

* وفى قوله تعالى : ﴿ **أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ** ﴾ [الرعد : ١٧]

الزبد : ما يعلو وجه الماء وتدفعه الرياح .

رابيا : عاليا مرتفعا فوق الماء .

جفاء : مبددا .

(راجع الأمثال فى القرآن)

* * *

٣ ـ الاستدفاء بها

* في قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [النمل : ٧]

لأهله : لزوجته حين خرج بها راجعا . ـ آنست : أبصرت .

بشهاب قبس : بشعلة نار ، والشهاب : كل ذى نور ، والقبس : اسم لما يقتبس من حجر وشبهه .

تصطلون : تستدفئون .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [القصص : ٢٩]

قضى الأجل : الأجل هو الموعد الذى ضربه شعيب مع موسى عليه السلام وهو أن يرعى موسى الغنم لشعيب لمدة ثماني سنين أو عشر في نظير أن يزوجه ابنته .

الطور : هو طور سيناء . ـ جذوة : قطعة من الجمر .

* * *

٤ ـ الانتفاع بضوئها

* في قوله تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (٩) إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ [طه : ٩ ، ١٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٣٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [النمل : ٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [القصص : ٢٩]

انتفع موسى عليه السلام بضوء النار ، فقد سار على هداها حتى وصل إلى الطور حيث ناداه ربه وكلفه بالرسالة .

* * *

إحراقها

* في قوله تعالى : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾

[البقرة : ٢٦٦]

إعصار : ريح شديدة عاتية .

(انظر موضوع الأمثال في القرآن)

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء : ٦٨ ، ٦٩]

أراد الكفار إحراق إبراهيم عليه السلام بالنار ، ولكن الله أوحى إلى النار أن تكون بردا وسلاما عليه .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت : ٢٤]

* * *

جـ ـ منشأ نار الدنيا

جاءت الإشارة إلى ذلك

* في قوله تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ [يس : ٨٠]

الشجر الأخضر : هو المرخ والعفار ، يؤخذ من كل منهما عود ويقدح به الآخر فتشتعل النار منهما وهم يقطران ماء .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ [الواقعة : ٧١ ـ ٧٣]

تورون : توقدون ـ تذكرة : تذكركم بنار جهنم .

المقوين : المسافرين .

حديث شريف

قال القرطبى : صح عن النبي ﷺ انه قال : « **إن ناركم هذه التي يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم** » فقالوا : يا رسول الله : إن كانت لكافية . قال : « **فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها** »

- تفسير القرطبى -

* * *

د - إيقاد النار

* في قوله تعالى : ﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ** ﴾ [البقرة : ١٧]

(راجع موضوع الأمثال فى القرآن)

* وفى قوله تعالى : ﴿ ... **وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** ﴾

[المائدة : ٦٤]

الحديث فى الآية عن اليهود والنصاري ، وتشير الآية إلى أن الله ألقى بينهم العداوة والبغضاء .

وقيل : ألقى بين طوائف اليهود ، كما قال تعالى : ﴿ **وتحسبهم جميعا وقلوبهم شتى** ﴾ .

* * *

من معالم الآخرة : الأعراف

* فى قوله تعالى : ﴿ **وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ**

بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾

[الأعراف : ٤٦]

بينهما حجاب : أي بين الجنة والنار حاجز أي سور .

الأعراف : المكان المشرف ، وهو جمع مفرده عُرْف .

بسيماهم : بعلاماتهم .

أصحاب الأعراف : اختلف العلماء حولهم .

فمن الأقوال فيهم : أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم .

ومنها : هم قوم صالحون علماء فقهاء .

ومنها : هم الشهداء .

ومنها : أنهم فضلاء المؤمنين والشهداء فرغوا من شغل أنفسهم وتفرغوا لمطالعة حال الناس .

ومنها : هم المستشهدون في سبيل الله الذين خرجوا عصاة لآبائهم .

ومنها : أنهم عدول القيامة الذين يشهدون على الناس بأعمالهم .

ومنها : أنهم قوم كانت لهم صغائر لم تكفر عنهم بالآلام والمصائب في الدنيا ، وليست لهم كبائر .

وقيل غير ذلك .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٤٨]

رجالا يعرفونهم بسيماهم : هم من أهل النار .

قال القرطبى : تشير الآية إلى أن أصحاب الأعراف ملائكة أو أنبياء ، فإن قولهم هذا إخبار عن الله تعالى .

* * *

من متعلقات الآخرة : الغيب

الغيب هو كل ما غاب عنك مما لا تدركه الحواس ولا تهتدى إليه العقول من أشراط الساعة وعذاب القبر والحشر والنشر والصراط والميزان والجنة والنار وغير ذلك مما سبق الحديث عنه . ويجب الإيمان به .

وجوب الإيمان بالغيب

* فى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة : ٣]

الغيب : المقصود بالغيب فى الآية : الله تعالى . وقيل : القضاء والقدر ، وقيل : القرآن وما فيه من أسرار . وقيل : ما أخبر به الرسول ﷺ من غيبيات .

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : ما آمن مؤمن بأفضل من إيمان بغيب .		ـ تفسير القرطبى ـ

* * *

عند الله تعالى مفاتيح الغيب

* فى قوله تعالى : ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٢، ٣٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [البقرة : ٧٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥]

يؤوده حفظهما : يثقله ويعجزه .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [آل عمران : ٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٤٤]

يلقون أقلامهم : أى يلقونها في الماء ، فمن سار قلمه ضد التيار كان من حقه أن يكفل مريم ، فكان ذلك من نصيب زكريا عليه السلام .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ (١٧٨) مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ

يميزَ الخبيثَ من الطيّبِ وما كانَ اللهُ ليُطلعَكُمْ على الغيبِ ولكنَّ اللهَ يجتبي من رُسُلِه من يشاءُ فآمنوا باللهِ ورُسُلِه وإن تؤمنوا وتتقوا فلكُمْ أجرٌ عظيمٌ ﴾

[آل عمران : ١٧٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ ... ذلكَ لتعلَموا أنَّ اللهَ يعلَمُ ما في السَّمواتِ وما في الأرْضِ وأنَّ اللهَ بكُلِّ شيْءٍ عليمٌ ﴾ [المائدة : ٩٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يومَ يجمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فيقولُ ماذا أُجِبْتُمْ قالوا لا عِلْمَ لَنا إنَّكَ أنتَ علاَّمُ الغُيُوبِ ﴾ [المائدة : ١٠٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وإذْ قالَ اللهُ يا عيسى ابنَ مريَمَ أأنتَ قُلْتَ للنّاسِ اتخذوني وأمّيَ إلهيْنِ من دونِ اللهِ قالَ سُبحانَكَ ما يكونُ لي أنْ أقولَ ما ليسَ لي بحقٍّ إن كُنتُ قُلْتُهُ فقدْ علِمْتَهُ تعلَمُ ما في نفسي ولا أعلَمُ ما في نفسِكَ إنَّكَ أنتَ علاَّمُ الغُيُوبِ ﴾ [المائدة : ١١٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وهوَ اللهُ في السَّمواتِ وفي الأرْضِ يعلَمُ سِرَّكُمْ وجهرَكُمْ ويعلَمُ ما تكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام : ٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وعندَهُ مفاتِحُ الغيْبِ لا يعلَمُها إلاّ هُوَ ويعلَمُ ما في البَرِّ والبحرِ وما تسقُطُ من ورقةٍ إلاّ يعلَمُها ولا حبّةٍ في ظُلُماتِ الأرْضِ ولا رطْبٍ ولا يابسٍ إلاّ في كتابٍ مُبينٍ (٥٩) وهوَ الذي يتوفّاكُم باللّيلِ ويعلَمُ ما جرحتُم بالنّهارِ ثمَّ يبعثُكُمْ فيه ليُقضَى أجلٌ مُسمّى ثمَّ إليهِ مرجِعُكُمْ ثمَّ يُنبّئُكُم بما كُنتُمْ تعملونَ ﴾

[الأنعام :٦٠]

حول هذه الآية

قال القرطبى : جاء في الخبر : هذه الآية لما نزلت نزل معها اثنا عشر ألف ملك .

وروى البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : «**مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله : لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ، ولا يعلم ما في غد إلا الله ، ولا يعلم متى يأتى المطر إلا الله ، ولا تدرى نفس بأى أرض تموت إلا الله ، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله** » .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الأنعام : ٧٣] .

بالحق : بكلمة الحق وهى قوله : كن

حديث

روى الإمام مسلم من حديث عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ : « **يوم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا** » .

اللِّيت : صفحة العنق ، والتعبير يعنى الاهتمام .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ** ﴾ [التوبة : ٧٨]

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾ [يونس : ٢٠]

الآية المعجزة

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾

[يونس : ٦١]

تفيضون : تبدءون فيه العمل . - يعزب : يغيب

كتاب مبين : اللوح المحفوظ

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [هود : ٥]

يثنون صدورهم : الحديث عن الكفار والمنافقين حين يحاولون إخفاء وجوههم عن النبى ﷺ حتى لا يروه .

يستغشون ثيابهم : يغطون وجوههم ورءوسهم بثيابهم .

والآية تشير إلى ما يكنه هؤلاء للنبي ﷺ من حقد وكراهة

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود : ٦]

الدابة : كل ما يدب علي وجه الأرض زحفا أو مشيا .

مستقرها : أي موضعها في الذكر .

مستودعها : أى فى الأنثى . أو المعنى : يعلم موضعها فى الدنيا والآخرة أو يعلم مأواه ومدفنه .

طُرفة :

« يروى أن موسى عليه السلام لما كلف الرسالة خشي أن ينشغل بها عن شئون أهله ، فأوحى الله إليه أن يضرب صخرة بعصاه ، فخرجت منها صخرة أخرى ، فأمره أن يضربها فانشقت عن صخرة ثالثة ، فضربها فانشقت عن دودة في فمها غذاؤها وهي تقول : سبحان من يراني ، ويسمع كلامي ، ويعرف مكاني، ويذكرني ولا ينساني ».

ـ التريب والبيان عن تفصيل آى القرآن جـ١ صـ١٠٢ لمحمد زكى صالح .

وقيل لحاتم الأصم : من أين تأكل ؟ فقال من عند الله ، فقيل له : الله ينزل لك دنانير ودراهم من السماء ؟ فقال : كأن ماله إلا السماء !! يا هذا ، الأرض له والسماء له فإن لم يؤتنى رزقى من السماء ساقه لى من الأرض ، وأنشد :

وكيف أخاف الفقر والله رازقى ورازق هذا الخلق فى العسر واليسر

تكفل بالأرزاق للخلق كلهم وللضب في البيدا ، والحوت فى البحر

ـ تفسير القرطبى .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ [هود : ١٢٣]

* وفى قوله تعالى : ﴿ **ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ** ﴾ [يوسف : ١٠٢]

وما كنت لديهم : الحديث عن إخوة يوسف حين مكروا بأخيهم ووضعوه في الجب وباعوه بثمن بخس دراهم معدودة .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾

[الرعد : ٨ - ١٠]

تغيض الأرحام : تكف عن الحمل بالعقم أو الكبر ، أو تسقط قبل إتمام الحمل .

تزداد : تزيد علي التسعة أشهر ، أو تزداد في عدد الأجنة .

سارب : ظاهر في الطرقات .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [الرعد : ٤٢]

مكر الذين من قبلهم : أي من قبل كفار قريش .

لله المكر جميعا : أي مخلوق له مكر الماكرين ، فلا يضر إلا بإذنه

لمن عقبى الدار : أي عاقبة دار الدنيا ثوابا وعقابا ، أو لمن الثواب والعقاب في الدار الآخرة .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [إبراهيم : ٣٨]

هذه الآية وردت علي لسان إبراهيم عليه السلام .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [النحل : ٧٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٢٦]

أبصر به وأسمع : أسلوب تعجب يعني أنه لا يوجد أبصر وأسمع من الله تعالى .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه : ٧]

يعلم السر وأخفى : يعلم خطرات النفس .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴾

[الأنبياء : ١١٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

[المؤمنون : ٩٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل : ٦٥]

أيان يبعثون : متى يبعثون

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [النمل : ٧٥]

غائبة : أمر مغيب.

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ٤٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [السجدة : ٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبا : ٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ [سبا : ١٤]

دابة الأرض : حشرة تأكل الخشب اسمها الأرضة .

منسأته : عصاه .

خرَّ : سقط على الأرض بعد موته .

الحديث في الآية عن سليمان عليه السلام حين مات وهو متكيء على عصاه، وكان الجن يقومون بعمل كلفهم إياه ، فظلوا يعملون وهو ميت ولا يعلمون بموته حتى أكلت الأرضة عصاه فسقط .. فعند ذلك عرفوا موته .. وفى هذه الآية رد على من يزعم أن الجن يعلمون الغيب .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ [سبأ : ٤٨]

يقذف بالحق : يدفع بالحق علي الباطل فيمحوه ..

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [فاطر : ١١]

ما يعمر من معمر : ما يمتد العمر بإنسان .

لا ينقص من عمره : لا ينقص من عمر غيره .

إلا فى كتاب : فى اللوح المحفوظ .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [فاطر : ٣٨]

بذات الصدور : أى ما يوجد في القلوب المستكنة فى الصدور .

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [الزمر : ٤٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤٧]

أكمامها : أوعيتها . جمع كُم وهو وعاء الثمرة أو الزهرة .

آذناك : أعلمناك .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحجرات : ١٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴾ [ق : ٤]

المعنى

الله تعالى يعلم ما تأكله الأرض من أجسادهم بعد الموت ، ولا يغيب عنه شيء من ذلك ، وعنده كتاب فيه تسجيل دقيق يحفظ جميع الأشياء والأعمال وهو اللوح المحفوظ .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ق : ١٦]

حبل الوريد : عرق في العنق يجرى فيه الدم ويعود إلى القلب .

* وفي قوله تعالى : ﴿ ... يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

[الحديد : ٤]

يلج في الارض : يدخل فيها من مطر وغيره .

يخرج منها : من نباتات وغيرها

يعرج : يصعد .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة : ٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [التغابن : ٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ [الجن : ٢٦ ، ٢٧]

* * *

من أمور الغيب

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء : ٨٥]

سبب نزول الآية

عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : كنت أمشى مع النبى ﷺ بالمدينة وهو متوكيء على عسيب ، فمر بنفر من يهود ، فقال بعضهم : لو سألتموه ؟ فقالوا : حدثنا عن الروح ، فقام ساعة ورفع رأسه ، فعرفت أنه يوحى إليه ، حتى صعد الوحى ، ثم قال : الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا .. لباب النقول ، نقلا عن البخارى .

* * *

مواضع ذكر الروح فى القرآن

* وفى قوله تعالى : ﴿ ... الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ... ﴾ [النساء : ١٧١]

كلمته القاها : هى قوله كن ، تصديقا لقوله تعالى : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » .

روح منه : سر من الله كسائر الأرواح التى خلقها ، وأضافة إلى نفسه للتفضيل والتكريم .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [الحجر : ٢٩]

الروح : شيء نورانى عجيب من خلق الله تعالى ، وأضاف الروح إلى نفسه إضافة خلق إلى خالق ، وهذا تشريف لآدم عليه السلام المتحدث عنه فى الآية الكريمة .

* وفى قوله تعالى : ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ [النحل : ٢]

الروح هنا : هو الوحي تنزل به الملائكة على الرسل عليهم السلام .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء : ٨٥]

الروح هنا : هو ما تحيا به المخلوقات ، فإذا فارقت الجسد مات صاحبه .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم : ١٧]

فاتخذت : الضمير في الفعل يعود على مريم حين أرادت اعتزال الناس حتى لا يشغلوها عن العبادة ، فجعلت بينها وبينهم سترا يحجبها عنهم .

روحنا : الروح هنا هو جبريل عليه السلام .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٩١]

الحديث فى الآية عن مريم عليها السلام .

أحصنت فرجها : حفظت فرجها عن الحلال والحرام

نفخنا فيها من روحنا : وضعنا فيها سرا من أسرارنا.

وجعلنا وابنها آية : جعلناها معجزة ، وآية الإعجاز فيها أنها حملت من غير زوج ، وآية الإعجاز فيه أنه ولد من غير أب .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء : ١٩٣ ، ١٩٤]

الروح الأمين : هو جبريل عليه السلام ، نزل بالقرآن العظيم على قلب النبي ﷺ .

* وفي قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة : ٩]

سواه : أي قومه وجعله بشرا سويا .

نفخ فيه من روحه : وضع فيه سرا من أسراره ، أي جعله حيا حساسا بعد أن كان جمادا .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [ص : ٧٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ ﴾ [غافر : ١٥]

رفيع الدرجات : أي رفيع الصفات ، وهو وصف لله تعالى .

الروح : الوحي ، سمي الوحي روحا لأنه كالروح بالنسبة للجسد .

يوم التلاق : يوم القيامة ، حيث يلتقي الخلائق جميعا .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى : ٥٢]

الروح هن هو القرآن ، وسمى روحا لأن القلوب تحيا به .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة : ٢٢]

يوادون : يوالون ويناصرون . حاد الله : عادى الله .

أيديهم بروح منه : الروح هنا الإيمان ، أو النور ، أو قوة العقيدة .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ [التحريم : ١٢]

القانتين : الطائعين العابدين .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج : ٤]

تعرج : تصعد ـ الروح : جبريل عليه السلام .

يوم كان مقداره خمسين ألف سنة : هو يوم القيامة .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النبأ : ٣٨]

الروح : جبريل عليه السلام .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ [القدر : ٤]

الروح جبريل عليه السلام .

فيها : أى فى ليلة القدر ، حيث تنزل الملائكة وجبريل عليهم السلام إلى الأرض بأمر ربهم .

لقد تناولت الآيات السابقة معنى الروح ، وبعضها يشير إلى جبريل عليه السلام ، وبعضها يشير إلى ما تحيا به الخلائق ، وبعضها يشير إلى ما يوحى ، وبعضها يشير إلى القرآن .

* * *

روح القدس

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ... ﴾ [البقرة : ٨٧]

الكتاب : التوراة

قفينا : أتبعنا . - روح القدس : جبريل عليه السلام .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ... ﴾

[البقرة : ٢٥٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً ﴾ [المائدة : ١١٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل : ١٠٢]

نزله روح القدس : أى نزل جبريل المطهر من الأوناس عليه السلام القرآن العظيم تنزيلا من عند الله .

* * *

النفس : جاءت بمعنى الروح

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة : ٥٥]

الحديث فى الآية عن المنافقين

تزهق أنفسهم : يموتون وتزهق أرواحهم .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة : ٨٥]

دلائل لقدرة الله في خلق الأنفس

* وفي قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ٦]

هذه الآية تشير إلى تعظيم الله تعالى وعظيم قدرته

كيف يشاء يعني من حسن وقبح ، وسواء وبياض ، وطول وقصرر ، وسلامة وعاهة إلى غير ذلك من الشقاء والسعادة .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٦]

يصدفون : يعرضون عن الحق .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام : ٩٨]

نفس واحدة : هي آدم عليه السلام .

فمستقر : أي في الرحم ، أو على ظهر الأرض .

مستودع : أي صلب الرجل ، أو باطن الأرض بعد الموت .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ﴾ [الرعد : ٨]

تغيض الأرحام : تنقض الأرحام بخروج الاولاد ، ومدة الحمل ، ونقص الأعضاء ، وظهور الحيض ...

وما تزداد : وما تمر به الإجنة من أطوار النمو يوم بعد يوم .

* وفي قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾

[النحل : ٤]

النطفة : ماء الرجل

خصيم : شديد الخصومة والجدل ... وكان الأولى به أن يتذاكر أصله فيتواضع لله عز وجل ، ويسارع إلى الإيمان ، ويشكر نعمته وفضله .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [النحل : ٧٠ ، ٧١]

يرد إلى أرذل العمر : أى يشيخ ويهرم وينقص قوته وعقله .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ [النحل : ٧٢]

من أنفسكم أزواجا : خلق حواء من آدم ، أى جعل لكم من جنسكم أزواجا وفى هذا رد على العرب التى كانت تعتقد أنها كانت تتزوج الجن .

حفدة : جمع حفيد ، والحفدة هم الخدم والأعوان ، وقيل : هم أولاد الأولاد

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ [الحج : ٥]

العلقة : الدم الجامد .

مضغة : لحمة قليلة ، قدر ما يمضغ .

حديث شريف

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق :« إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ، ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد ..»

رواه البخارى

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [النور : ٤٥]

لطيفة

قدم الله تعالى فى الآية ما هو أظهر وأعجب فى القدرة ، وهو الماشى بغير آلة من رجل وقوائم ، ثم الماشى على رجليه ، ثم الماشى على أربع ..

- تفسير البحر لأبى حيان -

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾

[الروم : ٢٠ ، ٢١]

حول الآيتين

خلقكم من تراب : إشارة إلى الأصل وهو آدم عليه السلام ، خلقه الله من تراب ، ثم جعل التناسل منه عن طريق التزاوج بين ذكر وأنثى ، قال تعالى : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ [السجدة : ٧ ، ٨]

جعل لكم من أنفسكم أزواجا : إشارة إلى أن الأزواج بين ذكر وأنثى من نفس الجنس ، ولو كان الإناث من جنس والذكور من جنس آخر لما حصل الائتلاف والمودة والسكن ، ولكن تحدث النفرة والعداء .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ [الروم : ٥٤]

حول الآية

تشير الآية إلى أطوار خلق الإنسان ، الذي خلق ن شيء ضعيف جدا وهو النطفة ، ثم تحولت إلى علقة فمضغة ، ثم ركب فيها العظم وكسيت لحما ، ونزلت من الرحم طفلا ظل يشتد حتى قوى وما يزال يقوى حتى يتحول بعد ذلك إلى شيخ ضعيف واهن القوى . ذلك من آيات الله ودلائل قدرته .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة : ٧ - ٩]

لطيفة

أضاف الحق تعالى الروح إلى نفسه تشريفا للإنسان ، وإيذانا بأنه خلق عجيب ، وصنع بديع وأن له شأنا جليلا مناسبا إلى حضرة الربوبية

- تفسير أبي السعود -

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [الزمر : ٦]

ثمانية أزواج : هو الإبل ، والبقر ، والغنم ، والمعز ، ومن كل ذكر وأنثى ، كل واحد منها زوج ، سميت أزواجا لان الذكر زوج الأنثى والأنثى زوج الذكر .

وقوله أنزل : إشارة إلى نزول امره وقضائه .

ظلمات ثلاث : هي ظلمة البطن والرحم والمشيمة .

جاء في ظلال القرآن : في ظلمات ثلاث : هي ظلمة الكيس الذى يغلف الجنين ، وظلمة الرحم الذى يستقر فيه الجنين ، وظلمة البطن الذى يستقر فيه الرحم ، ويد الله تخلق هذه الخلية الصغيرة ، وعين الله ترعى هذه الخليقة وتودعها القدرة على النمو ، والقدرة على التطور ، والقدرة على الارتقاء كما قدر لها بارئها ـ سبحانه وتعالى ـ ـ صفوة التفاسير ـ

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : ٥٣]

حول الآية

تشير الآية إلى قدرة الله تعالى التى تظهر دلائلها في الآفاق وفي الأنفس والأكوان كل يوم وستظل هذه الدلائل تظهر إلى ما شاء الله ، حتى يدرك الجهال قدرة الله ويعرفون أنه الحق الواحد الاحد القاهر القادر ، وأنه لا شريك له.

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [الجاثية : ٤]

المعنى

يبث : ينشر ، والدابة ، كل ما يدب على وجه الأرض

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات : ٢١]

المعنى

في أنفسكم آيات وعبر من مبدأ خلقكم إلى منتهاه ، أفلا تبصرون ؟ أى ألا تدركون قدرة الله في خلقكم لتعرفوا قدرة الله على البعث . قال قتادة : من تفكر في خلق نفسه عرف أنه إنما خلق للعبادة ، وقال أحد الحكماء : من عرف نفسه عرف ربه .

مراتب النفس

أ ـ الأمارة بالسوء . فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [يوسف : ٥٣]

حول الآية

وردت هذه الآية على لسان امرأة العزيز . تقول : لقد راودت يوسف عن نفسه ، ولست أبرىء نفسى فإن النفس تتحدث وتتمنى ولهذا راودته فإن النفس أمارة بالسوء إلا ما زعم ربى .

وقيل : إنها جاءت على لسان يوسف عليه السلام . ولكن الأظهر والأنسب أنها جاءت على لسان زليخا امرأة العزيز .

* * *

ب ـ اللوامة . فى قوله تعالى : ﴿ لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝ وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ [القيامة : ١ ، ٢]

لا زائدة لتأكيد القسم ، والمقسم به يوم القيامة والنفس اللوامة التى تلوم صاحبها على ما يرتكبه من ذنوب وعلى تقصيره فى الطاعات ، فهى يقظة دائما لما فيه النفع لصاحبها .

والمقسم عليه هو البعث وأنه حقيقة لا شك فيها ، وسيأتى فى الآيات التالية .

قال الحسن البصرى : نفس المؤمن هو اللوامة ، لأنه دائما يلوم نفسه ، فى الطاعة يقول : لماذا لم أزدد ؟ وفي المعصية يقول : لماذا فعلت ؟ أما الكافر فهو سادر في المعصية لا يبالى . ـ صفوة التفاسير ـ

* * *

جـ المـلهـمة . في قـوله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ [الشمس : ٧ ، ٨]

يقسم الله تعالى بالنفس الإنسانية التي أحكم خلقها وعرفها طريق الخير وحثها عليه ، وعرفها طريق الشر وحذرها منه .

وجواب القسم قوله بعد : قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها .

* * *

د ـ الراضية . في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ [الفجر : ٢٧ ، ٢٨]

هـ ـ المرضية . في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ [الفجر : ٢٧ ، ٢٨]

و ـ المطمئنة . في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾

[الفجر : ٢٧]

حديث شريف

عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لرجل « **قل اللهم إني أسألك نفسا بك مطمئنا تومن بلقائك وترضى بقضائك وتقنع بعطائك** »

ـ تفسير ابن كثير ـ

النفس الكاملة : يقول العلماء وهناك النفس الكاملة التي جمعت كل الصفات المثلى ، ولم تتوفر إلا في النبي ﷺ الذي جمع كل صفات الكمال ، وامتدحه ربه تعالى بقوله : « **وإنك لعلى خلق عظيم** »[القلم : ٤]

محاسبة النفس

فى الدنيا

* فى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة : ١٠٥]

حديث حول هذه الآية

جاء في مسند الإمام احمد من حديث قيس قال : قام ابو بكر الصديق رضى الله عنه ، فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال : ايها الناس إنكم تقرءون هذه الآية « يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ... » وإنكم تضعونها على غير موضعها ، وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه يوشك الله - عز وجل - أن يعمهم بعقابه » وسمعت ابا بكر يقول : يأيها الناس إياكم والكذب فإن الكذب مجانب للإيمان .

وعن أبي أمية الشعباني قال : اتيت ابا ثعلبة الخشنى فقلت له : كيف تصنع فى هذه الآية ؟ قال : أيَّةُ آية ؟ قلت : قول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ... » قال : اما والله لقد سالت عنها خبيرا ، سالت عنها رسول الله ﷺ فقال : « بل ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوًى متبعا ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام ، فإن من ورائكم أياما الصابر فيهن مثل القابض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون كعملكم » رواه الترمذى وقال : حسن غريب صحيح.

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴾ [طه : ٥٤]

النهى : العقول ، جمع نُهية

وأصحاب العقول هم الذين يحاسبون أنفسهم .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴾ [طه : ١٢٨]

أفلم يهد لهم : أفلم يتبين لهم .

لآيات لأولى النهى : لدلالات لأصحاب العقول فيتذكرون ويتدبرون وينصحون أنفسهم ولا يغترون كما اغتر هؤلاء الأقوام الضالون السابقون ، فيهلكون كهلاكهم .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [الحشر : ١٨ ، ١٩]

حول الآيتين

ولتنظر نفس ما قدمت لغد : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الاعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم .

أنساهم أنفسهم : أنساهم محاسبة النفس فلم ينتبهوا إلى ما يجب عليه حول العمل لصالح أنفسهم التى تنفعهم فى آخرتهم .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ [القيامة : ٢]

النفس اللوامة هى التى تلوم صاحبها وتحاسبه على التقصير والتفريط .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات : ٤٠ ، ٤١]

خاف مقام ربه : خاف القيام بين يديه .

نهى النفس عن الهوى : حاسبها ونهاها عن أتباع الهوى وردها إلى الطاعة وفعل الصالحات .

* * *

في الآخرة

* وفى قوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء : ١٤]

يوم القيامة يتناول كل إنسان صحيفة أعماله التى سجل الشاهدان فيها كل أعماله فى الدنيا ، فيقرؤها ويحاسب نفسه بنفسه .

* * *

لوم النفس

* وفى قوله تعالى : ﴿ وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان عليكم من سلطان إلا أن وعدتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى إنى كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب إليم ﴾ [البقرة : ٤١]

لما قضى الأمر : حين قامت الساعة وتقدمت الخلائق للحساب .

بمصرخكم : بمغيثكم . - بمصرخي : بقادرين على إغاثتي .

الشيطان في الآية يطلب من أوليائه ألا يوجهوا اللوم إليه لأنه أغواهم ، بل يقول لهم : لوموا أنفسكم لأنكم أطعتموني وأنتم تعلمون عداوتي لكم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ [القيامة : ٢]

اللوامة : صيغة مبالغة من اللوم أي كثيرة اللوم لصاحبها في الخير والشر ...

وهي صفة طيبة للنفس ..

* * *

تزكية النفس

* وفي قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٩]

هذا الدعاء على لسان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يرجون الله تعالى أن يبعث في العرب رسولا منهم يقرأ عليهم القرآن ويعلمهم الكتاب والحكمة ويطهرهم . وقد استجاب الله الدعاء ، ولذلك كان النبي ﷺ يقول : « أنا دعوة إبراهيم » .

يزكيهم يطهرهم .

* وفي قوله تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾

[البقرة : ١٥١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٣٢]

لا تعضلوهن : لا تمنعوهن

سبب نزول الآية

روى البخاري وأبو داود والترمذي وغيرهم عن معقل بن يسار أنه زوج أخته رجلا من المسلمين ، فكانت عنده ثم طلقها تطليقة ولم يراجعها حتى انقضت العدة ، فهويها وهويته ، فخطبها مع الخطاب ، فقال له معقل : يا لكع ، اكرمتك بها وزجتكها فطلقتها ، والله لا ترجع إليك أبدا ، فعلم الله حاجتها إليه وحاجته إليها فانزل الله الآية . فلما سمعها معقل قال : سمعاً لربي وطاعة، ثم دعاها وقال : ازوجك واكرمك - وهي في أسباب النقول -

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران : ١٦٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء : ٤٩]

يزكون أنفسهم : يمدحونها بالباطل بادعاء فضائله ليس فيهم .

سبب نزول الآية

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كانت اليهود يقدمون صبيانهم يصلون

بهم ويقربون قربانهم ويقولون : لا خطايا لهم ولا ذنوب فانزل الله الآية .

ـ لباب النقول ـ

وقال بعض العلماء : نزلت في اليهود والنصارى الذين كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه .

لا يظلمون فتيلا : أى لا يظلمون أقل الظلم ، والفتيل هو الخيط الذى فى نواة التمر يضربه به المثل فى الصغر والقلة .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٠٣]

سبب النزول

نزلت فى بعض الذين تخلفوا عن تبوك ، وتابوا واعتذروا ، ومنهم من ربط نفسه في سوارى المسجد .. ومن هولاء أبو لبابة ومرداس وأوس بن خذام وثعلبة بن وديعة .

وروى جابر قال : كان ممن تخلف عن رسول الله ﷺ في تبوك ستة : أبو لبابة ، وأوس بن خذام ، وثعلبة بن وديعة ، وكعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية .

فجاء أبو لبابة وأوس وثعلبة فربطوا أنفسهم بالسوارى ، وجاءوا بأموالهم فقالوا : يا رسول الله ، خذ هذا الذى حبسنا عنك ، فقال : لا أحلهم حتى يكون قتال ، فنزل قوله تعالى : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم ... إلى آخر الآيتين.. لباب النقول .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴾ [الكهف : ٧٤]

الحديث في الآية عن موسى عليه السلام والخضر ، حيث قتل الخضر غلاما صغيرا فانكر عليه موسى ذلك ، وقال له : كيف تقتل نفسا طاهرة بدون ذنب ارتكبته ؟ لقد فعلت فعْلا منكرا .

نفسا زكية : نفسا بريئة لم ترتكب إثما ولم تقتل أحدا فتستحق القصاص منها .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾

[مريم : ١٩]

الآية جاءت على لسان جبريل عليه السلام يخاطب مريم قائلا لها : إنما أنا رسول ربك إليك لابشرك بانك ستلدين غلاما طاهرا .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [طه : ٧٥ ، ٧٦]

الدرجات العلا : المنازل العالية في الجنة .

من تزكى : من تطهر من الذنوب والآثام والكفر .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ

خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٢١]

حول الآية

جاءت هذه الآية فى سياق الآيات التى نزلت فى حادث الإفك ، وهى تحذر من اتباع خطوات الشيطان الذي يأمر بالفحشاء والمنكر ، والله تعالى بفضله ورحمته هو الذى وفق الخائضين فيه للتوبة وطهر القائلين بالحد الذى أقيم عليهم، والله هو الذى يزكى . من يشاء ويردى من يشاء ..

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٢٨]

هذه الآية جاءت فى سياق الآداب الاجتماعية التى شرعها الإسلام ، ومن الآداب الاجتماعية الاستئذان عند دخول البيوت قبل أن يدخلوها ..

حديث الشريف

روى أنس بن مالك رضى الله عنه قال : استأذن النبى ﷺ على سعد بن عبادة فقال : « **السلام عليك ورحمة الله . فقال سعد : وعليك السلام ، ولم يسمع النبى ﷺ حتى سلم ثلاثا ، ورد عليه سعد ثلاثا ولم يسمعه ، فرجع النبى ﷺ ، وأتبعه سعد ، فقال : يا رسول الله بأبى أنت وأمى ، ما سلمت تسليمه إلا وهى بأذنى ، ولقد رددت عليك ولم أسمعك ، وأردت أن أستكثر من سلامك ومن البركة ، ثم أدخله البيت ، فقرب إليه زبيبا ، فأكل نبي الله ﷺ فلما فرغ قال : « أكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة ، وأفطر عندكم الصائمون** » رواه الإمام أحمد فى مسنده .

وجاء فى الصحيح : استأذن أبو موسى الأشعرى على عمر - رضى الله عنه - ثلاثا ، فلم يؤذن له فانصرف ، ثم قال عمر : ألم أسمع صوت عبد الله بن

قيس يستأذن ؟ ائذنوا له ، فطلبوه فوجدوه قد ذهب ، فلما جاء بعد ذلك قال: ما أرجعك ؟ قال: إني استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لى ، وإنى سمعت النبى ﷺ يقول : « إذا استأذن أحدكم فلم يؤذن له فلينصرف » فقال عمر : لتأتينى علي هذا ببينة ووإلا أوجعتك ضربا ، فذهب إلى الملأ من الأنصار ، فذكر لهم ما قال عمر ، فقالوا : لا يشهد إلا أصغرنا ، فقام معه أبو سعيد الخدرى ، فأخبر عمر بذلك ، فقال : الهانى عنه الصفق بالأسواق » . ـ تفسير ابن كثير ـ

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور : ٣٠]

وهذا أدب اجتماعي آخر يتمثل فى وجوب غض البصر عن كل ما لا يحل النظر إليه ، ووجوب المحافظة علي الفروج ، فإن فى ذلك الطهارة الكاملة .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [فاطر : ١٨]

إن تدع مثقلة إلى حملها : إن تدع نفس مثقلة بالذنوب والأوزار أحدا ليحمل عنها شيئا لا يحمل منه شيء : أى لا يحمل أحدا عنها شيئا .

يخشون ربهم بالغيب : يخافون ربهم وهم لا يرونه .

تزكى : تطهر .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة : ٢]

الأميين : العرب الأميين الذين لا يقرءون ولا يكتبون .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴾ [النازعات : ١٨]

المخاطب ـ قل هو موسى عليه السلام .

والمخاطب بهل لك ـ هو فرعون لعنه الله .

يطلب الله تعالى من نبيه موسى عليه السلام أن يتوجه إلى فرعون ويدعوه إلى أن يزكى نفسه ويطهرها من الشرك والاستبداد بالإيمان بالله تعالى وعبادته .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴾ [عبس : ٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّىٰ ﴾ [عبس : ٧] .

يزكى في الآية الاولى ، هو عبد الله بن أم مكتوم الذى توجه إلى النبى ﷺ يطلب منه أن يعلمه ويرشده .

وألا يزكى فى الآية الثانية هو رجل من عظماء قريش عرض النبى ﷺ الإسلام فأبى أن يسلم .

سبب نزول الآيات

روى أن النبى ﷺ كان مشغولا مع بعض صناديد قريش يدعوهم إلى الإسلام، وكان يطمع فى إسلامهم رجاء أن يسلم أتباعهم ، فبينما رسول الله

ﷺ مشتغل بمن عنده من وجوه قريش جاء إليه عبد الله بن أم مكتوم ، وهو أعمى ، فقال : يا رسول الله ، علمني مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم أن رسول الله ﷺ مشغول بهؤلاء المشركين ، فكره رسول الله ﷺ قطعه كلامه ، وعبس وأعرض عنه .. فنزلت الآيات الأولى من سورة عبس .

ـ صفوة التفاسير ـ

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [الأعلى : ١٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [الشمس : ٩ ، ١٠]

زكاها : أي زكى نفسه وطهرها من الرجس والذنب والكفر .

دساها : أهمل تهذيب نفسه وتطهيرها .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴾ [الليل : ١٧ ، ١٨]

سبب النزول

قال بعض الرواة : نزلت الآيتان في حق أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : عذب المشركون بلالا ، وبلال يقول : أحد أحد ، فمر به النبي ﷺ فقال : أحدٌ يعنى الله تعالى ينجيك ثم قال لأبي بكر : يا أبا بكر إن بلالا يعذب في الله . فعرف أبو بكر الذى يريد رسول الله ﷺ ، فانصرف إلى منزله فأخذ رطلا من ذهب ، ومضى به إلى أمية بن خلف ، فقال له : الا تبيعني بلالاً ؟ قال : نعم ، فاشتراه فأعتقه .

فقال المشركون : ما أعتقه أبو بكر إلا ليد كانت له عنده . فأنزل الله تعالى :
﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ⑲ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴾

وأخرج ابن جرير : كان أبو بكر يعتق على الإسلام بمكة ، فكان يعتق عجائز ونساء رذا أسلمن ، فقال له أبوه : أى بنى ، أراك تعتق أناسا ضعافا ، فلو أنك تعتق رجالا جلداء يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك ؟

فقال : أى أبت ، إنما أريدها عند الله ، قال : فحدثني بعض أهل بيتى أن هذه الآية نزلت فيه ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ⑤ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ .

ـ الدر النظيم فيما ورد من أخبار حول آي الذكر الحكيم جـ١ صـ١٥٥ .

* * *

النفس : ذات الشيء

* فى قوله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٤٤]

المخاطب فى الآية أحبار اليهود الذين يقرءون التوراة ، ويحثون الناس على الخير وهم أبعد الناس عنه .

حديث حول ذلك

روى ابن عساكر في ترجمة الوليد بن عقبة عن النبى ﷺ قال : « **إن أناسا من أهل الجنة يطلعون على أناس من أهل النار فيقولون : بم دخلتم النار ؟ فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم . فيقولون : كنا نقول ولا نفعل** ».

وروى الإمام أحمد عن أسامة عن النبى ﷺ قال : « **يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق به أقتابه ، فيدور بها فى النار كما يدور الحمار برحاه ، فيطيف به أهل النار فيقولون : يا فلان ما أصابك ؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ فيقول : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه** » .		ورواه الشيخان .

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ [البقرة : ٨٤]

المخاطب فى الآية اليهود .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [البقرة : ٩٠]

حول الآية

بئسما اشتروا به أنفسهم : بئسما اعتاضوا لأنفسهم فرضوا به وعدلوا إليه من كفر .

الحديث فى الآية عن اليهود الذين كفروا بمحمد ﷺ وما أنزل عليه ، وهم يعرفون أنه حق ، فقد أخبرت التوراة التى فى أيديهم بذلك .

بغيا : ظلما ـ باءوا : رجعوا .

بغضب على غضب : غضب لاحق وهو كفرهم بما نزل علي محمد ﷺ ، وغضب سابق لتحريفهم التوراة .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ ... وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٠٢]

الضمير فى شروا : يعود على الشياطين الذين يعلمون الناس السحر .

وشروا : بمعنى باعوا .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [البقرة : ١٣٠]

من يرغب .. : الاستفهام في الآية يفيد النفي ، والمعنى : لا يعدل عن ملة إبراهيم .

سفه نفسه : جهل أمر نفسه فلم يفكر فيها .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [البقرة : ٢٠٧]

يشرى نفسه : يبيع نفسه .

فيمن نزلت الآية ؟

عن سعيد بن المسيب قال : أقبل صهيب مهاجرا إلى النبى ﷺ ، فأتبعه نفر من قريش ، فنزل عن راحلته وانتثل ما في كنانته ثم قال : يا معشر قريش ، لقد علمتم أنى من أرماكم رجلا ، وايم الله لا تصلون إليّ حتى أرمى كل سهم معى فى كنانتى ، ثم أضرب بسيفى ما بقي فى يدى منه شيء ، ثم افعلوا ما شئتم ، وإن شئتم دللتكم على مالى بمكة وخليتم سبيلى ، قالوا : نعم . فلما قدم على النبى ﷺ المدينة قال : « ربح البيع أبا يحيى ، ربح البيع أبا يحيى » . ونزلت الآية - لباب النقول -

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ

دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٢٨]

يتربصن : ينتظرن بغير زواج .

ثلاثة قروء : ثلاث حيضات . جمع قرء وهو الحيضة

بعولتهن : أزواجهن .

للرجال عليهن درجة : لهن منزلة زائدة هي درجة القوامة .

* * *

حديث لطيف

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : إنى لأحب أن أتزين لامرأتى كما تتزين لى ، لأن الله تعالى يقول : « **ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف** »

ـ صفوة التفاسير ـ

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة : ٢٣١]

بلغن أجلهن : أوشكن أن تنتهى عدتهن ـ بالنسبة للطلاق الرجعى ـ

أمسكوهن : أرجعنهن . ـ سرحوهن : فارقوهن .

سبب النزول

عن ابن عباس رضي الله عنهما : كان الرجل يطلق امرأته ثم يراجعها قبل انقضاء عدتها ، ثم يطلقها ، يفعل ذلك يضارها ويعضلها ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وأخرج السدى قال : نزلت في رجل من الانصار يدعى ثابت بن يسار طلق امرأته حتى إذا انقضت عدتها إلا يومين أو ثلاثة راجعها ، ثم طلقها مضارة لها. فأنزل الله تعالى : « **ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا** » - لباب النقول -

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ [البقرة : ٢٣٤]

حول الآية

تشير الآية إلى عدة المتوفى عنها زوجها ، وما يجب عليها بعد وفاة الزوج . فعدتها أربعة أشهز وعشرة أيام . إن لم تكن حاملا فعدتها نزول الحمل .

ويجب عليها في خلال هذه المدة ملازمة المنزل وعدم الخروج منه وعدم التزين وتعرف هذه الفترة بفترة الإحداد .

حديث

عن أم حبيبنه وزينب بنت جحش - رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « **لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا علي زوج أربعة أشهر وعشر** » رواه الشيخان .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [البقرة : ٢٤٠]

حكم هذه الآية

قال أكثر العلماء : هذه الآية منسوخة بالآية السابقة التى تقول : « **يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا** »

وقال بعضهم : إنه ليس نسخا ، ولكنها من باب الوصاة بالزوجات أن يُمكَّن من السكنى فى بيوت أزواجهن بعد وفاتهم حولا كاملا إن اخترن ذلك . يدل على ذلك قوله تعالى : « **وصية لأزواجهم** » ولا يمنعن من ذلك لقوله « **غير إخراج** » .

فإذا انقضت العدة بالأربعة أشهر والعشر أو بوضع الحمل واخترن هن الخروج والانتقال من ذلك المنزل فلا يمنعن من ذلك . ـ تفسير ابن كثير ـ

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ **وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [البقرة : ٢٦٥]

* وفى قوله تعالى : ﴿ **لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ** ﴾ [البقرة : ٢٧٢]

* وفى قوله تعالى : ﴿ **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ** ﴾ [آل عمران : ٦١]

فمن حاجك فيه : أى فى أمر عيسى بن مريم .

نبتهل : ندعوا الله خاشعين .

تسمى هذه الآية آية المباهلة .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾

[آل عمران : ٩٣]

إسرائيل : هو يعقوب عليه السلام .

كان يعقوب عليه السلام قد مرض ، فنذر إن عافاه الله تعالى ألا يأكل لحوم الإبل ، فشفي فوفى بنذره ، فحرم اليهود لحوم الإبل ، وزعموا أن الله حرمها ، فرد الله عليهم بأنه تعالى لم يحرمها . وليس في التوراة نص يحرمها .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران : ١٦٤]

من لطائف القراءات في الآية

قرأبعض الرواة : أنفسهم - بفتح الفاء - أنْفَسهم - من النفاسة ، أي من أفضلهم وأحسنهم وأعظمهم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [آل عمران : ١٧٨]

نملي لهم : نمهلهم بدون عقاب ، ونمدهم بطول العمر ورغد العيش .

حديث شريف

قال ﷺ : « **إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته** » .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ١١٠]

تشير الآية إلى سعة رحمة الله وعظم عفوه .

عن أبي ذر - رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ذاك جبريل أتاني فقال : من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة** ». قال أبو ذر : قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : « **وإن زنى وإن سرق** » وفي رواية : « **وإن زنى وإن سرق رغم أنف أبي ذر** » وكان أبو ذر يحدث بهذا الحديث ويقول : وإن رغم أنف أبي ذر -

رواه البخارى فى الرقاق ، ومسلم فى الزكاة ، ورواه أحمد فى مسنده.

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١١١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾ [النساء : ١١١]

طائفة منهم : هم بعض المنافقين ومنهم بنو أبيرق ، وقيل : هم أسيد بن عروة وأصحابه الذين أثنوا على بنى أبيرق ولاموا قتادة بن النعمان وهو من صالحي الصحابة رضى الله عنه .

سبب النزول

هذهالآية والآيات التى قبلها نزلت في جماعة هم بنو أبيرق سرقوا بيت عم قتادة بن النعمان وحاولوا التخلص من هذه الجريمة وإلقاءها على رجل صالح اسمه لبيد بن سهل ، وحاولوا تزيين ذلك وإثباته بالباطل . .

- راجع ما ذكره السيوطى حول ذلك في لباب النقول -

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾

[النساء : ١٣٥]

حول الآية

تشير الآيةإلى وجوب العدل وعدم الحيف في الحكم . ووجوب أداء الشهادة وعدم القعود عنها ولو كانت على نفس الشاهد أو أقرب الناس إليه .

تلووا : تحرفوا الشهادة .

تعرضوا : تتركوا أداء الشهادة وتكتموها .

حديث شريف

جاء في الصحيح : « خير الشهداء الذى يأتي بالشهاد قبل أن يُسألها » - تفسير ابن كثير -

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [المائدة : ٢٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة : ١٠٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام : ٢٠]

يعرفونه : أى يعرفون النبى ﷺ .

الذين خسروا أنفسهم : هم أهل الكتاب الذين يكذبون بمحمد ﷺ بعد أن أخبرتهم التوراة والإنجيل به ..

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا

كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام : ٩٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ [الأنعام : ١٠٤]

بصائر : دلائل وبراهين . - أبصر : اهتدى - حفيظ : رقيب .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٣]

أكابر مجرميها : هم الفساق والفجار والزعماء الكافرون .

ليمكروا فيها : ليصدوا الناس عن الإيمان .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ [الأنعام : ١٣٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف : ٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُوْلَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾

[الأعراف : ٣٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأعراف : ٥٣]

تأويله : ما وعدوا به من العذاب يوم القيامة .

يوم يأتي تأويله : يوم القيامة

يفترون : يكذبون ، ويدعون من دعوى الشريك .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٩٢]

تتحدث الآية عن استحالة نصر الآلهة التي يعبدها المشركون لهم إذا استنصروا بها ، لأن هذه الآلهة عاجزة عن نصر نفسها فكيف تنصر غيرها .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٩٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ

وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [التوبة : ٣٥]

تحذر الآية من مغبة الاكتناز وعدم إنفاق الأموال فى سبيل الله تعالى وعلى المستحقين للصدقة والزكاة وعلى ذوى القربى واليتامى والمساكين .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاَّتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [التوبة : ٤٢]

عرضا قريبا : متاعا دنيويا سهل التناول .

سفرا قاصدا : سفرا سهلا معتدلا متوسطا .

الشقة : المسافة .

تتحدث الآية عن المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وتعللوا بأعذار واهية، ولكن الله فضحهم وأظهر خبايا أنفسهم .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [التوبة : ١٢٠]

نصب : تعب .

مخمصة : جوع

يطئون موطئا يغيظ الكفار : يدوسون بأقدامهم أو بخيولهم مكانا فيه مهانة للكفار وإذلال لهم يثير غيظهم .

هذه الآية تعتب على المتخلفين عن الغزو وتنعى عليهم سوء ما فعلوه ، وتبين لهم مقدار ما خسروا بتخلفهم عن الجهاد .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨]

عزيز عليه ما عنتم : يشق عليه تعبكم ومشقتكم .

والآية تشير إلى رحمة النبى ﷺ بامته ، وأنه جاء بدين سهل كله يسر ورحمة ، وقد قال النبى ﷺ : « **بعثت بالحنيفية السمحة** »

حديث شريف

قال ﷺ : « ما بقى شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بُيِّن لكم » - من تفسير ابن كثير -

وعن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - : « **إن الله لم يحرم حرمة إلا وقد علم أنه سيطلعها منكم مُطَّلع - ألا وإنى آخذ بحجزكم أن تهافتوا فى النار كتهافت الفراش أو الذباب** » . - رواه الإمام أحمد فى مسنده -

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [يونس : ١٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس : ٢٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلا نَفْعًا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [يونس : ٤٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [هود : ٢١]

تتحدث الآية عن المشركين ومدى خسارتهم يوم القيامة ، حين يحرمون الجنة، ويدخلون النار ، ولا يجدون آلهتهم التى كانوا يعبدونها فى الدنيا لتشفع لهم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ [يوسف : ٥٤]

الملك : هو ملك مصر فى أيام يوسف عليه السلام ، وكان من ملوك الهكسوس .

والضمير فى به : يعود على يوسف عليه السلام .

مكين : قوى ، وذو مكانة ومنزلة .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ

تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [الرعد : ١٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل : ٨٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾ [الإسراء : ٧]

الخطاب في الآية موجه إلى بني إسرائيل يحذرهم من الإساءة حتى لا يتعرضوا للنقمة كما انتقم منهم عقب إفسادهم السابق .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء : ١٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾

[الإسراء : ١٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ [الكهف : ٥١]

عضدا : عونا .

الضمير في أشهدتهم : يعود على إبليس وأتباعه من الغواة الضالين .

تشير الآية إلى قدرة الله تعالى ، وأنه هو الخالق المبدع الذي لم يشركه أحد في خلق أي شيء ، وأنه لم يشهد بعض المخلوقات على خلق بعض المخلوقات .. وأنه تعالى عن أن يتخذ معاونا وسندا .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾ [الأنبياء : ٤٣]

لهم : الضمير يعود على المشركين الذين يتخذون الأصنام آلهة دون الله .

والآية تشير إلى عجز هذه الأصنام عن منع عابديها مما يحيق بهم ، وهذه الأصنام لا تستطيع أن تنتصر لنفسها إن حلت بها النقمة .

ومعنى يصحبون : يُجارون من العذاب ، يقال : صحبك الله أي حفظك وأجارك .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [النور : ٦]

يرمون أزواجهم : يقذفونهم .

* * *

مناسبة الآية

أخرج البخارى من طريق عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبى ﷺ ، فقال له النبى ﷺ : « **البينة أو حد فى ظهرك** » . فقال : يا رسول الله ، إذا رأى أحدنا مع امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة ؟ فجعل النبى ﷺ يقول : « **البينة أو حد فى ظهرك** » فقال هلال : والذى بعثك بالحق إنى لصادق ولينزلن الله ما يبرىء ظهرى من الحد ، فنزل جبريل بالآية والآيات بعدها ..

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ **لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ** ﴾ [النور : ١٢]

الإفك : الكذب

نزلت الآية فى سياق آيات أخر تتحدث عن جريمة الإفك التى خاض فيها بعض المنافقين بزعامة عبد الله بن أبى سلول ضد السيدة عائشة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ ، وقد برأها الله مما رماها به أولئك الافاكون ، وتوعدهم الله بالنكال وسوء العذاب ..

والآية المذكورة تشير إلى ما كان يجب علي المؤمنين والمؤمنات من المسارعة إلى تكذيب هؤلاء المتقولين بالباطل ، المفترين على المؤمنين والمؤمنات الكذب .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ **لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ**

بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [النور : ٦١]

حرج : إثم -إخوانكم : إخوتكم جمع أخ .

ما ملكتم مفاتحه : البيوت الذى أذن لكم بالتصرف فيها من قِبَل أصحابها.

جناح : ذنب - جميعا : مجتمعين - أشتاتا : متفرقين .

سلموا على أنفسكم : إن كان بها أحد يُلْقى عليه السلام ، وإن لم يكن بها أحد يقول الداخل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

سبب نزول الآية

أخرج البزار بسند صحيح عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان المسلمون يرغبون فى السفر مع رسول الله ﷺ فيدفعون مفاتحهم إلى زمْناهم - أى مرضاهم ويقولون لهم: قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما أحببتم ، وكانوا - أى الزمنى - يقولون : إنه لا يحل لنا ، إنهم أذنوا لنا عن غير طيب نفس ، فأنزل الله « **ليس عليكم جناح** » إلى قوله : « **أو ما ملكتم مفاتحه** » .

- راجع : لباب النقول ، وفيه أسباب أخرى غير ما ذكرنا -

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا ﴾

[الفرقان : ٣]

* وفى قوله تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن

شكرَ فإنَّما يشكُرُ لنفسِهِ ومَن كفرَ فإنَّ ربِّي غنيٌّ كريمٌ ﴾ [النمل : ٤٠]

تتحدث الآية عن طلب سليمان عليه السلام ممن حوله أن يأتوه بعرش بلقيس قبل حضورها إليه ، فقال رجل من علماء أهل الكتاب ، قيل : إن اسمه : آصف بن برخيا أنا آتيك به أى بالعرش ، قبل أن يرتد إليك طرفك ، أى قبل أن يعود بصرك إليك ، والمعنى آتيك به في لمح البصر ..

وقد أتاه به فعلا ، فقد رأى سليمان عليه السلام العرش مستقرا أمامه .

فقال : هذا من فضل الله ليختبرنى : أأشكر أم أكفر ؟؟

ومعنى الكفر هنا جحود النعمة .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وأَنْ أتلُوَ القُرآنَ فمَنِ اهتدَىٰ فإنَّما يهتدِي لنفسِهِ ومَن ضلَّ فقُلْ إنَّما أنا منَ المُنذِرينَ ﴾ [النمل : ٩٢]

* وفى قوله تعالى : ﴿ومَن جاهدَ فإنَّما يُجاهِدُ لنفسِهِ إنَّ اللَّهَ لغنيٌّ عنِ العالَمينَ ﴾ [العنكبوت : ٦]

* وفى قوله تعالى : ﴿ ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون ﴾ [العنكبوت : ٢٨]

* وفى قوله تعالى : ﴿ النبيُّ أولَىٰ بالمُؤمنينَ مِن أنفُسِهِمْ وأزواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ وأُولُوا الأرحامِ بعضُهُمْ أولَىٰ ببعضٍ في كتابِ اللَّهِ منَ المُؤمنينَ والمُهاجرينَ إلاَّ أن تفعلُوا إلَىٰ أوليائِكُم معرُوفًا كانَ ذلِكَ في الكتابِ مسطُورًا ﴾ [الأحزاب : ٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ .. ﴾

[الاحزاب : ٥٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ ... وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾

[فاطر : ١٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ [الزمر : ١٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ [الزمر : ٤١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت : ٤٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾ [الشورى : ٤٥]

يعرضون عليها : أى على النار .

ينظرون من طرف خفى : يسترقون النظر من شدة الخوف .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [الجاثية : ١٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ [محمد : ٣٨]

يبخل عن نفسه : أى يبخل علي نفسه ، أى سيكون وبال ذلك راجعا عليه لا على غيره .

تتولوا : تعرضوا .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح : ١٠]

نكث : غدر ونقض عهده .

تشير الآية إلى بيعة الرضوان عام الحديبية .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الحجرات : ١١]

لا يسخر : لا يهزأ . ـ قوم : رجال

لا تلمزوا أنفسكم : لا تعيبوا أنفسكم ، ولا تغتابوا أنفسكم .

لا تنابزوا بالالقاب : لا ينادى بعضكم بعضا بالالقاب المكروهة .

سبب نزول الآية

أخرج أصحاب السنن الأربعة عن أبي جُبير بن الضحاك قال : كان الرجل منا يكون له الاسمان والثلاثة ، فيدعى ببعضها فعسى أن يكرهه . فنزلت : « **ولا تنابزوا بالألقاب** » قال الترمذي : حسن . ـ لباب النقول ـ

وقيل : نزلت في وفد بني تميم استهزءوا بفقراء الصحابة حين رأوا رثاثة حالهم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾ [الحديد : ٢٢]

مصيبة في الأرض : من آفة أو زلزلة أو خسف أو غير ذلك .

في أنفسكم : من مرض ، أو فشل ، أو خسارة مال أو غير ذلك .

كتاب : اللوح المحفوظ .

نبرأها : نخلقها والضمير يعود على الأنفس .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [الحشر : ٩]

تبوءوا : سكنوا .

الدار : المدينة ، والمراد بهؤلاء هم الأنصار رضى الله عنهم .

لا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا : لا يحقدون على إخوانهم المهاجرين إذا اختصهم النبى ﷺ ببعض الفيء .

يؤثرون : يفضلون . ـ خصاصة : حاجة وفقر .

يوق شح نفسه : يحفظه الله من بخل النفس

سبب النزول

أخرج الواحدى من طريق محارب بن دثار عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما قال : أهدى لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ شاة فقال : إن أخى فلانا وعياله أحوج إلى هذا منا فبعث به إليه ، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداولها أهل سبعة أبيات حتى رجعت إلى الأول . فنزلت الآية

ـ لباب النقول ـ

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [الحشر : ١٩]

* وفى قوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [التغابن : ١٦]

* وفى قوله تعالى : ﴿ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ [القيامة : ١٤]

بصيرة : بصير بمعنى شاهد علي نفسه ، والتاء للمبالغة .

* * *

إيمان النفس

* في قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨]

تشير الآيةإلى أن الإيمان بعد فوات الأوان لا يجدى . وأوانه قبل الغرغرة ، وقبل أشراط الساعة الكبرى ..

* * *

حديث شريف حول أشراط الساعة

عن حذيفة بن أسيد الغفارى قال : أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة ونحن نتذاكر الساعة فقال رسول الله ﷺ : « **لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان ، والدابة ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج عيسى بن مريم ، وخروج الدجال ، وثلاث خسوف : خسف بالمشرق وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس ، أو تحشر الناس ، تبيت معهم حيث باتوا ، وتقيل معهم حيث قالوا** » .

رواه الإمام أحمد ومسلم وأصحاب السنن الأربعة . .

حديث آخر

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « **ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا : طلوع الشمس من مغربها، والدجال ، ودابة الأرض** » رواه الطبرى ، ورواه الإمام أحمد ومسلم.

ـ تفسير ابن كثير ـ

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ ﴾ [يونس : ١٠٠]

الرجس : العذاب .

تشير الآية إلي أن الإيمان لا يتم إلا بإذن الله تعالى ، فلا يقع شيء في الوجود إلا بمشيئة الله وطريق الإيمان العقل ، فمن استعمل عقله في الاهتداء إلى الله وفقه للهداية ومن أهمله عقله عمى وضل واستحق العذاب .

* * *

لكل نفس أجل

* في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر : ٤٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون : ١١]

حديث حول هذه الآية

أخرج الترمذى وابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من كان له مال يبلغه حج بيت الله ، أو تجب عليه فيه الزكاة فلم يفعل سأل الرجعة عند الموت » فقال له رجل : يا بن عباس ، اتق الله فإنما

يسأل الرجعة الكافر . فقال : سأتلو عليكم بذلك قرآنا ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون * وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين * ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون** ﴾ .

* * *

بعث النفس بعد موتها

* في قوله تعالى : ﴿ **مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴾ [لقمان : ٢٨]

معنى الآية

تشير الآية إلى قدرة الله تعالى وأنه لا يعجز في خلق الناس جميعا ، ولا في إعادتهم إلى الحياة مرة أخرى بعد موتهم فما ذلك بالنسبة له إلا كخلق نفس واحدة وبعثها ، وهو سميع لأقوالهم جميعهم وبصير بأفعالهم جميعا كسمعه وبصره بالنسبة لنفس واحدة .

* * *

جزاء النفس

* في قوله تعالى : ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ** ﴾ [البقرة : ٤٣]

لا يقبل منها عدل : لا يقبل منها فدية .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة : ١٢٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨١]

حول هذه الآية

* « قال بعض الرواة : هذه الآية آخر ما نزل من القرآن الكريم ... قالوا : عاش النبي ﷺ بعد نزول هذه الآية تسع ليال » .

رواه ابن أبي حاتم ، وابن مردويه .

وابن جرير الطبري . وذكره ابن كثير في تفسيره .

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾

[آل عمران : ٣٠]

يحذركم الله نفسه : يخوفكم عقابه .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦١]

غلَّ : خان في الغنيمة .

* وفي قوله تعالى : ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [إبراهيم : ٥١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [النحل : ١١١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه : ١٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يس : ٥٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [الزمر : ٧٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [غافر : ١٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٢]

* * *

حفظ الله للأنفس

* في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الانعام : ٦١]

لا يفرطون : لا يقصرون ، أى لا يفرطون في حفظ الروح وإنزالها حيث يشاء الله تعالي ، إن كان من الأبرار ففى عليين ، وإن كان من الفجار ففى سجين نعوذ بالله من ذلك . ـ تفسير ابن كثير ـ

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد : ١١]

معقبات : ملائكة يتعاقبون عليه ، حرس بالليل وحرس بالنهار .

يحفظونه من أمر الله : أى يحفظونه من أمر الله بامر الله ، وقيل : معقبات من أمر الله يحفظونه ، على التقديم والتأخير .

حديث شريف

جاء فى صحيح البخارى : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر ، فيصعد إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم : كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون » .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ [الطارق : ٤]

إنْ : بمعنى ما النافية .

لما : بمعنى إلا .

والمعنى ما كل نفس إلا عليها حافظ يحفظها ويحرسها من الآفات كما قال تعالى : « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله » .

* * *

أساس الخلائق نفس واحدة

* في قوله تعالى : ﴿ **فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ** ﴾ [آل عمران : ١٩٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً** ﴾ [النساء : ١]

النفس الواحدة هي نفس آدم ، خلق الله منها حواء ، ومنهما معا انتشر الخلق..

بثّ : نشر .

حديث شريف

جاء في الحديث الصحيح : « **إن المرأة خلقت من ضلع أعوج وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج** » . - تفسير ابن كثير -

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ** ﴾ [الأنعام : ٩٨]

مستقر : صلب الرجل ، أو مستقر على ظهر الأرض .

مستودع : رحم المرأة ، أو القبر بعد الموت .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف : ١٨٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل : ٧٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم : ٢١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ... ﴾ [الزمر : ٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

[الحجرات : ١٣]

* * *

أحاديث شريفة

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم** » .

رواه مسلم وابن ماجة.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل ، مثراة في المال ، منسأة في الأثر** » رواه الترمذى وقال : حديث غريب لا نعرفه إلا من هذه الوجه .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : خطب النبى ﷺ يوم الفتح فقال : «**يأيها الناس ، إن الله تعالى قد أذهب عنكم عُبية الجاهلية وتعظمهما بآبائها ، فالناس رجلان : رجل برتقي كريم على الله تعالى ، ورجل فاجر شقى هين على الله تعالى ، إن الله عز وجل يقول : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** » . تفسير ابن كثير.

* * *

* فى قوله تعالى : ﴿ **أَيَحْسَبُ الإنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ** ﴾ [القيامة : ٣٦ - ٣٩]

* * *

ظلم النفس

* فى قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ**

عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ٥٤]

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ٥٧]

تتحدث الآية عن بنى إسرائيل ونعم الله عليهم التى لم يحفظوها ، فاستحقوا العقاب .

وتشير الآية إلي أنهم لم يظلموا الله بعصيانهم ولكنهم ظلموا أنفسهم بتعريضها للعقاب .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾

[البقرة : ٢٣١]

* وفى قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١١٧]

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٣٥]

أحاديث حول الآية

عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال : كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ شيئا نفعنى الله به ما شاء الله ، فإذا حدثنى غيره حلفته ، فإن حلف

صدقته ، وحدثنى أبو بكر رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما من عبد يذنب ذنبا فيتوضأ فيحسن الوضوء ، ويصلى ركعتين ويستغفر الله إلا غفر الله له** » ثم تلا هذه الآية « **ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما** » وفي رواية تلا هذه الآية « **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله .. الآية** »

رواه أبو داود والترمذى وابن ماجة ، وذكره السمرقندى في تنبيه الغافلين .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال : « **إذا تاب العبد تاب الله عليه ، وأنسى الحفظة ما كانوا كتبوا من مساوىء عمله ، وأنسى جوارحه ما عملت من الخطايا ، وأنسى مقامه من الأرض ، وأنسى مقامه من السماء ، ليجىء يوم القيامة وليس شيء من الخلق يشهد عليه بذلك** »

ذكره السمر قندى في تنبيه الغافلين والأصفهانى في الترغيب والترهيب .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : « **إذا أذنب العبد ذنبا فقال : رب إنى أذنبت ذنبا ، أو قال : عملت ذنبا فاغفر لى ، قال الله تعالى : عبدى عمل ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ، فقد غفرت لعبدى** » .

متفق عليه رواه البخارى ومسلم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا** ﴾ [النساء : ٦٤]

* * *

سبب النزول

روى البخارى عن عروة قال : خاصم الزبير رجلا في شراج الحرة ، فقال النبى ﷺ : « **اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك** » فقال الأنصارى : يا رسول الله ان كان ابن عمتك ؟ فتلون وجه رسول الله ﷺ ثم قال : « .. **اسق يا زبير ، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجد ، ثم أرسل الماء إلى جارك** » فاستوعى النبى ﷺ للزبير حقه فى صريح الحكم حين احفظه الانصارى ، وكان اشار عليهما بامر لهما فيه سعة . قال الزبير : فما أحسب هذه الآية إلا نزلت فى ذلك : « **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهما** » .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً** ﴾ [النساء : ٩٧]

* وفى قوله تعالى : ﴿ **وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَّحِيماً** ﴾ [النساء : ١١٠]

* وفى قوله تعالى : ﴿ **قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [الاعراف : ٣]

المتحدث فى الآية آدم وحواء عليهما السلام حينما استجابا بالغواية إبليس لعنه الله وأكلا من الشجرة .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ **وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ**

أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [الاعراف : ١٦٠]

انبجست : انفجرت .   ـ المن : شراب الحلو .

السلوى : طائر وقيل هو السماني أو يشبهه .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾ [الاعراف : ١٧٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ [التوبة : ٣٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [التوبة : ٧٠]

الحديث في الآية عن المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك .

ثمود : قوم صالح .

أصحاب مدين : قوم شعيب .

المؤتفكات : قرى قوم لوط التي جعل الله عاليها سافلها .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [يونس : ٤٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ [يونس : ٥٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ [هود : ١٠١]

ظلمناهم : الضمير « هم » يعود على الأمم السابقة التي أرسل إليها الرسل المتتابعون ليرشدوهم إلى الحق وطريق الهدى فكذبوهم .

تتبيب : خسران وهلاك .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ ﴾ [إبراهيم : ٤٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٢٨]

ألقوا السلم : أظهروا الطاعة والانقياد .

ما كنا نعمل من سوء :

حاولوا إنكار كفرهم وتكذيبهم الرسل ، وفسادهم .

بلى: ردٌّ عليهم بأنهم كاذبون في قولهم ، والله عليم بما كانوا يعملون .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

[النحل : ٣٣]

تأتيهم الملائكة : المقصود بهم ملائكة الموت الذين يقبضون أرواحهم .

أمر ربك : قيام الساعة ، أو المقصود به عذاب دنيوى يصيبهم فيهلكهم ويستأصلهم .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [النحل : ١١٨]

ما قصصنا عليك من قبل : هو ما ورد فى سورة الأنعام فى الآية رقم ١٤٦.

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴾ [الكهف : ٣٥]

الحديث فى الآية عن صاحب الجنتين الذى استطال على اخيه بماله ، وقال له: أنا أكثر منك مالا واعز نفرا ، وكذب بالبعث ، وجحد النعمة ونصحه اخوه فلم ينتصح .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [النمل : ٤٤]

تتحدث الآية عن بلقيس ملكة سبأ ، حين قدمت علي سليمان عليه السلام وقد شيد لها قصرا من زجاج ، فظنته ماء ، وشمرت عن ساقيها لتخوضه فقال لها : إنه قصر مشيد من زجاج ، فعرفت منزلة سليمان ، وأعلنت عن إسلامها.

قيل لها : قيل لبلقيس .

الصرح : القصر وكل بناء مرتفع .

لجة : بحيرة .

ممرد : مصنوع .

قوارير : زجاج .



* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [القصص : ١٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٠]

كلا : كل أمة من الأمم الذين كذبوا الرسل .

حاصبا : ريحا عاصفة فيها حصباء وهي الحجارة الصغيرة ، وهؤلاء قوم عاد ولوط .

الصيحة : الصرخة الشديدة ، وهؤلاء قوم شعيب وقوم صالح ، صاح بهم جبريل فأهلكهم .

من خسفنا به الأرض : فتحت الأرض وابتلعتهم .

من أغرقنا : قوم نوح وقوم موسى

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [الروم : ٩]

آثاروا الأرض : حرثوها وزرعوها .

وعمروها : بنوا فوقها وشيدوا وأقاموا المباني والصروح

بالبينات : بالدلائل والمعجزات .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾

[سبأ : ١٩]

الحديث في الآية عن قوم سبأ الذين أنزلهم الله منازل حسنة في قرى مرتفعة متواصلة ، ولكنهم طلبوا من ربهم أن يباعد بين منازل أسفارهم وهى المنازل التى كانوا ينزلون فيها ظهرا ومساء حين يقدمون من اليمن إلي الشام وبالعكس، وظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصى ، فانتقم الله منهم حتى أصبحوا عبرة للناس وأحاديث لهم يتحدثون عنهم بعدهم . وخرّب قراهم وفرق بينهم .

وفي هؤلاء عبرة لكل صبّار من الناس شكور كثير الشكر للنعمة .

* وفي قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾

[فاطر : ٣٢]

الكتاب : القرآن .

الذين اصطفينا : الذين اختارهم الله من العلماء والصالحين من إنه محمد ﷺ .

مقتصد : متوسط في العمل .

سابق بالخيرات : سباق في الأعمال الصالحة .

هذه الآية من المبشرات لأمة محمد ﷺ ، فقد قسمتهم ثلاثة أقسام :

أهل المعاصي ، والمتوسط في العمل ، والسابق ، وكلهم إلى خير فقد وعدهم الله جميعا بالجنة في الآية التي جاءت بعد هذه الآية ..

جاء في الحديث الشريف : « سابقنا سابق ، ومقتصدنا ناجٍ ، وظالمنا مغفور له » .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ [الطلاق : ١]

* * *

حرمة النفس وتحريم قتلها ظلما

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة : ٧٢]

تشير الآية إلى النفس التى قتلت فى عهد موسى عليه السلام ولم يعرف قاتلها فأمرهم موسى أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها فيحيا وينطق باسم قاتله .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ (٨٤) ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾

[البقرة : ٨٤ ، ٨٥]

تشير الآية إلى نقض اليهود عهودهم ، فقد أخذ عليهم الميثاق ألا يسفكوا دماء أنفسهم ولكنهم نقضوا ذلك واستباحوا دماءهم وقتل بعضهم البعض .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾

[النساء : ٢٩]

* وفى قوله تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ [المائدة : ٣٢]

تشير الآية إلى حرمة الاعتداء على النفس بغير حق ، وأنه لا يحل قتل النفس إلا بسببين أحدهما ان تكون قد اعتدت على نفس أخري بالقتل فتقتل قصاصا، والثاني أن تكون مفسدة في الأرض ويطبق عليها قانون الحرابة .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ [الانعام : ١٥١]

إملاق : فقر .

الفواحش : كبائر الذنوب .

ما ظهر منها وما بطن : جهرا وسرا .

إلا بالحق : إلا بسبب موجب لذلك كالقتل قصاصا ، أو رجم الزاني المحصن، أو قتل المرتد .

وصاكم به : أمركم به .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ **وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا** ﴾

[الإسراء : ٣٣]

قتل مظلوما : قتل بغير سبب شرعي يوجب ذلك .

لوليه : قيل هو الوارث ، وقيل هو الوالى .

سلطانا : تسلطا .

لا يسرف : لا يتجاوز الحد ، ولا يقتل سوى القاتل .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴾ [الكهف : ٧٤]

انطلقا : الضمير يعود على موسى والخضر .

فقتله : الذي قتل هو الخضر .

قال : الذى قال هو موسى عليه السلام .

بغير نفس : أي بغير أن تكون قتلت نفسا أخرى فتُقتل قصاصا .

نُكرا : منكرا فى الدين .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ ... فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴾ [طه : ٤٠]

هذه الآية جاء فى معرض المنة علي موسى عليه السلام ، حين أرجعه الله إلى أمه وهو طفل بعد أن وضعته فى التابوت وألقته فى اليم ، والتقطه فرعون ، وهو عدوه اللدود .

وبعد أن كبر استغاث به إسرائيلى لينقذه من اعتدا قبطى عليه ، فوكز موسى القبطى فمات من الوكزة ، واعتبر موسى ذلك إثما كبيرا تاب إلى الله منه واستغفره فغفر له ، وخرج من مصر هاربا من القصاص ، وتوجه إلى مدين .. ثم عاد إلى مصر رسولا ..

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٨]

أثاما : عقابا جزاء الإثم الذي ارتكبه .

هذه الآية جاءت في سياق أوصاف عباد الله الصالحين .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [القصص : ١٩]

هذه الآية تشير إلى سبب خروج موسى هاربا من مصر ..

ذلك أنه بعد أن قتل القبطى ، خرج فى المدينة خائفا يترقب ، فإذا بالإسرائيلى الذى استغاث به فى اليوم السابق يستغيث به أيضا لأن هناك من يعتدى عليه من الاقباط ، فهم بأن يبطش بهذا القبطى ، فقال له القبطى : اتريد أن تقتلنى كما قتلت رجلا بالأمس ؟ إنك لا تريد أن تكون مصلحا ، بل تريد أن تكون جبارا يستسيغ قتل النفس .. فامسك عن قتله وتنبه .. وجاء من ينصحه بالخروج من مصر فخرج .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾

[القصص : ٣٣]

القائل هو موسى عليه السلام ، حين كلفه ربه تعالى الرسالة إلى فرعون ، فقال : لقد قتلت من قوم فرعون رجلا من عشر سنوات فاخشى إن ذهبت إليه أن يقتلنى قصاصا .. ولكن الله طمانه .

كسب النفس واكتسابها

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٨٦]

إلا وسعها : إلا بقدر استطاعتها .

كسبت : ما قدمت من خير .

اكتسبت : اقترفت من إثم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾

[آل عمران : ٣٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ ... وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (111) وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء : ١١١ ، ١١٢]

نكتة بلاغية

عبرت الآية بالفعل كسب في الإثم ، مع أن كسب يكون في الخير ، واكتسب يكون في الشر للإشارة إلى أن الكاسب هنا حُبب إليه الشر حتى أصبح أمرا محبوبا له ، فهو لا يفتعله بل يأتيه طواعية حباله .

بهتانا : البهتان هو الكذب علي البرىء .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ [الأنعام : ٧٠]

ذر : اترك

تبسل : تحبس في جهنم

ولي : ناصر .

شفيع : وسيط يتوسط لها ويشفع لها .

تعدل : تقدم فدية مهما كانت ثمينة .

أبسلوا : مُنعوا وحُبسوا وأُسلموا للعذاب .

بما كسبوا : بما قدموا من آثام .

حميم : ماء حار شديد الحرارة .

* وفى قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [الأنعام : ١٦٤]

* وفى قوله تعالى : ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [يونس : ٣٠]

هنالك : أى فى مكان الحشر والحساب .

تبلو : تختبر .

ما أسلفت : ما كسبت من خير وما اكتسبت من شر . ضل عنهم : غاب عنهم .

يفترون : يزعمون ويدعون من الهة .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الرعد : ٣٣]

قائم على كل نفس : حفيظ عليم رقيب عليها ، وهو الله تعالى .

بظاهر من القول : بظن لا يقوم عليه دليل ، وهذا الظن هو أن الأصنام تنفع وتضر .

مكرهم : ضلالهم .

صُدُّوا : أُبعدوا عن طريق الحق ..

وأسلوب الاستفهام فى الآية معنا : أتجعلون الله الرقيب الحفيظ على كل

نفس كالاصنام التي لا تنفع ولا تضر ؟ والغرض منه التوبيخ والتقريع .

وقد حذف جواب الاستفهام اكتفا ، بدلالة السياق عليه وهو قوله : « وجعلوا لله شركاء » وهذا من بلاغة القرآن .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [الرعد : ٤٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [ابراهيم : ٥١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [النحل : ١١١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ٣٤]

هذه الآية تحتوي على مفاتيح الغيب ، فقد روى الإمام أحمد عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله: إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى أرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير** »

ـ تفسير ابن كثير ـ

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [الزمر : ٧٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [غافر : ١٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٢]

العلاقة بين عجز الآية وصدرها :

خلق السموات والأرض بالحق يعنى ذلك إقامتهما على العدل والعدل يقضى أن تُجزى كل نفس بما كسبت وأنه لا ظلم لأحد ، ولا يظلم ربك أحدا ..

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر : ٣٨]

رهينة : أى محبوسة عند الله بعملها .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ ﴾ [التكوير]

ما أحضرت من خير أو شر .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ [الانفطار]

ما قدمت فى حياتها .

ما أخرت : من أعمال لم تتم إلا بعد وفاتها .

* * *

نسبة النفس إلى الله

* وفي قوله تعالى : ﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران : ٢٨]

تنهى الآية عن موالاة الكفار دون المؤمنين ، وتحذر من عقاب الله تعالى لمن يفعل ذلك .

تتقوا منهم تقاة : التقاة مصدر تقيته ، وهي التقية أيضا ، ومعنى التعبير : تخافوا منهم محذروا يجب اتقاؤه ، وفي هذه الحالة تظهرون موالاتهم باللسان دون القلب ، لأنه من نواع مداراة السفهاء كما روى : إنا لنبش في وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم ـ صفوة التفاسير ـ

يحذركم أن نفسه : يحذر نقمته وبطشه .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾

[آل عمران : ٣٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ [المائدة : ١١٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ

الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾

[الأنعام : ١٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام : ٥٤]

سبب النزول * * *

أخرج ابن أبي حاتم والفريابي عن ماهان قال : جاء ناس إلى النبي ﷺ فقالوا: إنا أصبنا ذنوبا عظاما ، فما رد عليهم شيئا ، فأنزل الله الآية

ـ لباب النقول ـ

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ [طه : ٤١]

أى جعلتك مختارا لى لتحمل رسالتى وتبلغها للناس .

هوى النفس

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة : ٨٧]

تهوى أنفسكم : تميل إليه أنفسكم مع معاندته للحق والصواب .

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ [المائدة : ٧٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف : ٢٨]

لا تعد عيناك عنهم : لا تنصرف عيناك عنهم .

أغفلنا قلبه : صرفنا قلبه عن الحق والهدى .

اتبع هواه : آثر هواه على الحق .

كان أمره فرطا : كان أمره ضياعا وإسرافا .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴾

[النجم : ٢٣]

إن هي : الضمير يعود على الأصنام التي يعبدونها من دون الله وقد خلعوا عليها أسماء مثل يغوث ويعوق واللات وهُبل .

ما أنزل الله بها من سلطان : ما أنزل الله على عبادة هذه الأصنام حجة أو دليلا .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾

[النازعات : ٤٠]

* * *

وسوسة النفس وتسويلها

* فى قوله تعالى : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [المائدة : ٣٠]

طوعت : وسوست وزينت .

تتحدث الآية عن قابيل بن آدم الذى زينت له نفسه أن يقتل أخاه هابيل.

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف : ١٨]

تتحدث الآية عن إخوة يوسف عليه السلام حين ادعوا كذبا أن الذئب أكل أخاهم يوسف ، وجاءوا على قميصه بدم كاذب ، هو دم شاة ذبحوها وأراقوا دمهما على القميص . فلما رأى يعقوب عليه السلام القميص والدم عليه لم يصدقهم فى زعمهم وقال : بل زينت لكم أنفسكم فعلا قبيحا . واستعان الله على مواجهة هذه البلوى .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [يوسف : ٨٣]

المتحدث فى الآية يعقوب عليه السلام حين رجع إليه أبناؤه من مصر يخبرون أن ابنه سرق واحتُجز هناك . فقال لهم : لقد زينت لكم أنفسكم أمرا قبيحا ، وفعلتم به ما فعلتموه بأخيه السابق ... واستعان بالصبر الجميل فى مواجهة المحنة .

* * *

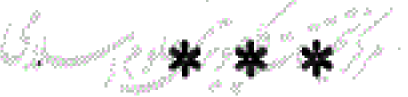
* وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾ [طه : ٩٦]

المتحدث هو موسى السامرى حين أخذ قبضة من التراب الذى وطئه جبريل عليه السلام بفرسه عند خروج الإسرائيلين من مصر وعبورهم البحر الذى ضربه موسى بعصاه ، فنبذ هذه القبضة على الذهب المصهور الذى جمعه السامرى من بنى إسرائيل فتحول الذهب إلى عجل ذهبى له خوار ، فعبده بنو إسرائيل من دون الله .. وضلوا بذلك عن طريق الحق .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ق : ١٦]

حبل الوريد : عرق فى صفحة العنق وهو الذى يجرى فيه الدم ويعود إلى القلب .



* * *

وصف النفس بالشح

* فى قوله تعالى : ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء : ١٢٨]

بعلها : زوجها . ـ نشوزا : تباعدا وإعراضا

أحضرت الأنفس الشح : طبعت النفوس على البخل ، والشح هو البخل مع الحرص

* * *

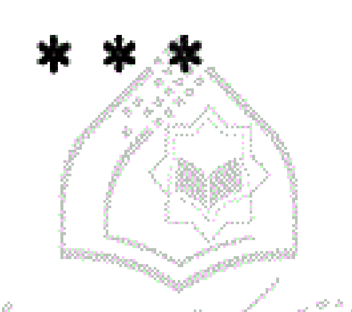
* وفي قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩]

تشير الآية إلى أن السعيد الموفق هو الذى ينتصر على شح نفسه ، ويطهرها من دواعى البخل والأنانية والأثرة

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [التغابن : ١٦]

* * *



أدواء النفس

أ ـ تفريطها

* فى قوله تعالى : ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴾ [الزمر : ٥٦]

فرطت : قصرت

الساخرين : المستهزئين بالدين وبالرسل وبالصالحين الطائعين .

* * *

ب ـ حسدها

* فى قوله تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ١٠٩]

جـ خداعها

* في قوله تعالى : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة : ٩]

تتحدث الآية عن المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون خداعا ومكرا .

* * *

د ـ خيانتها

* في قوله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ... ﴾

[البقرة : ٤١]

الرفث : الجماع .

لباس لكم : ستر عن الحرام .

تختانون أنفسكم : تخونون أنفسكم بمباشرة نسائكم في ليالي الصوم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ [النساء : ١٠٧]

لا تجادل : لا تدافع .

يختانون أنفسهم : يخونونها بالمعاصي والكذب والسرقة وغير ذلك .

* * *

هـ - عُجبها

* في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء : ٤٩]

يزكون أنفسهم : يمدحون أنفسهم بالباطل عجبا بها .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ [النجم : ٣٢]

لا تزكوا : لا تمدحوها عجبا وتيها بها ، ولا تصفوها بما ليس فيها .



* * *

و - فجورها

* في قوله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ [الشمس : ٧ ، ٨]

* * *

ز - ضيقها

* في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [التوبة : ١١٨]

الثلاثة : هم كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع ، كانوا قد تخلفوا عن غزوة تبوك بدون عذر ، وتابوا واستغفروا فقبل الله توبتهم .

رحبت : اتسعت .

* وفى قوله تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف : ٦]

باخع نفسك : مهلكها بسبب شدة ضيقك وأسفك على عدم إيمان قومك.

وفى الآية تسلية للنبى ﷺ وتسرية عنه .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾

[الشعراء : ٣]

* وفى قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾

[فاطر : ٨]

سبب نزول الآية

حين اشتد الأمر بالنبي ﷺ فى مكة ، وتكاثر عليه المشركون وضيقوا على من أسلم الخناق - دعا الله قائلا : اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين : عمر بن الخطاب ، أو عمرو بن هشام ، فهدى الله عمر ، وأضل عمرو بن هشام وهو أبو جهل .. ففيهما نزلت الآية . - لباب النقول -

تعليق

وضيق النفس من العوارض النفسية ، قد يكون حميدا حين يكون مرجعه إلى سبب من أسباب الخير ، كالخوف من العقاب وغضب الله كما حدث بالنسبة إلى الثلاثة الذين خلفوا ، وكالرغبة فى هداية البشر كما حدث من النبى ﷺ، وقد يكون سيئا إذا كان مرجعه إلى القنوط من رحمة الله ، وعدم الرضا بما قدره الله .

عجزها

* في قوله تعالى : ﴿ **قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ...** ﴾ [الأعراف : ١٨٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا** ﴾ [الجن : ٢١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ **يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ** ﴾ [الانفطار : ١٩]

* * *

ط - فتنتها

* في قوله تعالى : ﴿ **يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ** ﴾ [الحديد : ١٤]

المنادى : هم المنافقون يوم القيامة .

فتنتنم أنفسكم : أوقعتم أنفسكم في البلاء وأهلكتموها بالعصيان .

تربصتم : انتظرتم الدواهي للمؤمنين .

ارتبتم : شككتم في الدين والبعث والرسول ﷺ .

غرتكم الأماني : خدعتم الآمال الباطلة .

غركم بالله الغرور : خدعكم الشيطان الرجيم بما زين لكم من باطل .

* * *

ى ـ كذبها

* في قوله تعالى : ﴿ **انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ** ﴾ [الأنعام : ٢٤]

تصور الآية حال المشركين يوم القيامة حين يحلفون كاذبين أنهم لم يكونوا مشركين بالله في الدنيا ..

* * *

ك ـ هلاكها بالمعاصي والكفر والنفاق

* في قوله تعالى : ﴿ **وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ** ﴾ [الأنعام : ٢٦]

عنه : عن النبى ﷺ . كانوا ينهون عن إيذائه ، والضمير في ينهون يعود على أعمام النبى ﷺ الذين لم يسلموا .

ينأون عنه : يبتعدون عن الإيمان به .

سبب نزول الآية

روى الحاكم وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : نزلت هذه الآية فى أبى طالب ، كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله ﷺ ، ويتباعد عما جاء به .

وأخرج ابن أبى حاتم عن سعيد بن أبى هلال قال : نزلت في عمومة النبى ﷺ وكانوا عشرة ، فكانوا أشد الناس معه في العلانية وأشد الناس عليه فى السر ـ لباب النقول ـ.

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [التوبة : ٤٢]

* * *

ل ـ جدالها يوم القيامة

* في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [النحل : ١١١]

حديث شريف

روى الحافظ أبو بكر البزار عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ضحك رسول الله ﷺ ذات يوم وتبسم فقال ﷺ : « ألا تسألوني من أى شيء ضحكت ؟ » قالوا : يا رسول الله ، من أى شيء ضحكت ؟ قال ﷺ : «عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول : أى رب أليس وعدتني أن لا تظلمني ، قال بلى ، فيقول : فإني لا أقبل عليّ شاهدا إلا من نفسي ، فيقول تبارك وتعالى ـ أو ليس كفى بي شهيدا وبالملائكة الكرام الكاتبين ؟ قال : فيردد هذا الكلام مرارا . قال : فيختم على فيه ، وتتكلم أركانه بما كان يعمل ، فيقول : بعدا لكنّ وسحقا عنكن كنت أجادل »

ورواه مسلم والنسائي عن أبي بن أبي النضر ـ تفسير ابن كثير ـ

* * *

م ـ النفس هي سبب ما يصيب الإنسان من سوء

* في قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ١٦٥]

تشير الآية إلى ما أصاب المسلمين من هزيمة يوم أحد ، وقد بينت الآية أن سبب الهزيمة يعود إلى المسلمين أنفسهم الذين خالفوا أوامر الرسول ﷺ وتركوا مواقعهم التى أمرهم النبى ﷺ بملازمتها وعدم مبارحتها مهما كانت الظروف..

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾ [النساء : ٧٩]

الخطاب فى الآية للنبى ﷺ والمقصود جنس الإنسان .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ تَرَىٰ كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ [المائدة : ٨٠]

الحديث فى الآية عن اليهود الذين يوالون المشركين ويحالفونهم على محاربة النبى ﷺ والمسلمين ، ولقد توعدهم الله بالغضب عليهم فى الدنيا وبالخلود فى الجحيم فى الآخرة فبئس ما قدمته أنفسهم لهم .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [يوسف : ٥٣]

وردت الآية على لسان امرأة العزيز ، وهو أرجح الأقوال عند المفسرين .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾

[يونس : ١٠٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾ [الإسراء : ٧]

تشير الآية إلى أن الإنسان إذا أحسن فقد أحسن لنفسه وإن أساء فالإساءة عائدة على نفسه .

وعد الآخرة : الوعد بالإفساد الثاني .

ليتبروا : ليدمروا .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء : ١٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ [الزمر : ٤١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت : ٤٦]

* * *

من محامد النفس

أ ـ شهوة النفس المحمودة

* في قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٢]

اشتهت أنفسهم : اشتهت الجنة ونعيمها.

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ [فصلت : ٣١]

المتحدث في الآية هم الملائكة يبشرون المؤمنين عند قبض أرواحهم بالجنة التي تشتهيها أنفسهم ، ويدعون فيها ، كل ما يطلبونه من متاع حسن ولذة باقية خالدة ، حاضرا لديهم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [الزخرف : ٧١]

صحاف : جمع صحفة وهي القصعة يوضع فيها الطعام .

أكواب : أقداح لا عُرى لها .

* * *

ب ـ صبرها على الأمور المحمودة العواقب

* في قوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف : ٢٨]

* * *

جـ ـ هدايتها من الله

* في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة : ١٣]

* * *

د ـ النفس ونهيها عن الهوى

* في قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات : ٤٠ ، ٤١]

* * *

من أحاسيس النفس

خوفها

* في قوله تعالى : ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ (٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴾ [طه : ٦٧ ، ٦٨]

اتعاظها

* في قوله تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ [النساء : ٦٣]

تعرضها للوم

* في قوله تعالى : ﴿ ... وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ... ﴾ [إبراهيم : ٢٢]

* في قوله تعالى : ﴿ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ [القيامة : ٢٢]

شعورها بالمشقة

* في قوله تعالى : ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل : ٧]

مقتها

* في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴾ [اغافر : ١٠]

مراودة النفس

* في قوله تعالى : ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾

[يوسف : ٢٣]

المراودة : المطالبة برفق ولين وخداع .

إنه ربى : إن زوجك العزيز مالكي وسيدى .

هيت لك : هلم واقبل ، أو تهيأت لك .

أحسن مثواى : أحسن مقامى وأكرمنى .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [يوسف : ٢٦]

الشاهد : هو طفل في المهد من أقارب زليخا امرأة العزيز ، وقيل الشاهد : رجل كبير هو ابن عمها .

من قبل : من أمام

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [يوسف : ٣٠]

شغفها حبا : ملك حبه جوارحها ، ودخل شغاف قلبها وهو الغلاف .

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ [يوسف : ٣٢]

استعصم : امتنع امتناعا شديدا .

* * *

إسرافها

* في قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر : ٥٣]

* * *

ندمها

* في قوله تعالى : ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴾ [الزمر : ٥٦]

شعورها بالحرج

* في قوله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥]

شجر : نشأ بينهم حرج : ضيق .

* * *

طيبها

* في قوله تعالى : ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾ [النساء : ٤]

صدقاتهن : ـ بضم الدال ـ مهورهن .

نحلة : عطية منه تعالى .

هنيئا مريئا : سائغا حميد العاقبة .

* * *

استكبارها

* في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان : ٢١]

عتوا عتوا كبيرا : طغوا طغيانا كبيرا .

* * *

إسرارها

* في قوله تعالى : ﴿ وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٣٥]

عرضتم : لوحتم وأشرتم .

أكننتم : أسررتم وأخفيتم .

يبلغ الكتاب أجله : تنتهي العدة المفروضة .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٨٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ ... قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا ... ﴾ [آل عمران : ١٥٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ [المائدة : ٥٢]

الذين فى قلوبهم مرض : المنافقون .

دائرة : مصيبة .

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾

[يوسف : ٧٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ... ﴾ [الأحزاب : ٣٧]

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [المجادلة : ٨]

النجوى : التحدث سرا .

* * *

الجهاد بالنفس في سبيل الله

* في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ [النساء : ٦٦]

حول الآية

أخرج ابن جرير عن السدى قال : لما نزلت : « ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليلا منهم » افتخر ثابت

ابن شماس ورجل من اليهود ، فقال اليهودى : والله لقد كتب علينا أن اقتلوا أنفسكم فقتلنا أنفسنا ، فقال ثابت : والله لو كتب الله علينا اقتلوا أنفسكم لقتلنا أنفسنا ، فأنزل الله : « **ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا** » ـ لباب النقول ـ

وفى رواية فقال النبى ﷺ : « **للإيمان أثبت فى قلوب أهله من الجبال الرواسى** » .

وروى أن النبى ﷺ لما تلا هذه الآية أشار بيده إلى عبد الله بن رواحة فقال: « **لو أن الله كتب ذلك لكان هذا من أولئك القليل** » يعنى ابن رواحة

ـ تفسير ابن كثير ـ

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ **لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء : ٩٥]

حديث شريف

جاء فى صحيح البخارى عن البراء قال : لما نزلت « لا يستوى القاعدون من المؤمنين دعا رسول الله ﷺ زيد بن ثابت فكتبها ، فجاء ابن أم مكتوم ، فشكا ضرارته ، فأنزل الله « **غير أولى الضرر** » .

أولوا الضرر : هم أصحاب العاهات والأعذار الملحة كالمرض والعمى والعرج .

فضل الجهاد

قال رسول الله ﷺ : « **إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيله ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض** » رواه الشيخان عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه .

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ... ﴾ [الأنفال : ٧٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [التوبة : ٢٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة : ٤٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة : ٤٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [التوبة : ٨٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١١١

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات : ١٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ

عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الصف : ١٠ ، ١١]

* * *

موت النفس وابتلاؤها

* في قوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٥٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾

[آل عمران : ١٤٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾

[آل عمران : ١٨٥، ١٨٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾

[العنكبوت : ٥٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ٣٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر : ٤٢]

* * *

سوق النفس إلى الحساب

* في قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ [ق : ٢١]

* * *

الله يعلم ما في النفوس

* في قوله تعالى : ﴿ ... وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٣٥]

* في قوله تعالى : ﴿ ... قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ [المائدة : ١١٦]

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا

أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [هود : ٣١]

المتحدث في هذه الآية هو نوح عليه السلام يرد على قومه .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ [الإسراء : ٢٥]

الأوابين : التوابين .

* * *

تغيير ما فى النفوس

* فى قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٥٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد : ١١]

* * *

جهل النفس بما أعد للصالحين من نعيم فى الآخرة

* فى قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧]

وردت هذه الآية في سياق الحديث عن الصالحين الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ...

من الأحاديث الشريفة حول الآية

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى : « **أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر** » . رواه الشيخان .

* * *

الفؤاد (وهو القلب)

الفؤاد بمعنى القلب ، وله جانب حسى ، وهو الجزء الذى يضخ الدم إلى الجسم وبه يحيا المخلوق .

وله جانب روحى وهو الغيبى الذى لا يدركه الحس وقد وردت الإشارة إلى القلب فى الآيات التالية

القلب محل العقيدة

بالنسبة للإيمان : وقد ورد ذلك

* فى قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ** ﴾ [المائدة : ٤١]

* وفى قوله تعالى : ﴿ **إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ** ﴾ [النحل : ٢٢]

* وفى قوله تعالى : ﴿ **مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ** ﴾ [النحل : ١٠٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج : ٥٤]

تخبت : تخشع

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر : ٤٥]

اشمأزت : نفرت وانقبضت .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ [الحجرات : ٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات : ١٤]

لا يلتكم : لا ينتقصكم .

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ... ﴾

[المجادلة : ٢٢]

وبالنسبة للكفر

* في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٩٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ ... وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل : ١٠٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الفتح : ٢٦]

الحمية : العصبية والأنفة الناشئة عن الغرور بالعظمة الكاذبة .

كلمة التقوى : كلمة لا إله إلا الله .

* * *

طَبَع الله على القلوب .

* في قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة : ٧]

ختم : طَبَع بالكفر على قلوبهم .

غشاوة : غطاء .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة : ٨٨]

قلوبنا غلف : أى مغلفة ومغطاة بأغطية تمنعها من الاستجابة .

القائل فى الآية هم اليهود حين عرض عليهم النبى ﷺ الإيمان .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾

[النساء : ١٥٥]

فبما نقضهم : فبسبب نقضهم العهد مع الله الذى عاهدوه عليه بأن يعملوا بما فى التوراة .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾

[الأنعام : ٤٦]

أخذ سمعكم وأبصاركم .. : أصمكم وأعماكم وطبع على قلوبكم .

نصرف الآيات : نفصلها ونبينها .

يصدفون : يعرضون .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ

أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ (١٠٠) تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٠٠ - ١٠١]

أو لم يهد : أو لم يتبين .

الذين يرثون الأرض من بعد أهلها : الذين يخلفون غيرهم ممن أهلكهم الله بعذابه لتكذيبهم .

أنبائها : أخبارها .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة : ٨٧]

نزلت الآية في حق المنافقين الذين تخلفوا عن النبي ﷺ في غزوة تبوك ، فرارا من الجهاد في سبيل الله .

الخوالف : النساء اللاتي تخلفن في البيوت ، جمع خالفة .

لا يفقهون : لا يعقلون .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة : ٩٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴾

[يونس : ٧٤]

من بعده : أى من بعد نوح عليه السلام .

بالبينات : بالمعجزات .

المعتدين : المتجاوزين الحد فى الكفر والضلال .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [النحل : ١٠٨]

أولئك : اسم الإشارة يعود على الذين ارتدوا بعد إيمانهم وعادوا إلى الكفر بعد الإسلام

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٦]

أكنة : أغطية جمع كِنان .

وقرا : ثقلا ويقصد به الصمم .

ولوا على أدبارهم نفورا : رجعوا على أعقابهم هاربين من صولة الحق .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف : ٥٧]

من أظلم ممن ذكر بآيات ربه : أسلوب استفهام الغرض منه النفى ، معناه :

لا يوجد أشد ظلما ممن ذكر بآيات الله فيعرض عنها .

أعرض عنها : تركها ولم يستجب لها .

نسي ما قدمت يداه : نسي ما ارتكبه من الكفر والظلم والضلال والعصيان.

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴾ [المؤمنون : ٦٣]

في غمرة : في غفلة قد ختم عليها ، فلا تستجيب لما يتلى عليها من الكتاب وهو القرآن ، أو هي في غفلة من الكتاب الذى تسجل فيه أعمالهم ويحاسبون عليها .

لهم أعمال من دون ذلك : لهم أعمال سيئة أخرى سوى ما هم عليه من الشرك .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾

[الروم : ٥٩]

لا يعلمون : يصرون على الجهل والتكذيب بآيات الله .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾

[غافر : ٣٥]

هذه الآية جاءت على لسان مؤمن آل فرعون يحذر قومه من غضب الله .

الذين يجادلون فى آيات الله : الذين يحاولون إنكارها وإبطالها .

بغير سلطان : بغير حجة أو دليل أو منطق.

كبر مقتا : عظم بغضا وكرها ـ المقت : أشد البغض .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾

[الشورى : ٢٤]

أم يقولون افترى : بل يقول الكفار إن محمداً ﷺ افترى الكذب على الله..

وهذا أمر مستحيل على النبى ﷺ ، فلو افترى كما يزعمون يطبع الله على قلبه .

ويمح الله الباطل : وسيزيل الله الباطل الذى يعيش فيه هؤلاء الكفار .

ويحق الحق بكلماته : يثبت أركان هذا الدين ويوطده بما ينزله من قرآن كريم .

عليم بذات الصدور : عليم بما فى القلوب .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾

[الجاثية : ٢٣]

اتخذ إلهه هواه : عبد هواه بمعنى أطاعه فجرّه إلى الضلال والكفر .

أضله الله على علم : خذله مع علمه بالحق ، فهو متعمد فى كفره مُصِر عليه مع علمه ببطلانه .

من يهديه من بعد الله : استفهام يفيد النفى ، أى لا يهديه إلا الله .. وهذا يعنى أن الهداية بيد الله وحده .

سبب نزول الآية

أخرج ابن المنذر وابن جرير عن سعيد بن جبير قال : كانت قريش تعبد الحجر حينا من الدهر ، فإذا وجدوا ما هو أحسن منه طرحوا الأول وعبدوا الآخر - لباب النقول -

وقيل: نزلت فى الحارث بن قيس السهمى أحد المستهزئين بالنبى ﷺ ، كان يعبد ما تهواه نفسه . أما الذى ختم الله على قلبه وسمعه فهو أبو جهل لعنه الله - التفسير الوجيز -

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾

[محمد : ١٦]

* وفى قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾

[محمد : ٢٤]

أقفالها : أختامها ، فهى مطبوع عليها لا تفهم ولا تعقل .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون : ٣]

الحديث في الآية عن المنافقين .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففون : ١٤]

كلا : لفظ يفيد الزجر والردع .

ران على قلوبهم : طمس على قلوبهم وختم عليها ما اجترموه من السيئات واقترفوه من المنكرات .

الآيات التي ورد فيها ذكر الفؤاد

* في قوله تعالى : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٠]

نقلب : نحول . ـ أفئدتهم : جمع فؤاد وهو القلب .

نذرهم : نتركهم ـ طغيانهم : ضلالهم

يعمهون : يتحيرون .

والمعنى : نحول قلوبهم عن الإيمان إلى الكفر حتى يكونوا كحالتهم الأولى حين كانوا كافرين بالقرآن في أول الأمر ..

وهذا يدل على أن خالق الهدى والضلال هو الله تعالى لا غيره ، فمن أراد به الخير حول قلبه من الضلال إلى الهدى ، ومن أراد شقاوته حول قلبه من الهدى إلى الضلال .. ـ صفوة التفاسير ـ

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٣]

ولتصغى إليه : أى ولتميل إلى قول أهل الباطل المزخرف المزين .

وليقترفوا : وليكتسبوا .

والمعنى : أن الكفار يميلون إلى ما يأتيه شياطين الجن والإنس من زخرف القول وباطل العمل .

والمعنى : أن الكفار يميلون إلى ما يزينه شياطين الجن والإنس من زخرف القول وباطل العمل ويرتضون به ويرتكبون ما يريدون من آثام .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود : ١٢٠]

تشير الآية إلى أن ما يقصه الله تعالى على نبيه ﷺ من أخبار الرسل إنما هو لتثبيت قلبه وليكون فيه عبرة وعظة للمؤمنين .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم : ٣٧]

الآية وردت على لسان إبراهيم عليه السلام يدعو ربه إلى أن يعمر المكان الذى أنزل فيه ابنه إسماعيل مع أمه هاجر .

تهوى إليهم : تميل إليهم .

وقد استجاب الله تعالى دعاءه ، فعمرت مكة ، وأصبحت يجبى إليها ثمرات كل شيء من جميع أنحاء الأرض ، بعد أن أصبحت حرما آمنا تهوى إليه القلوب قبل الأبدان .

* وفي قوله تعالى : ﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ [إبراهيم : ٤٣]

مقنعي رءوسهم : رافعي رءوسهم إلى السماء .

مهطعين : مسرعين إلى إجابة الداعي يوم القيامة وهم أذلاء منكسرون .

لا يرتد إليهم طرفهم : لا تعود إليهم أبصارهم ، فهي شاخصة دائما.

أفئدتهم هواء : قلوبهم فارغة من العقل والفهم .

والآية تصور حال الظالمين المشركين يوم القيامة حين ينفخ إسرافيل في الصور النفخة الثانية .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل : ٧٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [المؤمنون : ٧٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ [الفرقان : ٣٢]

سبب نزول الآية

أخرج ابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

قال المشركون : إن كان محمد كما يزعم نبيا فلم يعذبه ربه ؟ ألا ينزل عليه القرآن جملة واحدة ؟ بدلا من أن ينزل عليه الآية والآيتين . فنزلت هذه الآية

ـ لباب النقول ـ

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص : ١٠]

فارغا : خاليا من كل شيء إلا الاهتمام بولدها موسى الذى التقطه فرعون من اليم وكانت قد ألقت ابنها فى اليم خوفا من فرعون ، وإذا بفرعون يلتقطه.

كادت لتبدى به : أوشكت أن تبوح بأن الذى فى الصندوق هو ابنها.

ربطنا على قلبها : ثبتناها وصبرناها وقويناها .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة : ٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [الأحقاف : ٢٦]

يجحدون : ينكرون ويكفرون .

حاق بهم : نزل بهم .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾ [النجم : ١١]

أى ما أنكر الفؤاد ما رآه ببصره من رؤية جبريل ليلة المعراج .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [الملك : ٢٤]

* وفى قوله تعالى : ﴿ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴾

[الهمزة : ٦ ، ٧]

* * *

أين مكان القلب ؟

القلب مكانه الصدر ، والآيات الآتية تشير إلى ذلك :

* قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٤٦]

* وفى قوله تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ... ﴾

[الاحزاب : ٤]

المقصود بالجوف فى الآية الصدر .

* * *

أحوال القلب

من أحواله أن يكون لينا وقد ورد ذلك

* في قوله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ... ﴾ [آل عمران : ١٥٩]

أثبتت الآية لين قلب المصطفى ﷺ ، ونفت عنه الفظاظة وغلظ القلب .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر : ٢٣]

أحسن الحديث : القرآن الكريم ، وسمى حديثا لأن النبى ﷺ كان يحدث به قومه .

متشابها : يشبه بعضه بعضا فى الحسن والبلاغة والقوة والإحكام .

مثانى : مكررا ومرددا ، تتكررقراءته بدون ملل .

تقشعر : ترتعد وتضطرب .

* * *

ومن أحواله القسوة

* في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ٧٤]

الخطاب موجه لليهود الذى رأوا الآيات ولكن قلوبهم ظلت قاسية عنيدة حتى أصبحت كالحجارة ، بل هى أشد قسوة من الحجارة ..

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة : ١٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٣]

فلولا : فهلا .

بأسنا : عذابنا .

تضرعوا : أقبلوا على الله تائبين داعين رفع العذاب .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [الحج : ٥٣]

ما يلقى الشيطان : ما يلقيه فى قلوب أتباعه من وساوس .

فتنة : محنة وابتلاء .

شقاق : خلاف مع الحق والأنبياء .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ

فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الزمر : ٢٢]

تشير الآية إلى أن الذين شرح الله صدورهم للإسلام لا يستوون مع قساة القلوب الجفاة الغارقين فى الضلال المبين .

***

* وفى قوله تعالى : **﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾** [الحديد : ١٦]

طال عليهم الأمد : طال الزمن بينهم وبين أنبيائهم .

سبب نزول الآية

أخرج ابن أبى حاتم عن ابن حبان قال : كان أصحاب النبى ﷺ قد أخذوا فى شيء من المزاح فأنزل الله تعالى : « **ألم يأن للذين آمنوا** .. الآية .

وأخرج عن السدى عن القاسم قال : مل أصحاب رسول الله ﷺ ملّة فقالوا: حدثنا يا رسول الله فأنزل الله **﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾ ثم ملوا ملة فقالوا : حدثنا يا رسول الله ، فأنزل الله : ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم ﴾** .

وأخرج ابن المبارك فى الزهد : أنبأنا سفيان عن الأعمش قال : لما قدم أصحاب رسول الله ﷺ فأصابوا من العيش ما أصابوا بعد ما كان بهم من الجهد فكأنهم فتروا عن بعض ما كانوا عليه . فنزلت الآية ...

ـ لباب النقول فى أسباب النزول ـ

***

ومن أحوال القلب الاطمئنان

* في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ... ﴾ [البقرة : ٢٦٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران : ١٢٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ⑩ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ [الأنفال : ١٠ ، ١١]

تشير الآيتان إلى إمداد الله المسلمين يوم بدر بالملائكة وأن هذا الإمداد كان بشرى للمؤمنين وطمأنة لهم ، ثم أرسل النعاس عليهم ليكون مبعث أمنة واطمئنان لهم ، وأمدهم بالمطر ليطهرهم ويذهب ما في قلوبهم من خوف ويطمئنهم ويثبت أقدامهم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود : ١٢٠]

نثبت : نطمئن ونقوى .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ

تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد : ٢٨]

حديث حول الذكر

عن أبى الدراء رضى الله عنه قال : ألا أخبركم بخير أعمالكم وأحبها إلى مليككم وأنماها ثوابا ، وخير من أن تغزو عدوكم فتضربوا رقابهم ويضربوا رقابكم ، وخير من إعطاء الدراهم والدنانير . قالوا : وما هو يا أبا الدرداء ؟ قال: ذكر الله ، وذكر الله أكبر . رواه الإمام أحمد فى مسنده ، رووراه الترمذى وابن ماجة.

وفى الحديث القدسى : « **إن ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإذا ذكرنى وحده ذكرته وحدى ، وإذا ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ أحسن منه وأكرم** » متفق عليه . رواه الشيخان .

أثر الذكر

جاء فى تنبيه الغافلين للسمرقندى : اعلم أن فى ذكر الله تعالى خمس خصال محمودة :

أولها : أن فيه رضا الله تعالى .

والثانى : أنه يزيد فى الحرص على الطاعات .

والثالث : أنه فيه حرزا من الشيطان إذا كان ذاكراً لله تعالى .

والرابع : أن فيه رقة القلب .

والخامس : أنه يمنعه من المعاصى .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴾ [الكهف : ١٤]

ربطنا : قوينا وطمأنا.

قلنا شططا : قلنا كلاما مجاوزا الحق والصواب .

الحديث في الآية عن أهل الكهف .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ [الفرقان : ٣٢]

لنثبت : لنطمئن .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص : ١٠]

ربطنا على قلبها : طمأناها وثبتناها

* وفي قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح : ٤]

السكينة : الطمانينة .

* * *

ومن أحوال القلب الانشراح

* فى قوله تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن

يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٥]

يشرح صدره : يشرح قلبه ..

عبرت الآيةبالصدر والمراد القلب ، لأن اللصدر مكان القلب ، ويسمى مثل هذا التعبير بالمجاز المرسل .

وفى التعبير كناية عن قبول النفس للحق والهدى الذى جاء به الرسول ﷺ.
وبين لفظى الشرح والضيق طباق ، وهو من المحسنات البديعية .

ـ صفوة التفاسير ـ

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ [طه : ٢٥]

الدعاء فى الآية جاء على لسان موسى عليه السلام ، يطلب من ربه تعالى أن يشرح قلبه لهذه المهمة الجليلة التى كلفه إياها .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الزمر : ٢٢]

* وفى قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [الشرح : ١]

المخاطب فى الآية هو النبى ﷺ .

من أحوال القلب الضيق

والضيق عكس الشرح والاتساع الذى أشارت إليه الآيات السابقة ـ وضيق القلب تشير إليه الآيات التالية :

* فى قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ... ﴾ [النساء : ٩٠]

الآية تستثنى قتال اللاجئين إلى قوم بينا وبينهم ميثاق ، وقتال الذين ضاقت قلوبهم عن القتال ..

حصرت صدورهم : ضاقت قلوبهم .

سبب نزول هذه الآية

أخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن الحسن أن سراقة بن مالك المدلجى حدثهم قال : لما ظهر النبى ﷺ على أهل بدر وأحد ، وأسلم من حولهم قال سراقة : بلغنى أنه يريد أن يبعث خالد بن الوليد إلى قومى بنى مدلج فأتيته فقلت : أنشدك النعمة ، بلغنى أنك تريد أن تبعث إلى قومى وأنا أريد أن توادعهم فإن أسلم قومك أسلموا ودخلوا فى الإسلام ، وإن لم يسلموا لم يحسن تغليب قومك عليهم ، فأخذ رسول الله ﷺ بيد خالد بن الوليد فقال : اذهب معه فافعل ما يريد ، فصالحهم خالد على أن لا يعينوا على رسول الله ﷺ ، وإن أسلمت قريش أسلموا معهم . وأنزل الله الآية .. ـ لباب النقول ـ

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الانعام : ١٢٥]

يجعل صدره ضيقا حرجا : يجعل قلبه ضيقا ، وحرجا : ضيقا .

وفى هذه الآية إشارة إلى ما كشف عنه العلم الحديث مؤخرا من أن الصاعد فى طبقات الجو العليا يضيق ولا يستطيع تحمل ضغط الهواء ، ولذلك اخترع العلماء ملابس خاصة برواد الفضاء تقيهم المخاطر الناجمة من ضغط الهواء .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٢]

لا يكن فى صدرك حرج : لا يكن فى قلبك ضيق .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴾ [يونس : ٨٨]

الآية وردت على لسان موسى وهارون عليهما السلام يتضرعان إلى الله فيها أن ينتقم من فرعون وقومه . كان موسى يدعو وهارون يؤمن على الدعاء .

ليضلوا عن سبيلك : أى لتصير عاقبة هذه الأموال التى أعطيتها إياهم إضلالاً عن دين الله .

اطمس على أموالهم : أهلك أموالهم وامحقها .

اشدد على قلوبهم : ضيِّق صدورهم ، أو اختم عليها .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [هود : ١٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾

هذه الآيات علاج ناجع لضيق الصدر والأمراض النفسية .. إنها تنصح بالتسبيح بحمد الله ، وكثرة السجود لله ، وكثرة العبادة لله .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴾ [الشعراء : ١٣]

الحديث في الآية الكريمة على لسان موسى عليه السلام حين كلفه الله الرسالة.

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [البقرة : ٤١]

اشمأزت : ضاقت ونفرت وانقبضت.

* * *

ومن أحوال القلب الخشوع

وقد وردت الإشارة إلى ذلك

* في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال : ٢]

وجلت : خافت وخشعت .

* وفي قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الحج : ٣٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ [المؤمنون : ٦٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [الحديد : ١٦]

* * *

ومن أحواله التعرض للوسوسة

* في قوله تعالى : ﴿ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴾ [الناس : ٥ ، ٦]

الوسواس : الموسوس جنياً كان أو إنسيا .

الخناس : المتوارى المختفي ، وهو الشيطان الرجيم لعنه الله .

* * *

ومن أحواله أنه عرضه للتقلب

* في قوله تعالى : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الانعام : ١١٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾

[الانفال : ٢٤]

يحول بين المرء وقلبه : أى أن الله تعالى هو المتصرف فى القلوب كيف يشاء بما لا يقدر عليه صاحبها ، فيفسخ عزائمه ، ويغير مقاصده ..

« **كان النبى ﷺ يكثر أن يقول : يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك، فقلنا : يا رسول الله ، آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا ؟ قال: نعم ، أن القلوب بين إصبعين من أصابع الله تعالى يقلبها** » رواه الترمذى وقال : حديث حسن ، ورواه الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضى الله عنه .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ **رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ** ﴾ [النور : ٣٧]

* * *

ومن أحواله التقوى

* فى قوله تعالى : ﴿ **ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴾ [الحج : ٣٢]

* * *

شعائر الله : تعاليم الإسلام

* وفى قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾ [الحجرات : ٣]

يغضون أصواتهم : يخفضونها .

امتحن قلوبهم : أعد قلوبهم ومرّنها .

* * *

أحاسيس القلب وانفعالاته

من انفعالاته الرحمة والرأفة

* في قوله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد : ٢٧]

قفينا : أتبعنا .

رهبانية : مبالغة في التعبد والتقشف .

ابتدعوها : أحدثوها من تلقاء أنفسهم .

ما كتبناها عليهم : ما فرضناها عليهم .

حديث شريف

قال رسول الله ﷺ : « لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم فإن قوما شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات .رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم » رواها الحافظ أبو يعلى عن سهل بن أبي أمامة عن عمر بن العزيز - تفسير ابن كثير -

* * *

ومن انفعالاته الغلظة

* في قوله تعالى : ﴿ ... وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ .... ﴾ [آل عمران : ١٥٩]

الفظاظة : سوء الخلق .

انفضوا من حولك : تركوك ولم يجتمعوا إليك .

* * *

ومن انفعالاته الشك

* في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [التوبة : ٤٥]

نزلت الآية في حق المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وأقبلوا يستأذنونه في التخلف خوفا ... وسبب تخلفهم الشك في الدين وعدم الإيقان بنصر الله للنبي ﷺ والمؤمنين .

ارتابت : شكت - الريب : الشك .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٠]

بنيانهم : هو مسجد الضرار الذي بناه هؤلاء المنافقون للإضرار بالنبي ﷺ والمؤمنين ، وسيظل هذا البناء وهدمه مصدر الشك لهؤلاء المنافقين دائما ما داموا على موقفهم من الإسلام .

* * *

ومن انفعالاته الألفه والتنافر

* في قوله تعالى : **﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾**

[آل عمران : ١٠٣]

* * *

اعتصموا : تمسكوا .

بحبل الله : بدين الله وعهده ، وهو القرآن أيضا .

شفا حفرة : طرف حفرة .

حديث شريف

عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه مرفوعا فى صفة القرآن : **« هو حبل الله المتين وصراطه المستقيم »** .

وروى عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ : **« كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض »** - تفسير ابن كثير -

وفي النهى عن التفرق ..

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **« إن الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا ، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ، ويسخط لكم : قيل وقال : وكثرة السؤال ، وإضاعة المال »**

رواه مسلم فى صحيحه .

سبب نزول الآية

قال ابن كثير : ذكر ابن إسحاق وغيره أن هذه الآية نزلت فى شأن الأوس

والخزرج ... أراد رجل من اليهود ـ وقد ساءه اجتماعهم وتآلفهم ـ أن يفرق شملهم فبعث رجلا وأمره أن يجلس بينهم ويذكرهم ما كان من حروبهم يوم بعاث وتلك الحروب ، ففعل ، فلم يزل ذلك دأبه حتى ثارت حميتهم .. فجاءهم النبى ﷺ وقال : أبدعوى الجاهلية وأنا بين ظهرانيكم ؟ وتلا عليهم هذه الآية فسكتوا ..

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٦٣]

بين قلوبهم : بين قلوب العرب ، كانوا متنافرين فأصبحوا إخوة متحابين .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٦٠]

تجمع هذه الآية مصارف الزكاة .

المساكين : الذين لهم مال لا يكفيهم .

العاملين عليها : العمال الذين يحصلون الزكاة ويجمعونها .

المؤلفة قلوبهم : الكفار الذين يتالفهم الإمام ليسلموا أو الذين أسلموا وهم ضعفاء فى الإسلام .

فى الرقاب : المقصود شراء العبيد الأرقاء وتحريرهم ، أو مساعدة المكاتبين فى تحرير أنفسهم .

الغارمين : الذين عليهم ديون يعجزون عن تسديدها .

فى سبيل الله : المجاهدين والمرابطين فى سبيل الله .

ابن السبيل : المنقطع فى سفره عن بلده ولو كان غنيا فى وطنه .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ ﴾

[الحشر : ١٤]

تحسبهم جميعا : تظنهم متحدين مجتمعين .

قلوبهم شتى : قلوبهم متنافرة .

* * *

ومن انفعالات القلب الخوف

* فى قوله تعالى : ﴿ ... سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾

[آل عمران : ١٥١]

* وفى قوله تعالى : ﴿ ... سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال : ١٢]

كل بنان : البنان طرف الاصبع . وخص البنان بالضرب لانه إذا قطعت الاصابع تعطلت اليد عن القتال .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص : ١٠]

فارغا : خائفا وجلا على ابنها ، أو خاليا من المشاغل إلا على ابنها .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ [الاحزاب : ١٠]

تشير الآية إلى جنود الاحزاب الذين احاطوا بالمدينة من كل جانب ، وقد اشتد خوف المسلمين بسبب قلة عددهم وكثرة عدد المهاجمين .

زاغت الابصار : مالت حيرة ودهشة .

الحناجر : نهايات الحلاقيم .. تعبير كنائى يقال للخائف بلغ قلبه حنجرته كانه انخلع من مكانه وأوشك أن يخرج من حنجرته .

تظنون الظنون : تظنون ظنونا مختلفة بين نصر ويأس من النجاة وشك فى وعد الله .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ [الاحزاب : ٢٦]

ظاهروهم : ساندوهم وعاونوهم ، وهم يهود بنى قريظة

صياصيهم : حصونهم .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر : ١٨]

الآزفة : يوم القيامة

القلوب لدى الحناجر : خائفة ولهة تكاد تخرج من موضعها وتصل إلى الحناجر .

حميم : صديق

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ ﴾ [الحشر : ٢]

من أهل الكتاب : هم يهود بنى النضير .

لاول الحشر : يعنى أول جمع وإخراج لهم من المدينة إلى خيبر .

ما نعتهم حصونهم : حاميتهم وواقية لهم من الإخراج .

لم يحتسبوا : لم يتوقعوا

فاعتبروا : فاتعظوا

يا أولى الأبصار : يا أصحاب البصر النافذ والعقول المفكرة

سبب إجلاء بنى النضير عن المدينة

ذهب النبى ﷺ إلى بنى النضير يستعينهم فى أداء دية قتيلين بناء على المعاهدة المبرمة بينه وبينهم ، فرحبوا به فى الظاهر ، وأضمروا الغدر به ، وأوعزوا

إلى رجل منهم أن يصعد فوق البيت الذى يجلس النبى ﷺ تحت جداره ويلقى فوقه صخرة فيقتله ، وكان النبى ﷺ جالسا ومعه نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم . فأخبر جبريل النبى ﷺ بما أضمره هؤلاء القوم ، فقام وانصرف راجعا إلى المدينة ثم تبعه أصحابه ، وأخبرهم بما عزم عليه القوم، وأمر النبى ﷺ أصحابه بالاستعداد لحرب بنى النضير ، وذهب إليهم وحاصرهم حتى استسلموا وخرجوا على شرطه .. وأجلاهم عن المدينة إلى خيبر.

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [الحشر : ١٣]

* * *

ومن انفعالات القلب الحسرة

* فى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

[آل عمران : ١٥٦]

ضربوا فى الأرض : سافروا للتجارة .

كانوا غزى : جمع غازٍ وهو المجاهد فى سبيل الله .

* * *

ومن انفعالاته الزيغ

* في قوله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾ [آل عمران : ٧]

الآيات المحكمات : هي الواضحات التي لا التباس فيها ، ولا تحتمل إلا وجها واحدا من التفسير مثل : « **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** » .

المتشابهات : الخفيات التي استأثر الله بعلمها ، أو التي لا تتضح إلا بنظر دقيق ، أو التي تحتمل وجوها عدة من التفسير مثل « **الرحمن على العرش استوى** » .

زيغ : الزيغ الميل والانحراف عن الحق .

ابتغاء الفتنة : طلباً للإضلال .

ابتغاء تأويله : طلبا لتحريفه على ما يريدون .

حديث شريف

روى ابن مردويه بسنده إلى ابن العاص عن رسول الله ﷺ قال : « **إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضا ، فما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابه منه فآمنوا به** » ـ تفسير ابن كثير ـ

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ **رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ** ﴾ [آل عمران : ٨]

هذا من دعاء الراسخين في العلم ، يطلبون من الله أن يثبت قلوبهم على الحق ، حتى لا تميل عنه بعد الهدى ، وأن يهبهم رحمة من عنده فهو المتفضل الوهاب .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الصف : ٥]

لم تؤذونني : بالعصيان ومخالفة الأوامر والاتهامات الباطلة التي لا أساس لها من الصحة .

* * *

عِلَل القلوب وأدواؤها

من أمراض القلب الإثم

* في قوله تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة :٢٨٣]

آثم قلبه : فاجر قلبه .

تشير الآية إلى حكم من أحكام المعاملة المالية ، وهو الرهن . وإن كانت الآية

قد نصت على جواز الرهن فى السفر ، فإنه جائز فى الحضر ، والدليل على ذلك ما ورد فى الصحيحين من أن النبى ﷺ : « **توفى ودرعه مرهونة عند يهودى على ثلاثين وسقا من شعير رهنها قوتا لأهله** » .

كما أشارت الآية إلى تحريم كتمان الشهادة لما يترتب على كتمانها من ضياع الحقوق وإشاعة الفوضى واضطراب الامور .

*

* وفى قوله تعالى : ﴿ .. **وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ [الاحزاب : ٥]

لا جناح : لا إثم .

تشير الآية إلى أن الخطأ غير المتعمد لا إثم عليه ، وإنما الإثم فيما تعمده القلب .

*

ومن أمراض القلب الغفلة

* فى قوله تعالى : ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا** ﴾ [الكهف : ٢٨]

أغفلنا قلبه : جعلنا قلبه غافلا عن القرآن والذكر والحق .

سبب نزول الآية

أخرج ابن مردويه من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله تعالى : « **ولا تطع من أغفلنا قلبه** » قال : نزلت فى أمية بن

خلف الجمحى ، وذلك أنه دعا النبى ﷺ إلى أمر كرهه الله وهو طرد الفقراء عنه، وتقريب صناديد أهل مكة . فنزلت . ـ لباب النقول ـ

* * *

ومن أمراضه النفاق واللدد فى الخصام

* فى قوله تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة : ٤١]

المرض : النفاق ، وسوء الاعتقاد والجمود والتكذيب .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ [البقرة : ٢٠٤]

ألد الخصام : شديد الخصام فى الباطل .

سبب نزول الآية

أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما أصيبت السرية التى فيها عاصم ومرثد قال رجلان من المنافقين : يا ويح هولاء المفتونين الذين هلكوا هكذا ، لا هم قعدوا فى أهليهم ، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم ، فأنزل الله الآية .

وقيل : نزلت فى الأخنس بن شريق أقبل إلى النبى ﷺ وأظهر له الإسلام ، فأعجبه ذلك منه ، ثم خرج فمر بزرع قوم من المسلمين وحمر ، فأحرق الزرع وعقر الحمر . ـ لباب النقول ـ

خبر حول هذه الآية

قال ابن جرير بسنده إلى نوف البكالى ، وكان ممن يقرأ الكتب ـ قال : إنى

لأجد صفة ناس من هذه الأمة في كتاب الله المنزل « **قوم يحتالون على الدنيا بالدين ، ألسنتهم أحلى من العسل ، وقلوبهم أمر من الصبر ، يلبسون للناس مسوك الضأن ، وقلوبهم قلوب الذئاب ، يقول تعالى : فعليّ يجترئون ، وبي يغترون ، حلفت بنفسي لأبعثن عليهم فتنة تترك الحليم فيها حيران** » . قال القرطبي : تدبرتها في القرآن فإذا هم المنافقون فوجدتها « **ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما قلبه وهو ألد الخصام** » .

ـ تفسير ابن كثير ـ

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ **وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٦٧]

نزلت في المنافقين الذين انخذلوا عن المسلمين يوم أحد ، وكان يتزعمهم عبد الله بن أبي بن سلول . وكان معه ثلث المنافقين تقريبا . وقد ظهر بتصرفهم ذلك موقف المنافقين واضحا ، وأدرك المسلمون حينئذ خطورة هؤلاء على الدعوة فأصبحوا يحذرونهم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ** ﴾ [المائدة : ٤١]

الحديث عن المنافقين من أهل المدينة الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [التوبة : ٨]

يظهروا عليكم : ينتصروا عليكم .

لا يرقبوا فيكم : لا يراعوا فيكم .

إلا ولا ذمة : قرابة ولا عهداً ولا حلفا .

يرضونكم بأفواههم : يسمعونكم كلاما حلوا معسولا .

تأبى قلوبهم : تضمر قلوبهم السوء .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة : ٦٤]

يحذر : يخشى ويخاف .

سبب نزول الآية

روى السدى قال : قال بعض المنافقين : والله لوددت أنى قُدِّمتُ فجلدت مائة ، ولا ينزل فينا شيء يفضحنا ، فأنزل الله الآية .. ـ التفسير الوجيز ـ

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [التوبة : ٧٧]

سبب النزول

أخرج الطبراني وغيره أن ثعلبة بن حاطب قال: يا رسول الله ، ادع الله أن

يرزقني مالا ، قال : ويحك يا ثعلبة ، قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه. قال : والله لئن آتاني الله مالا لأوتين كل ذى حق حقه ، فدعا له ، فاتخذ غنما، فنمت حتى ضاقت عليه أزقة المدينة ، فتنحى بها ، وكان يشهد الصلاة ثم يخرج إليها ، ثم نمت حتى تعذرت عليه مراعى المدينة فتنحى بها ، فكان يشهد الجمعة ، ثم يخرج إليها ، ثم نمت فتنحى بها فترك الجمعة والجماعات ، ثم أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ : « **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** » .

فاستعمل على الصدقات رجلين وكتب لهما كتابا ، فأتيا ثعلبة فأقرآه كتاب رسول الله ﷺ ، فقال : انطلقا إلى الناس ، فإذا فرغتم فمروا بى ، ففعلا ، فقال : ما هذه إلا أخت الجزية ، فانطلقا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **ومنهم من عاهد الله لئن أتانا الله من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين * فلما آتاهم من فضله بخلوا وتولوا وهم معرضون * فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون** ﴾ .

- لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى -

أعقبهم : أورثهم

حديث حول الآية

جاءفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **آية المنافق ثلاث ، إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان** » .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ **سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا** ﴾

[الفتح : ١١]

المخلفون : الذين تخلفوا عن الحديبية .

الأعراب : الذين كانوا يقيمون حول المدينة وهم قبائل - أسلم وجهينة وغفار وغيرهم .

* * *

ومن أمراض القلوب الغيظ والغل

* في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) هَا أَنتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** ﴾ [آل عمران : ١١٨ ، ١١٩]

بطانة : خواص يستبطنون أمركم .

لا يألونكم خبالا : لا يقصرون في إفساد أمركم .

ودُّوا : أحبوا .

ما عنتم : ما تتعرضون له من المشقة والتعب .

البغضاء : الكراهة والحقد والغيظ .

وما تخفي صدورهم أكبر : تخفي الغل والحسد والحنق .

خلوا : انفرد بعضهم ببعض .

عضوا عليكم الأنامل من الغيظ : عضُّ الأنامل كناية عن شدة الغيظ ، والأنامل أطراف الأصابع .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

[الأعراف : ٤٣]

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر : ٤٧]

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

[الحشر: ١٠]

من بعدهم : أى بعد المهاجرين والأنصار .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾

[غافر : ٣٥]

بغير سلطان : بغير حجة أو برهان .

كبر مقتا : أى عظم جدالهم بغضا .

يطبع : يختم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

[غافر : ٦٥]

إن في صدورهم : ما في صدورهم .

ما هم ببالغيه : ما هم ببالغين ما في مرادهم من زعامة ، وتغلب على النبي ﷺ .

* * *

ومن أمراضه سوء الظن

* في قوله تعالى : ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ [الفتح : ١٢]

بورا : هالكين .

* * *

ومن أمراضه اللهو

* في قوله تعالى : ﴿ لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣]

أسروا النجوى : تحدثوا سرا فيما بينهم .

هل هذا إلا بشر مثلكم : ما محمد إلا بشر مثلكم . الاستفهام فى الآية غرضه النفى .

أفتأتون السحر : أفتتبعون ما يجيء به من سحر ؟

آيات ورد فيها ذكر مرض القلوب بصفة عامة

* في قوله تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة : ١٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ [المائدة : ٥٢]

يسارعون فيهم : أى يسارعون فى مودة اليهود والنصارى .

تصيبنا دائرة : تصيبنا مصيبة بان يظفر الكفار بالنبى ﷺ فتكون الدولة لهم وبذلك نخسر ولاءهم ويصيبنا مكروه .

يأتي بالفتح : يأتى بالنصر اى نصر المومنين على الكفار .

أمر من عنده : أى أمر بقتل أعداء الإسلام .

ما أسروا فى أنفسهم : ما أخفوا فى أنفسهم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٤٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [الحج : ٥٣]

الذين فى قلوبهم مرض : المنافقون .

القاسية قلوبهم : الكفار والمشركون .

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [النور : ٥٠]

يحيف : يجور عليهم فى الحكم ويظلمهم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً ﴾ [الأحزاب : ١٢]

قالوا ذلك فى أثناء غزوة الأحزاب ... والموعد الذى زعموا أنه غرور : أن الله وعد المسلمين بالنصر على العدو ، وأن النبى ﷺ قال لهم : ستفتح عليكم فارس والروم .. فكان المنافقون يقولون : يعدنا بملك فارس والروم وأحدنا لا يستطيع أن يذهب ليقضى حاجته !!

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الأحزاب : ٦٠]

المرجفون فى المدينة : الذين يروجون الإشاعات الكاذبة .

لنغرينك بهم : لنسلطنك عليهم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ ﴾ [محمد : ٢٠]

لولا نزلت سورة : هلا أنزلت سورة تحض على الجهاد .

ينظرون نظر المغشى عليه من الموت : ينظر نظر المغمى عليه ، من شدة الخوف والفزع .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ ... وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً ... ﴾ [المدثر : ٣١]

المثل المشار إليه هو ذكر عدد الملائكة على جهنم وهم تسعة عشر .

* * *

من أوصاف القلب

من صفاته القلب السليم

* فى قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء : ٨٩]

القلب السليم : المؤمن الخالص من الشرك والنفاق .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الصافات : ٨٤]

المتحدث عنه فى الآية هو إبراهيم عليه السلام ، ووصف بسلامة القلب لأنه ثار على الشرك الذى كان أبوه أحد مروجيه حين كان يصنع الأصنام ويبيعها .

* * *

القلب المنيب

* فى قوله تعالى : ﴿ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾

[ق : ٣٣]

القلب المنيب هو الرجاع إلى الله السليم من الشرك ، المخلص فى عبادة ربه ، المقبل على طاعته .

وهذه الآية جاءت فى وصف مستحقى الجنة ..

* * *

القلب المصفى المتدبر

* فى قوله تعالى : ﴿ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٣]

إصغاء الأفئدة : يعنى تدبرها فيما تسمع .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾

[محمد : ٢٤]

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق : ٣٧]

ذلك : اسم الإشارة يعود إلى ما تقدم فى السورة الكريمة من معانٍ وإشارات.

ذكرى : عظة وعبرة وتدبر .

قلب : عقل يعى ويتدبر .

ألقى السمع وهو شهيد : استمع إلي ما يلقي إليه من كلام فوعاه وتعقله بقلب حاضر .

* * *

القلب الطاهر

* في قوله تعالى : ﴿ ... وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة : ٤١]

* وفى قوله تعالى : ﴿ ... وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٣]

تسمى هذه الآية آية الحجاب .

* * *

شفاء القلب

* في قوله تعالى : ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : ١٤]

الضمير في قاتلوهم يعود على المشركين الذين اعتدوا على المسلمين ومن والاهم .

سبب النزول

أخرج أبو الشيخ عن قتادة قال : ذكر لنا أن هذه الآية نزلت فى خزاعة حين جعلوا يقتلون بنى بكر بمكة .

وأخرج عن عكرمة قال : نزلت هذه الآية في خزاعة ، وأخرج عن السدى : « **ويشف صدور قوم مؤمنين** » هم خزاعة حلفاء النبى ﷺ ، يشف صدورهم من بنى بكر - لباب النقول -

* وفى قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [يونس : ٥٧]

الموعظة : القرآن الكريم وما تضمنه من معانى الخير والحق والهداية التى تؤدى إلى راحة القلوب والصدور ، وسعاده الدنيا والآخرة .



* * *

القلب المهدى

* فى قوله تعالى : ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [التغابن : ١١]

تشير الآية إلى أن الإيمان هو طريق الهداية إلى القلب .. والعلاقة بين صدر الآية وعجزها أن الإيمان يهدى صاحبه إلى الرضا بقضاء اللهوقدره فلا يجزع عند المصيبة ويحمد الله على السراء والضراء .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ **مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ**

وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ [الأحزاب : ٤]

ما جعل الله لرجل : المقصود ما جعل الله لإنسان ، فليس هناك إنسان ذكرا كان أو أنثى فى جوفه قلبان . وجاءت كلمة رجل من باب التغليب .

وتشير الآية بعد ذلك إلى أن المظاهرة من النساء لا تعنى أن الزوجة أصبحت أما .. والظهار أن يقول الرجل لزوجته : أنت علىّ كظهر أمى .

كما تشير إلى أنه لا يجوز أن يلحق الإنسان الابن الذى يتبناه بنسبه ، فيخلع عليه اسمه . بل يجب أن ينسب إلى أبيه الحقيقى .

* * *

حجاب القلب

* فى قوله تعالى : ﴿ **وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا** ... ﴾ [الأنعام : ٢٥]

أكنة : أغطية ، مفردها كِنان كغطاء .

وقرا : ثقلا ..

والمقصود أن هناك حجابا على القلب يمنع تفقهه وهدايته .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا** ﴾ [الإسراء : ٤٦]

* وفى قوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا** ﴾ [الكهف : ٥٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴾ [فصلت : ٥]

* * *

القلب يرى ويعقل

* في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾

[الحج : ٤٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ [النجم : ١١]

* * *



القلب من وسائل العلم

* في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة : ٩٣]

عدم علمهم بسبب طبع الله على قلوبهم ، ولو كشف الله عن قلوبهم الحجاب لعلموا .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل : ٧٨]

وسائل العلم في الآية : السمع والبصر والفؤاد ، ونتيجة العلم الشكر لله تعالى على نعمه الفائضة ومننه الكثيرة .

* وفي قوله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (193) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء : ١٩٣ ، ١٩٤]

الروح الأمين : جبريل . نزل بالقرآن الكريم على قلب النبي ﷺ ، لأن القلب مركز العلم والإدراك والوعي .. ليؤدى بذلك رسالة ربه تعالى .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾

[الروم : ٥٩]

أما الذين يعلمون فقلوبهم مفتوحة يدركون بها الحق .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾

[محمد : ٢٤]

الأقفال : والأختام على قلوب الكفار تحول بينهم وبين تدبر القرآن ليعلموا الحق .

* * *

القلب طريق الفقه

* في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا ... ﴾ [الأنعام : ٢٥]

لقد حالت الأكنة على القلوب دون أن تفقه ما فى القرآن من هدى ورشاد.

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٩]

ذرأنا : خلقنا .

لا يفقهون : لا يفهمون ، والفقه إدراك حقائق الأشياء ودقائق الأحكام ومراميها .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة : ٨٧]

لو زال الختم عن قلوب هؤلاء المنافقين لأدركوا ما فى الجهاد من فضائل ، وما أعده الله للمجاهدين من عطاء .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُواْ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٧]

صرف الله قلوبهم : أى عن التدبر والفهم والاتعاظ ، وذلك لأنهم لا يفهمون القرآن فهما واعيا ويدركون ما فيه من نفع عظيم وخير كبير .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٦]

الختم الذى ختمه الله على قلوب الكفار حال بينهم وبين فقه القرآن ومعرفة ما فيه .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف : ٥٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون : ٣]

* * *

مسئولية القلوب

* في قوله تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٢٥]

اكتسب القلب الإثم بسبب كتمان شهادة الحق .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء : ٣٦]

لا تقف : لا تتبع

* وفي قوله تعالى : ﴿ ... وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥]

إذا تعمد القلب الخطأ تحمل جريرة ذلك .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففون : ١٤]

لقد تراكم الحجاب على القلب بسبب ما اكتسب صاحبه من السيئات والخطايا .

* * *

عذاب القلب

* في قوله تعالى : ﴿ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴾ [الهمزة : ٦ ، ٧]

أى تحرق النار أجسادهم ولا تترك منها شيئا حتى إنها لتحرق الأفئدة ... وخص الأفئدة بالذكر لأنها محل العقائد .

* * *

فراغ القلب

* في قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص : ١٠]

فارغا : أى خاليا من الشغل والاهتمام إلا من موسى عليه السلام .

* وفي قوله تعالى : ﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ [إبراهيم : ٤٣]

أفئدتهم هواء : خالية من العقل والفهم لشدة فزعهم ، كالهواء ـ أى الخلاء الذى لا شيء فيه .

هذا حال الظالمين يوم القيامة .

* * *

اطلاع الله على ما فى القلب

* فى قوله تعالى : ﴿ هَا أَنتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [آل عمران : ١١٩]

ذات الصدور : هي القلوب لأن محلها الصدر .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ ... وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [آل عمران : ١٥٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا ﴾ [النساء : ٦٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [المائدة : ٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [الأنفال : ٤٣]

تتحدث الآية عن لقاء المسلمين بالمشركين يوم بدر .

وقد أرى الله نبيه ﷺ المشركين فى منامه أنهم عدد قليل، وأخبر النبى ﷺ أصحابه بذلك فاطمأنوا ، ولو أنه تعالى أراه المشركين كثيرا لضعف المسلمون ، ووهنت قوتهم وتنازعوا فيما بينهم ، وكان الله عليما بما فى القلوب .

خبر حول الآية

عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : لقد قللوا فى أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جنبي : تراهم سبعين ؟ قال : لا بل هم مائة ، حتى أخذنا رجلا منهم فسألناه فقال : كنا ألفاً .

ـ رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ـ

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [هود : ٥]

تصور الآية حال الكفار حين يرون النبى ﷺ يثنون صدورهم ويتغطون بثيابهم حتى لا يراهم ولا يرونه ، ولكن الله تعالى يخبر أنه عالم بما فى نفوسهم وقلوبهم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [لقمان : ٢٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥]

الخطاب في الآية للنبي ﷺ ، وهي تشير إلى إحدى خصائصه ﷺ من أنه إذ شاء قسم بين زوجاته وإن شاء لم يقسم .

ترجي : تؤخر عنك من تشاء من زوجاتك .

تؤوى : تضم إليك منهن من تشاء

ابتغيت : طلبت . ـ عزلت : اجتنبت .

ذلك أدنى : أقرب . ـ تقر أعينهن : يفرحن ويسعدن .

سبب نزول الآية

أخرج الشيخان عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها كانت تقول : أما تستحى المرأة أن تهب نفسها ؟ فأنزل الله ﴿ ترجى من تشاء ... الآية ﴾

فقالت عائشة : أرى أن ربك يسارع لك فى هواك .. ـ لباب النقول ـ

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [فاطر : ٣٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [الزمر : ٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر : ١٩]

خائنة الاعين : إشارتها الخفية إلى ما لا ينبغى ، واستراقها النظر إلى مالا يحل النظر إليه .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾

[الشورى : ٢٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [الحديد : ٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [التغابن : ٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾

[الملك : ١٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ [العاديات : ٩ - ١١]

تشير الآيات إلى أن الله تعالى حين يبعث الموتى يوم القيامة يكون عالما بكل ما تحمله صدورهم من أسرار وخفايا ونيات ويحاسبهم عليها يومئذ ، ويجازيهم إن خيراً فخير وإن شرا فشر.

* * *

ارتباط القلب بالحواس

* في قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة : ٧]

إذا ختم الله على القلب وصرفه عن الهدى عميت الأبصار عن رؤية دلائل الله في الكون وصمت الآذان فلا تدرك معانى ما يتلى عليها من القرآن ، وما يلقى عليها من مواعظ .

والآية تشير إلى أن هناك ترابطا بين الإدراك العقلى الذى محله القلب والإدراك الحسى بالسمع والبصر

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٦]

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٠]

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٩]

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل : ٧٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [النحل : ١٠٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء : ٣٦]

ربط بين الحواس والقلب ، لأن القلب لو استقام استقامت الجوارح ، وفي الحديث «لو خشع قلبه خشعت جوارحه» .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف : ٥٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٤٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [المؤمنون : ٧٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا

يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [الأحقاف : ٢٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق : ٣٧]

* * *

ومن أمور الغيب : العقل

والعقل وسيلة الإدراك ، وأداة الفهم والتحصيل ، وطريق المعرفة والإيمان ، وهو مقياس المفاضلة بين إنسان وإنسان .. وعلى الرغم من ذلك فهو أمر غيبى ، يعرف وجوده ولا يمكن إخضاعه للحس ..

وقد وردة مادة (عقل) فى القرآن الكريم فى مواضع كثيرة نذكرها فيما يلى:

* * *

إدراك آيات الله بالعقل

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٧٢]

اضربوه : أى اضربوا القتيل الذى لم يعرف قاتله ، وكان ذلك فى عهد موسى عليه السلام .

ببعضها : ببعض البقرة التى أمرهم موسى عليه السلام بذبحها ..

وقد ضربوه ببعضها فحيى القتيل وأخبر عن قاتله . وهذه آية يجب على العاقل أن يؤمن بها

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ١٦٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

[البقرة : ٢٤٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران : ١١٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد : ٤]

صنوان وغير صنوان : جمع صنو وهي النخلات يجمعها أصل واحد وتتشعب فروعها ، وقد يكون المعنى : متماثلات وغير متماثلات .

الأكُلُ : الثمر والحب .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [النحل : ١٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا

حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [النحل : ٦٧]

الرزق الحسن : ما أحل من ثمرتها

والسُّكر : ما حرم من ثمرتها .

لطيفة

جاءت هذه الآية في سياق النعم التي أنعم الله تعالى بها على عباده ، فكيف تذكر الخمر ضمن هذه الآيات ، مع أن الخمر محرمة ومعروف أضرارها؟

وقد سمعت من شيخنا فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى رحمه الله جوابا في ذلك ، إذ قال : إن الله تعالى أسند اتخاذ السُّكر وهو الخر إلى العباد ، كأنه أراد أن يقول لهم : أنا خلقت لكم الثمار ولكنكم اتخذتم أنتم فيها ما يضركم.. فالضرر منسوب إلى العباد لا إلى رب العباد جل وعلا ..

قال ابن كثير : وناسب ذكر العقل هنا لأنه أشرف ما في الإنسان ، ولهذا حرَّم الله على هذه الأمة الأشربة المسكرة صيانا لعقولها .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [المؤمنون : ٨٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ ... فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [النور : ٦١]

تضمنت هذه السورة الكريمة كثيرا من الأحكام المحكمة والشرائع المبرمة ، ولذلك نبه الله تعالى على أنه يبين لعباده الآيات وفيها بيان شاف لتيدبروها ويتعقلوها . ـ صفوة التفاسير ـ

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

[العنكبوت : ٣٥]

منها : أي من قرى قوم لوط التي دمرها الله تعالى عليهم ، أبقى الله تعالى منها آية علامة واضحة لتكون عبرة للعقلاء .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم : ٢٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم : ٢٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾

[يس : ٦٢]

الضمير في أضل يعود عى الشيطان لعنه الله .

جبلا كثيرا : خلقا كثيراً .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ ﴾ [يس : ٦٨]

إذا طال عمر الإنسان تغير خلقه وتبدل حاله ، وتحول من قوة إلى ضعف حتى إنه ليشبه الطفل الصغير .. ففي هذا التبديل دلالة على قدرة الله على البعث والإحياء بعد الموت ، يتنبه لذلك العقلاء .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ (١٣٧) وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [الصافات : ١٣٧ - ١٣٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [غافر : ٦٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الجاثية : ٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الحديد : ١٧]

* * *

توبيخ الذى يُعطل عقله

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٤٤]

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

[البقرة : ٧٦]

مناسبة الآية

أخرج ابن جرير عن مجاهد قال : قام النبى - ﷺ - يوم قريظة تحت حصونهم فقال : يا إخوان القردة ويا إخوان الخنازير ويا عبدة الطاغوت . فقالوا: من أخبر بهذا محمداً ؟ ما خرج هذا إلا منكم أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليكون حجة عليكم ؟ فنزلت الآية ..

أخرج عن طريق عكرمة عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : كانوا إذا لقوا الذين آمنوا أن صاحبكم رسول الله . ولكنه إليكم خاصة ، وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا : أيحدث العرب بهذا ؟ فإنكم كنتم تستفتحون به عليهم فكان منهم . فأنزل الله : ﴿ وَإِذَا لَقُوا.. ﴾

وأخرج عن السدى قال : نزلت في ناس من اليهود آمنوا ، ثم نافقوا ، وكانوا يأتون المؤمنين من العرب بما تحدثوا به فقال بعضهم لبعض : أتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليقولوا : نحن أحب إلى الله منكم وأكرم على الله منكم ؟ - لباب النقول -

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٠]

ألفينا : وجدنا .

قيل لهم : أى قيل للكفار آمنوا بما أنزل الله من قرآن .. رفضوا وقالوا : لا نتبع إلا ما وجدنا عليه آباءنا من عبادة .

وقد رد الله تعالى عليهم قائلا : أولو كان آباوكم الذين تقلدونهم قد ألغوا عقولهم وعطلوها عن التفكير والتدبر أفتتبعونهم ؟

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ١٧١]

ينعق : يصيح .

هذا مثل يصور حال الكفار الذين لا يستعملون عقولهم بحال الحيوان الأعجم الذى يستجيب لصوت داعيه دون أن يفهم معنى الصوت .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٥]

تحاج اليهود والنصارى فى شأن إبراهيم عليه السلام ، فقال اليهود : هو يهودى ، وقالت النصارى : هو نصرانى ، ولو استعملوا عقولهم لتركوا الجدال فى شأن نسبته إليهم لأنه كان قبل اليهودية والنصرانية .

سبب النزول

روى ابن اسحاق بسنده إلى ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله ـ ﷺ ـ فتنازعوا عنده ، فقالت : الأحبار ما كان إبراهيم إلا يهوديا ، وقالت النصارى : ما كان إبراهيم إلا نصرانيا . فأنزل الله تعالى الآية ـ أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ـ

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [المائدة : ٥٨]

ولو عقلوا ما فعلوا ذلك لأن النداء يهدف إلى جمع الناس للوقوف بين يدى الله ومناجاته والإقبال عليه .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[المائدة : ١٠٣].

البحيرة : الناقة تشق أذنها وتخلى للطواغيت وذلك إذا ولدت خمسة أبطن آخرها ذكر .

السائبة : الناقة التى تُسَيَّب للأصنام فى أحوال مخصوصة . كالنذر مثلا .

الوصيلة : الناقة تترك للطواغيت إذا بكرت بأنثى ثم ثنَّت بأنثى .

حامٍ : الفحل الذى لا يركب ولا يُحمل عليه إذا لقح ولد ولده .

- كلمات القرآن تفسير وبيان للشيخ حسنين محمد مخلوف

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٢]

* وفى قوله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٦٩]

الخلْف : بسكون اللام : الأولاد والذرية وهم غير صالحين .

عرض هذا الأدنى : حطام هذه الدنيا .

عرض مثله : مال آخر وحطام آخر .

ميثاق الكتاب : ميثاق التوراة الذى أخذ عليهم أن يبينوها للناس ولا يخفوها عليهم وأن يعملوا بتعاليمها وأن يقولوا الحق .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٢]

والمقصود بالدواب الناس الصم عن السماع الحق البكم عن النطق به الذين لا يعقلون النافع من الضار .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُل لَّوْ شَاء اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ [يونس : ١٦]

والضمير في تلوته يعود على القرآن .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ [يونس : ١٠٠]

الرجس : العذاب .

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [هود : ٥١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ ... أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾

[الأنبياء : ١٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾

[الأنبياء : ٦٧]

أفٍ لكم : قبحاً لكم .

الآية جاءت على لسان إبراهيم عليه السلام ينهى على قومه عبادتهم الأصنام مع اعترافهم بأنها لا تنطق ولا تسمع .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾

[الحج : ٤٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [المؤمنون : ٨٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ [الفرقان : ٤٤]

تسخر الآية من أولئك الكفار الذين يعبدون الأصنام ، ويعرضون عن الحق مع وضوحه ، وتصفهم بأنهم صم عن الحق لا يعقلون . وأنهم أسوأ من الحيوانات .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [القصص : ٦٠]

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦٣]

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾ [يس : ٦٢]

جبلا : خلقا ..

العاقل : لا يطيع عدوه الذى يورده موارد التهلكة . ولكن هؤلاء أطاعوا الشيطان مع علمهم بعداوته لهم .. فهل يعتبرون عقلاء .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ (١٣٧) وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الصافات : ١٣٨ - ١٣٩]

* * *

العقل طريق العلم

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٣]

جعل الله العقل طريق التكفر والتدبر والتعلم والهداية ، وبه يعرف الإنسان طريق الخير من الشر ، وقد ضرب الله تعالى فى القرآن كثيرا من الأمثلة ، وذكر كثيراً من الآيات والدلائل على قدرته ، ولا يفطن إلى ذلك إلا اللبيب العاقل ، والآية المذكورة تتحدث عن ذلك صراحة حيث أشارت إلى العالم لاحق وهو العاقل ، أى الذى يستعمل عقله في التعلم والاهتداء ..

* * *

أسماء أخرى للعقل

من أسمائه : اللب

* وفى قوله تعالى : ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة : ١٧٩]

الألباب : جمع لُب وهو العقل .

والنداء فى الآية يفيد تمجيد العقل وإظهار شأنه وأن أصحابه هم الذين يتنبهون لدقائق الاحكام وحقائق الأمور ، وأنهم فى الصدارة حيث يوجه الخطاب .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ** ﴾ [البقرة : ١٩٧]

أشهر معلومات : هى شوال وذو القعدة والعشر الأوائل من ذى الحج .

لا رفث : لا جماع ولا فحش فى الكلام .

لا فسوق : لا معاصى ترتكب ولا خروج عن حدود الشرع وآدابه .

لا جدال : لا جدال يؤدى إلى التشاحن والخصومة والشجار .

تزودوا : احملوا زاداً يكفيكم فى رحلة الحج .

سبب نزول الآية

روى البخارى وغيره عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : كان أهل اليمن يحجون ولا يزودون ويقولون : نحن متوكلون . فأنزل الله الآية .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [البقرة : ٢٦٩]

الحكمة : العلم النافع وإصابة القول والعمل .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران : ٧]

* وفى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران : ١٩٠]

* وفى قوله تعالى : ﴿ قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة : ١٠٠]

* وفى قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا

يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

[يوسف : ١١١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الرعد : ١٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم : ٥٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص : ٢٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [ص : ٤٣]

الضمير في له يعود على أيوب عليه السلام .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر : ٩]

قانت : مطيع خاضع - آناء الليل : ساعاته .

يحذر : يخاف .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ .. أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾
[الزمر : ١٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الأَلْبَابِ ﴾ [الزمر : ٢١]

سلكه ينابيع : أدخله في عيون ومجارى فى الأرض .

يهيج : يكبر حتى يمضى إلى أقصى غايته .

يجعله حطاما : يصيره فتاتا متكسرا .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ ... وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ (٥٣) هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الأَلْبَابِ ﴾ [غافر : ٥٣ ، ٥٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴾ [الطلاق : ١٠]

* * *

ومن أسماء العقل : النُّهية ، وتجمع على نُهَى ..

جاءت كلمة النهى فى المواضع الآتية : -

* وفي قوله تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ (٥٣) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴾ [طه : ٥٣ ، ٥٤]

مهدا : ممدة كالفراش صالحة للعيش فوقها .

سلك لكم فيها سبلا : سهّل لكم فيها طرقا تسلكونها .

شتى : مختلفة الأصناف والثمار .

أولى النهى : أصحاب العقول ..

وسمى العقل نهية لأنه ينهى صاحبه عن الفساد وارتكاب الأضرار .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴾ [طه : ١٢٨]

أفلم يهد لهم : أفلم يتبين لهم .

القرون : الأمم .

* * *

ومن أسمائه : الحِجْر

* فى قوله تعالى : ﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾ [الفجر : ٤]

الحجر - بكسر الحاء وسكون الجيم - : العقل : سمى بذلك لأنه يحجر صاحبه عن الوقوع فى الخطأ والرجس .

* * *

العقل والحواس

* وفى قوله تعالى : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٧٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون ﴾ [البقرة :]

ربطت الآية بين عوم العقل وفقدان السمع والبصر - والمقصود بالفقدان الفقدان المعنوى لا الحسى .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنعام : ٢٥]

يفقهوه ويعقلوه .

ربطت الآية بين عدم التعقل والصمم المعنوى الذى جعله الله فى آذانهم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٦]

ختم على قلوبكم : منعها من الفهم والتعقل .

يصدقون : يعرضون .

ربطت الآية بين فقدان السمع والبصر والعقل .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ

وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٠]

نقلب أفئدتهم : نجعل عقولهم مضطربة لا تثبت على حال ..

نقلب أبصارهم : نجعلها فى توهم التخيلات ..

فى الآية ربط بين ريع العقل والبصر .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأعراف : ١٠٠]

أو لم يهد : أو لم يتبين .

طبع القلوب : عدم تعقلها .

وفى الآية ربط بين عدم العقل وعدم السمع .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٩]

ربط الآية بين عدم التعقل وعدم الإبصار وعدم السمع .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لا يَعْقِلُونَ ﴾ [يونس : ٤٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل : ٧٨]

الأفئدة : هي محل التعقل والتفهم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ [الإسراء : ٣٦]

ذكر الفؤاد لأنه محل العقل الذى ينهى صاحبه عن الزلل وسماع الناس والنظر إلى ما يحرم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٦]

أن يفقهوه : أن يعقلوه ..

والآية ربطت بين عدم التعقل وعدم السمع .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف : ٥٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾

[الحج : ٤٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [المؤمنون : ٧٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ [الفرقان : ٤٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة : ٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾

[الجاثية : ٢٣]

اتخذ إلهه هداه : عبد هواه وما تميل إليه نفسه .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [الأحقاف : ٢٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق : ٣٧]

كان له قلب : كان له عقل .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك : ١٠]

* وفى قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [الملك : ٢٣]

* * *

العقل محله القلب

* وفى قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٤٦]

وفى الآيات السابقة إيرادها إشارة إلى ذلك .

* * *

العقل واكتساب التقوى والأدب

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٢]

لو عقلوا لزهدوا فى الدنيا واتقوا الله .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ ... وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾

[الأعراف : ١٦٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ مْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾

[يوسف : ١٠٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحجرات : ٤]

سبب نزول هذه الآية

أخرج الطبراني وأبو يعلى بسند حسن عن زيد بن أرقم قال : جاءنا ناس من العرب إلى حجر النبي - ﷺ - ، فجعلوا ينادون : يا محمد ، يامحمد .. فانزل الله الآية .

ورُوى عن قتادة أن رجلا جاء إلى النبي - ﷺ - فقال : يا محمد ، إن مدحى زين وإن شتمى شين ، فقال النبي ﷺ : ذاك هو الله . فنزلت الآية

- لباب النقول -

وقيل : هؤلاء وفد بني تميم ، ووصفوا بذلك لأن العقل يدعو إلى مراعاة الأدب والاستئذان قبل الدخول ومراعاة وقت الراحة في الزيارة ، وحسن الأدب في مخاطبة النبي - ﷺ - ومعرفة قدره .

* * *

العقل يدعو إلى التوحد

* وفي قوله تعالى : ﴿ لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ ﴾

[الحشر : ٤]

الآية تتحدث عن اليهود وتصفهم بالجبن ، فهم لا يجرؤون على مواجهة عدوهم ، بل يحاربونه من وراء الحصون والجدر ، كما تصفهم بالتفرق والتشتت وعدم الاتحاد ، وذلك بسبب نقص عقولهم .. فالعقل يقضى أن يكون أبناء الأمة الواحة متحدين لا متفرقين .

* * *

نزول القرآن بالعربية ليعقله العرب

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف : ٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف : ٣]

جعلناه : أوجدناه وأنزلناه .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد : ٢٤]

* * *

الجن

ومن الأمور الغيبية الجن . وقد أخبرنا الله تعالى بوجودهم ، ولكننا لا نراهم وقد أمرنا بالإيمان بوجودهم لأن ذلك جزء من الإيمان بالغيب .

الجانُّ

ورد ذكر الجان فى المواضع الآتية :-

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴾

[الحجر : ٢٧]

الجان : هو أبو الجان إبليس لعنه الله .

نار السموم : هى نار لا دخان لها تنفذ فى المسام .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [النمل : ١٠]

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾ [القصص : ٣١]

الجانُّ فى هاتين الآيتين السابقتين : الحية السريعة الحركة .

قال ابن كثير : الجانُّ نوع من الحيات أسرعها حركة وأكثرها اضطرابا ، وفى الحديث نهى النبى - ﷺ - عن قتل جنان البيوت .

قال ابن كثير : فى وصف الحية : كأنها جان فى حركتها السريعة مع عظم خلقتها وقوائمها واتساع فمها واصطكاك أنيابها وأضراسها بحيث لا تمر بصخرة الا ابتلعتها تنحدر فى فيها تتقعقع كأنها حادرة فى وادٍ .

والجانُّ بمعنى الحية ليس من الغيبيات .

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ [الرحمن : ١٥]

الجانُّ : أصل الجن . ـ مارج من نار : لهب خالص .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلا جَانٌّ ﴾

[الرحمن : ٣٩]

* وفى قوله تعالى : ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ ﴾ [الرحمن : ٥٦]

قاصرات الطرف : أى قصرن نظرهن على أزواجهن .

لم يطمثهن : لم يفضض بكارتهن .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ ﴾ [الرحمن : ٧٤]

* * *

كلمة الجن فى القرآن

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنعام : ١٠٠]

خرقوا : اختلقوا وافتروا .

ترد الآية على المشركين الذين افتروا على الله وأشركوا فى عبادته الجن ، وادعوا كذبا أن له بنين وبنات ، فالبنين عزير والمسيح ، والبنات الملائكة ، لقد تنزه الله تعالى عن الشريك والولد . سبحانه وتعالى عما يصفون .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٢]

يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا : أى يلقى بعضهم إلى بعض القول الزخرف .

المزين : الذى يغره به ويغويه .

ذرهم : اتركهم . - يفترون : يكذبون .

حديث حول الآية

عن أبى ذر - رضى الله عنه - قال : « أتيت النبى - ﷺ - وهو فى المسجد فجلست ، فقال : « **يا أبا ذر هل صليت** »؟ قلت : لا . قال : «**قم فصل**»، قال : فقمت فصليت ثم جلست ، فقال : «**يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شيطاين الإنس والجن**» . قال : قلت يا رسول الله وللإنس شياطين ؟ قال : «**نعم**» .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾

[الأنعام : ١٢٨]

استمتع بعضنا ببعض : انتفع الإنس بتزيين الجن لهم الشهوات ، وانتفع الجن بطاعة الإنس لهم .

مثواكم : مصيركم ومقركم .

خالدين فيها إلا ما شاء الله : أى من الأوقات التى يخرجون فيها لشرب الحميم فإنه خارجها كما قال تعالى : ﴿ ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم ﴾ .

أو فيمن علم الله أنهم يؤمنون ، فما بمعنى من - تفسير الجلالين -

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ [الأنعام : ١٣٠]

هذا الخطاب موجه إلى كفار الجن والإنس يوم القيامة ، وقد استحقوا العذاب والدخول إلى النار .

والخطاب موجه إليهم من الحق سبحانه وتعالى أو من قِبَل ملائكته الموكلين بعذابهم والانصراف بهم إلى جهنم .

رسل منكم : الرسل من الإنس خاصة ، ومكلفون بإبلاغ الجن .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٨]

تصور الآية طرفا من حال الكفار من الجن والإنس حين يساقون إلى النار ، وقد غلب التضاغن والبغض فيما بينهم ، وود الضعفاء لو أن رؤساءهم ضاعف الله العذاب لهم بسبب إضلالهم لهم .

أخراهم : الأتباع الذين كانوا يتبعون الرؤساء في الدنيا .

لأولاهم : الرؤساء المتبعون .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ [الإسراء : ٨٨]

ظهيراً : معينا .

تشير الآية إلى إعجاز القرآن وأنه ليس في مقدور الخلق جنِّهم وإنسهم أن يأتوا بمثله سواء أكانوا مجتمعين أم متفرقين .

سبب نزول الآية

أخرج ابن إسحاق وابن جرير من طريق سعيد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : أتى النبي - ﷺ - سلام بن مشكم في عامة من يهود سماهم ، فقالوا له كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا ، وإن هذا الذى جئت به لا نراه متناسقا كما تناسق التوراة ، فأنزل علينا كتابا نعرفه وإلا جئناك بمثل ما تأتى به. فأنزل الله الآية - لباب النقول -

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ

لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ﴾ [الكهف : ٥٠]

فسق : خرج عن أمر ربه .

تشير الآية إلى العداوة المتأصلة بين إبليس وذريته وبين أبناء آدم منذ قديم الأزل .. فعلى العقلاء من الناس ألا يغتروا بتزيين الشيطان ووسته فإنه لا يهدى إلى خير .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ [النمل : ١٧]

يوزعون : يُجْمَعُون ويساقون .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ [النمل : ٣٩]

الضمير في به : يعود على عرش بلقيس .

والعفريت : المارد من الجن .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ [سبأ : ١٢]

عين القطر : عين النحاس المذاب - يزغ : يمل

* وفى قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ [البقرة : ٤١]

دابة الأرض : الأرضة وهى حشرة صغيرة تأكل الأخشاب ونحوها .

منسأته : المِنسأة هى العصا .

ما لبثوا : ما مكثوا .

والضمير فى «عليه» يعود على سليمان عليه السلام .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ [سبأ : ٤١]

قالوا : أى الملائكة حين قال الله تعالى لهم يوم القيامة : هل كان هؤلاء المشركون يعبدونكم من دونى ؟ فأجابوا بهذه الآية .

سبحانك : تنزهت.

أنت ولينا : أنت الذى نتولاه ونعبده ، ولا نعبد أحدا سواك .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾

[فصلت : ٢٥]

قيضنا : هيأنا .

ما بين أيديهم : من لذات الدنيا وشهواتها ومحرماتها والكفر بالله وعدم الإيمان به .

وما خلفهم : من إنكار البعث والحساب والجنة والنار .

حق عليهم القول : وجب عليهم العذاب .

قد خلت : قد مضت .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ ﴾ [فصلت : ٢٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ [الأحقاف : ٢٩]

نفرا من الجن : من جن نصيبين باليمن ، أو من جن نينوى بالشام ، وكانوا سبعة أو تسعة ، وكان النبي - ﷺ - ببطن نخلة يصلي بأصحابه الفجر .

- تفسير الجلالين -

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾

[الذاريات : ٥٦]

تشير الآية إلى الهدف من خلق الإنس والجن ، وهو عبادة الله وعدم الإشراك به ومعرفته .

حديث شريف

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - فيما يرويه عن

ربه تعالى : « **يا بن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى ، وأسد فقرك ، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسد فقرك** » رواه الإمام أحمد والترمذى وقال حسن غريب ، ورواه ابن ماجة .

حول الآية

قال صاحب الجلالين : لا ينافي ذلك عدم عبادة الكافرين ، لأن الغاية لا يلزم وجودها ، كما تقول : بريت هذا القلم لأكتب به فإنك قد لا تكتب به.

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ **قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا** ﴾ [الجن : ١]

* وفى قوله تعالى : ﴿ **وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا** ﴾

[الجن : ٥، ٦]

يعوذون : يستعيذون . ـ رهقا : إثما وطغيانا وسفها .

كان العرب قديما إذا نزلوا واديا ، قالوا : نعوذ بعظيم هذا الوادى من الجن ، ولما رأى الجن أن الإنس يخافون منهم ويستعيذون بهم ازدادوا جرأة عليهم وزادوهم أذى وخوفا ورجسا .

* * *

كلمة الجِنة ـ بكسر الجيم ـ فى القرآن

والجِنة بالكسر هم الجِن أيضا .

وقد جاء ذلك

* فى قوله تعالى : ﴿ **... وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ**

أَجْمَعِينَ ﴾ [هود : ١١٩]

وقد تقدمت الجنة على اعتبار أنهم خلقوا أولا قبل الإنس ..

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة : ١٣]

تشير الآية إلى ما أشارت إليه الآية التى ذكرناها قبلها من أن الله تعالى جلت حكمته وسبق قضاؤه بأن تمتلىء جهنم من الجنة والناس جميعا ، ولولا ذلك لهدى الخلق جميعا إلى الحق ..

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ [الصافات : ١٥٨]

قال المفسرون : الجنة هنا الملائكة . لأن المشركين نسبوا الملائكة إلى الله وقالوا إنهن بنات الله ..

والصلة بين الجنة والملائكة أشار إليه ابن كثير فى هذا الخبر : قال المشركون : الملائكة بنات الله تعالى ، فقال أبو بكر - رضى الله عنه - فمن أمهاتهن قالوا : بنات سروات الجن .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ [الناس : ٥ ، ٦]

تشير الآيتان إلى وجوب الاستعاذة من وسوسة الجن والإنس .

كما تشير إلى أن الإنسي له وسوسة الشيطان أيضا . ولعل وسوسة الإنس أشد وأعتى ، لأن وسوسة الشيطان تقهر بالاستعاذة منه ، أما وسوسة الإنسى فلا تقهرها الاستعاذة ، بل تقهرها العزمة القوية باللجوء إلى الله والاستعاذة به في تبيين الرشد من الغى والنافع من الضار .

جاء في تفسير الجلالين : اعترض بأن الناس لا يوسوس في صدورهم الناس ، إنما يوسوس فى صدورهم الجن ، وأجيب بأن الناس يوسوس بعضهم لبعض بمعنى يليق بهم فى الظاهر ، ، ثم تصل وسوستهم إلى القلب وتثبت فيه بالطريق المؤدى إلى ذلك . والله تعالى أعلم .

ولذلك قال النبى - ﷺ - لأبى ذر : « **يا أبا ذر تعوذ من شر شياطين الإنس والجن** »، فقال : قلت يا رسول الله : وللإنس شياطين ؟ قال : « **نعم** » .

وصدق الله تعالى .. : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ** ﴾ [الأنعام : ١١٢] .

* * *

الشيطان - أعاذنا الله منه -

وهو إبليس الرجيم

جاءت كلمة إبليس فى المواضع الآتية

* فى قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة : ٣٤]

* وفى قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ** ﴾ [الاعراف : ١١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾

[الحجر : ٣٠ - ٣٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ [الإسراء : ٦١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ﴾ [الكهف : ٥٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴾ [طه : ١١٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ [الشعراء : ٩٤ ، ٩٥]

كبكبوا فيها : ألقوا فيها .

الغاوون : الضالون .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ ٢٠]

عليهم : الضمير فى عليهم يعود على قوم سبأ الذين ضلوا وكفروا فمزقهم الله شر ممزق .

ظنه : ظن إبليس ، وهو غواية بنى آدم وإضلالهم حتى لا يدخلوا الجنة التي طرده الله منها ..

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ **فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ** ﴾ [ص : ٧٣ - ٧٥]

إبليس اسم للشيطان الرجيم ، وكان أصله من الجن ، ولكنه تعبَّد حتى رقاه الله وجعل بين الملائكة حتى كأنَّه منهم ، وقيل إن اسمه أولا كان عزازيل .

وظهرت حقيقته عند الاختبار ، فحين أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم سجدوا إلا إبليس أبى .

وعن عائشة - رضى الله عنها - قال رسول الله - ﷺ - « **خلقت الملائكة من نور ، وخلق إبليس من مارج من نار ، وخلق آدم مما وُصف لكم ، فعند الحاجة نضح كل وعاء بما فيه** » رواه مسلم في صحيحه .

لقد تشبه بأفعال الملائكة وتعبد وتنسك ، فلذلك دخل في خطابهم ولكنه عصى بالمخالفة .

قال ابن كثير : قال الحسن البصرى : ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين ، وإنه لأصل الجن ، كما أن آدم أصل البشر - رواه ابن جرير بإسناد صحيح عنه .

* * *

العداوة القديمة بين الشيطان وبنى آدم

* في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا**

عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٦٨ ، ١٦٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة : ٢٠٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة : ٩٠ ، ٩١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [الأنعام : ١٤٢]

حمولة : يحمل عليها الناس أثقالهم وأمتعتهم ، وتحملهم هم إلى ما يريدون من أماكن .

فرشا : ما يتخذه الناس من أشعار الأنعام وأصوافها وأوبارها من منسوجات يفرشونها .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٦ ، ١٧]

تشير الآيتان عن توعد إبليس لعنه الله ـ بني آدم ـ وإصراره على أن يغويهم ويصدهم عن الصراط المستقيم ، ويزين لهم السوء حتى يوردهم موارد التهلكة، وذلك بسبب عداوته لهم وحقده عليهم .

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف : ٢٢]

دلاهما : أنزلهما عن رتبة الطاعة وأوقعهما في المعصية .

بغرور : بخداع .

ظهرت لهما سوءاتهما : بدت عوراتهما لأن ملابس الجنة تطايرت عنهما.

طفقا : شرعا وأخذا .

يخصفان عليهما : يلصقان على أجسادهما .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [الحجر : ٣٦ ، ٤٢]

وقد نفذ إبليس وعده ، فما زال يصد بني آدم عن طريق الحق إلا من حفظهم الله من عداوته وشره .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء : ٥٣]

يقولوا التي هي أحسن : يقولوا الكلمة الطيبة عند حوارهم للمشركين .

ينزغ بينهم : يفسد بينهم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ ... قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

[الإسراء : ٦١ ، ٦٢]

أأسجد : الاستفهام من إبليس لعنه الله للاستنكار ، يستنكر أن يسجد لآدم الذى خلقه الله من طين وهو مخلوق من نار ، والنار في نظره أفضل من الطين.

لأحتنكن : لأستولين على ذريته بالإغواء والإضلال .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف : ٥٠]

بئس للظالمين بدلا : أى بئس موالاة هذا العدو اللدود بدلا من موالاة الله عز وجل الرحيم الودود .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ (١١٩) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ (١٢٠) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (١٢٢) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [طه : ١١٧ - ١٢٣]

لا تضحى : لا يصيبك حر الشمس ونفحات الحر .

فغوى : فاغتر بقول إبليس .

اجتباه : اصطفاه .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً ﴾ [الفرقان : ٢٧ - ٢٩]

سبب النزول

قيل : نزلت الآيات في عقبة بن أبى معيط وكان من رءوس الشرك ، مال إلى الإسلام ونطق بالشهادتين ، ولكن أبى بن خلف وكان مشركا لقيه وما زال به حتى أماله عن الإسلام وأرجعه إلى الشرك ثانية .. فنزلت الآيات ..

ـ صفوة التفاسير باختصار ـ

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ ... فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ [القصص : ١٥]

تشير الآية إلى قصة موسى ـ عليه السلام ـ حين استغاث به أحد الإسرائيليين على أحد الأقباط فوكز موسى القبطى فأدى ذلك إلى وفاة القبطى ، فقال موسى: هذا بسبب الشيطان اللعين الذى أغضبنى وحملنى على ما فعلت ، ولا تخفي عداوة الشيطان وإضلاله للإنسان .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر : ٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يس : ٦٠]

أن لا تعبدوا الشيطان : أن لا تطيعوه فيما يأمركم به .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾

[ص : ٧٥ ، ٧٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص : ٨٢ ، ٨٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١) وَلا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [الزخرف : ٦١ ، ٦٢]

* * *

إغواء الشيطان للإنسان وإضلاله له

* في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٦٨ ، ١٦٩]

خطوات الشيطان : طرقه وأساليبه ووساوسه .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٨]

يعدكم الفقر : يخوفكم منه فيامركم بالبخل ويمنعكم من أن تعطوا الفقراء والمساكين وذوى القربى والإنفاق في سبيل الله .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً ﴾ [النساء : ٦٠]

الطاغوت : الكثير الطغيان ، والمقصود به كعب بن الأشرف اليهودى وكان من أحبار اليهود وأشدهم عداوة للنبي - ﷺ - .

سبب نزول الآية

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رجلا من المنافقين يقال له بشر ، كان بينه وبين يهودى خصومة ، فقال اليهودى : تعالى نتحاكم إلى محمد ، فقال المنافق : بل نتحاكم إلى كعب بن الأشرف ، وهو الذى سماه النبى - ﷺ - الطاغوت ، فأبى اليهودى أن يخاصمه إلى رسول الله - ﷺ - ، فقضى رسول الله - ﷺ - لليهودى على المنافق ، فلما خرجا من عنده لم يرض المنافق وقال : تعال نتحاكم إلى عمر بن الخطاب ، فأتيا عمر ، فقال اليهودى : كان بينى وبين هذا خصومة فتحاكمنا إلى محمد فقضى لى عليه فلم يرض بقضائه وزعم أنه يخاصمنى إليك . فقال عمر للمنافق : أكذلك هو ؟ فقال : نعم . فقال عمر : مكانكما حتى أخرج إليكما ، فدخل عمر فاشتمل على سيفه ، ثم خرج

فضرب به المنافق حتى برد - أى مات - وقال : هكذا أقضى فيمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت الآية .. تفسير الكشاف والقرطبى -

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾

[النساء : ١١٩ - ١٢٠]

يقول إبليس لعنه الله : لأضلن بنى آدم وأصرفنهم عن الهداية ، وأزين لهم الأمانى الباطلة حتى ينصرفوا عن الصالحات ، ولآمرنهن بكل ما يزين لهم الشرك ويصدهم عن السبيل .

يبتكن : يقطعن آذان الأنعام علامة على أنها خاصة لآلهتهم فلا ينتفع بها أحد من الخلق .

يغيرن خلق الله : يغيرون دين الله تعالى بالكفر وإحلال الحرام وتحريم الحلال.

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة : ٩٠ - ٩١]

الميسر : القمار .

الأنصاب : الأصنام المنصوبة للعبادة

الأزلام : الأقداح التي يستقسمون بها ، ويلعبون بها الميسر .

رجس : عمل مستقذر.

هاتان الآيتان تشيران إلى تحريم الخمر تحريما قاطعا وقد استجاب المسلمون إلى ذلك فبمجرد نزول الآية أراقوا ما عندهم من الخمر ، وتخلصوا منها .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف : ١٦ ، ١٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٠]

تشير الآية إلى أن الذى يتخذ الشيطان وليا من دون الله يقع تحت غوايته فيضله ويذهب به إلى مهاوى الضلالة والخسران .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال : ٤٨]

تصور الآية موقف الشيطان يوم بدر من أوليائه المشركين ، حاول أن يغريهم بالمسلمين ، فلما دارت المعركة ونزل النصر من عند الله فر هارباً وتبرأ من أوليائه . . .

عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : « **جاء إبليس يوم بدر في جند من**

الشياطين معه راية في صورة رجل من بني مدلج ، في صورة سراقة بن مالك ابن جعشم ، فقال الشيطان للمشركين : لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم ، فلما اصطف الناس أخذ رسول الله - ﷺ - قبضة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين ، وأقبل جبريل عليه السلام إلى إبليس، فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع يده ثم ولى مدبرا وشيعته ، فقال له الرجل - وهو الحارث بن هشام - : يا سراقة ألم تزعم أنك لنا جار ؟ فقال : إني أرى ما لا ترون ، إني أخاف الله ، والله شديد العقاب ، وذلك حين رأى الملائكة » رواه علي بن أبي طلحة - تفسير ابن كثير -

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [الحجر : ٣٩ ، ٤٠]

لأزينن لهم في الأرض : لأحسنن لهم المعاصي وأدفعهم إليها .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النحل : ٦٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (٦٢) قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا (٦٣) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾

[الإسراء : ٦٢ ، ٦٤]

لأحتنكن ذريته : لأستأصلنهم بالإغواء والإضلال .

جزاء موفورا : جزاء كاملا وافرا

استفزز : استخف وأزعج بإغوائك وإضلالك .

أجلب عليهم بخيلك ورجلك : صحْ عليهم بركبان جندك ومشاتهم .

شاركهم في الأموال والأولاد : زين لهم الحرام كالربا والاستغلال والاغتصاب، وزين لهم الزنا حتى ينتسب الأبناء إلى غير آبائهم .

غرورا : باطلا .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٢١]

ما زكا : ما طهر .

يزكي : يُطهر من الذنب ويقبل التوبة من عباده .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٢١ - ٢٢٣]

تشير الآيات إلى أن الشياطين تنزل على الكذابين الضالين فتلقى إليهم الأخبار الكاذبة التى تضلهم بها .

أنبئكم : أخبركم - تنزل : توسوس وتزين .

أفاك : كثير الكذب - أثيم : كثير الإثم والذنب

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ ﴾ [النمل : ٢٤]

وجدتها : الضمير بعد يعود على بلقيس ملكة سبأ .

صدهم عن السبيل : أبعدهم عن الحق وأضلهم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾

[يس : ٦٢]

جبلا كثيرا : خلقا كثيرا .

والضمير في أضل يعود على الشيطان الرجيم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص ، ٨٢ ، ٨٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المجادلة : ١٩]

استحوذ : استولى .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الحشر : ١٦]

تشير الآية إلى أن الشيطان يوسوس للإنسان ويزين له الكفر حتى يكفر ، فإذا كفر تبرأ منه وتركه ومصيره الأسود .

* * *

الشيطان وراء تعلم السحر

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾ [البقرة : ١٠٢]

روى ابن أبي حاتم بسنده إلى سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضي الله عنهما قال : كان آصف كاتب سليمان ، وكان يعلم الاسم الأعظم ، وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان ويدفنه تحت كرسيه ، فلما مات سليمان أخرجته الشياطين فكتبوا بين كل سطرين سحرا وكفرا ، وقالوا : هذا الذي كان سليمان يعمل به ، قال : فاكفره جهال الناس وسبوه ، ووقف علماء الناس ، فلم يزل جهال الناس يسبونه حتى أنزل الله سبحانه على محمد - ﷺ - ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ - تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير -

* * *

التحذير من الشيطان وأوليائه .

الآيات السابقة تستوجب الحذر من الشيطان لعداوته الشديدة ، ولإصراره على غواية الإنسان وإضلاله حتى يورده موارد التهلكة ، فإذا أضله تخلى عنه ، وضحك منه .

ونضيف إليها الآيات التالية التي تحذر من أولياء الشيطان :

* في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾

[النساء : ٧٦]

الطاغوت : الشيطان .

تحث الآية على محاربة أولياء الشيطان ، فمحاربتهم خذلان له ولهم ، وتذكرهم بأن كيد الشيطان ضعيف لأنه لا يقوى أمام صولة الحق وقوته .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾

[الأنعام : ١٢١]

سبب نزول الآية والتي قبلها

روى أبو داود والترمذي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : أتى ناس إلى النبي ـ ﷺ ـ فقالوا يا رسول الله ، أنأكل ما نقتل ولا نأكل ما يقتل الله ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ **فكلوا مما ذكر اسم الله عليه** .. إلى قوله تعالى : **وإن أعطتموهم إنكم مشركون** ﴾ .

وأخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : « **وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم** » قال : لما نزل قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ** ﴾ أرسلت فارس إلى قريش أن خاصموا محمدا فقولوا له : ما تذبح أنت بيدك بسكين فهو حلال ، وما ذبح الله بشمشار من ذهب ـ يعني الميتة ـ فهو حرام . فنزلت : ﴿ **وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم** ﴾ قال : الشياطين : فارس ، وأولياؤهم : قريش .

ـ لباب النقول ـ

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٧]

لا يفتننكم : لا يخدعنكم .

ينزع عنهما لباسهما : نسب النزع إلى الشيطان لأنه هو المتسبب في ذلك ، فإن آدم وحواء حين أكلا من الشجرة المحرمة تطايرت عنهما ملابسهما وكان ذلك بسبب وسوسة الشيطان لهما .. وكان هذا من أهداف اللعين أن يهتك الستر عن الإنسان ويعرّيه من جميع الفضائل الحية والمعنوية .

قبيلة : جنوده وذريته .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (٢٠١) وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ ﴾

[الأعراف : ٢٠١ ، ٢٠٢]

تشير الآيتان إلى أن المتقين يتنبهون دائما إلى وساوس الشيطان فيهزمونه بالإستعاذة بالله والاستعانة به عليه ..

ولا يزال إخوان الشياطين وأولياؤهم يساعدون الشيطان على إنفاذ مآربه وأغراضه في بني آدم ، ولذلك ينبغي الحذر منهم ومجانبتهم وعدم الإصغاء لهم، ومحاربتهم ، وإخوان الشياطين هم قرناء السوء الذين يزينون للناس الباطل. ومنهم المسرفون الذين يقول الله فيهم « **إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا** » .

* * *

الاستعاذة من الشيطان

* في قوله تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف : ٢٠٠]

ينزغنك : يصيبك منه أذى أو وسوسة بالفساد أو غير ذلك .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل : ٩٨ ، ٩٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ [المؤمنون : ٩٧ ، ٩٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [فصلت : ٣٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَٰهِ النَّاسِ (٣) مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ [الناس : ١ - ٦]

* * *

أثر الاستعاذة في قهر الشيطان

قال ابن كثير في مطلع تفسيره : من لطائف الاستعاذة أنها طهارة للفم من اللغو والرفث وتطييب له ، وهي استعاذة بالله واعتراف له بالقدرة وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو اللعين الذي لا يقدر على منعه إلا الله

تعالى الذى خلقه ، ولما كان الشيطان يرى الإنسان من حيث لا يراه استعاذ منه بالذى يراه ولا يراه الشيطان ..

من الأحاديث الشريفة

عن أبي سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال : كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا قام من الليل فاستفتح صلاته وكبرٌ قال : « **سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ولا إله غيرك** » ثم يقول : « **لا إله إلا الله ثلاثا** » ثم يقول : « **أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، من همزه ونفخه ونفثه** » رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن .

وفي صحيح مسلم عن عثمان بن أبي العاص ـ رضى الله عنه ـ قال : قلت : يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتى وقراءتى يلبسها علىّ ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **ذلك شيطان يقال له خنزب ، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه ، واتفل عن يسارك ثلاثا ، ففعلت ذلك فأذهبه الله عنى** »

ـ الأذكار للنووى ص١١٧ .

* * *

الشيطان وآدم

* في قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ**

يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

[البقرة : ٣٤ - ٣٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ

هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾

[الأعراف : ١١ - ٢٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴾

[الحجر : ٢٨ - ٣٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء : ٦١ ، ٦٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ﴾ [الكهف : ٥٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ (١١٦) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ (١١٨) وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَىٰ (١١٩) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ (١٢٠) فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ

اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (١٢٢) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ ﴾ [طه : ١١٦ - ١٢٣]

* وفى قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (٧٦) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [ص : ٧١ - ٧٨]

* * *

استكبار إبليس ولعنه وطرده

راجع ذلك فى الآيات التى ذكرناها والتى ستأتى بعد .

* * *

وسوسة إبليس للإنسان

* فى قوله تعالى : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [البقرة : ٣٦]

أزلهما : وسوس لهما حتى أوقعهما فى الزلل والخطيئة .

* وفى قوله تعالى : ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا ﴾ [النساء : ١٢٠]

يعدهم الشيطان بوعود كاذبة ، ويمنيهم الأمانى الباطلة التى لا تتحق ، فما هى إلا وساوس يلقيها فى أذهانهم ثم لا يجنون من ورائها إلا الخسران .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الانعام : ٤٣]

بأسنا : عذابنا .

تضرعوا : لجأوا إلى الله بالتوبة والاستغفار والدعاء .

تشير الآية إلى أن البأس والشدائد التى يرسلها الله تعالى على عباده إنما تكون لتذكيرهم . وإلجائهم إلى الله بالتوبة ليرفع عنهم ما وقع عليهم . ولكن الشيطان يحول بينهم وبين ذلك . وهذا ما نشاهده واقعا حيث تجتاح الكوارث والزلازل والأعاصير والأوبئة الناس فلا يفكرون في اللجوء إلى الله ، والمبادرة إلى التوبة إليه ليرفع عنهم ما أصابهم .. ويظلون سادرين فى الغفلة غارقين فى أوهام الوساوس والشهوات التى يزينها لهم الشيطان .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٢ ، ١١٣]

تشير الآيتان إلى ما يوسوس به شياطين الإنس والجن إلى الناس ليحولوا بينهم وبين الاستماع إلى دعوة الأنبياء ، ويضعوا على ألسنتهم من الباطل ما يحاولون به إبطال دعوة الحق وإشاعة الضلال والكفر .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٦ ، ١٧]

اقعدن لهم صراطك المستقيم : أترصد لهم طريق الصلاح فأصدهم عنها .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف : ٢٠ - ٢٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ ﴾ [طه : ١٢٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ

الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [الحج : ٥٢ ، ٥٣]

المعنى

ما أرسل الله من نبي ولا رسول إلا حال الشيطان بينه وبين تحقيق أمنيته التي هي هداية قومهم وإيمانهم بالله ، وذلك بوسوسته للناس وإغرائهم بالكفر وتكذيب النبي أو الرسول . ولكن الله يؤيد أنبياءه ورسله في النهاية ويقضي على الشيطان وحزبه .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ [العنكبوت : ٣٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد : ٢٥]

ارتدوا على أدبارهم : تركوا الهدى إلى الضلال .

سول لهم : وسوس لهم .

أملى لهم : خدعهم بالآمال الباطلة والأماني الزائفة .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المجادلة : ١٠]

النجوى : المحادثة سرا بما يؤذي المسلمين .

من الشيطان : بسبب وسوسة الشيطان لهؤلاء المتناجين .

* وفي قوله تعالى : ﴿ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ [الناس: ٤ - ٦]

الوسواس : الشيطان .

الخناس : الذى يخنس حين يستعيذ منه الإنسان او يسمع ذكر الله .

* * *

الشيطان قرين العصاة من بنى آدم

* في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾ [النساء : ٣٨]

رئاء الناس : مراءاة ونفاقا لهم ، وسمعة ليقال : إنهم منفقون .

قرينا : ملازما ومصاحبا .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾

[فصلت : ٢٥]

قيضنا : هيأنا وأعددنا .

قرناء : ملازمين ومصاحبين من الشياطين .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ㊱ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ㊲ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا

قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴾ [الزخرف : ٣٦ ـ ٣٨]

يعش : يعرض

يصدونهم عن السبيل : يبعدونهم عن طريق الهدى والرشاد .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ [ق : ٢٧]

يوم القيامة يحاول الشيطان المقارن للإنسان أن يتنصل من تهمة إغواء قرينه ويقول : ربنا ما أطغيته .

* * *

الشيطان يتخلى عن ضحاياه

* في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال : ٤٨]

نكص على عقبيه : فر هاربا .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم : ٢٢]

ما أنا بمصرخكم : ما أنا بمغيثكم إن استنجدتم بى .

وما أنتم بمصرخي : ما أنتم تغيثوننى إن استنجدت بكم ، يقال : استصرخه إذا استغاث به ، وأصرخه إذا أغاثه .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً ﴾ [الفرقان : ٢٩]

يقول الظالم يوم القيامة وهو يعض بنان الندم : إن الشيطان أضلنى بعد الهداية ، ثم تخلى عنى الآن ولم ينصرنى فى هذا الموقف ، لقد خذلنى فى ساعة الشدة مع أنه هو الذى أوقعنى فى الهلاك .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ ﴾ [ق : ٢٧]

يتخلى الشيطان يوم القيامة عن ضحيته التى أغواها ويلقى باللائمة عليها ، ولكن ذلك لا ينجيه من غضب الله تعالى .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الحشر : ١٦]

* * *

صفات إبليس

هو الشيطان فى الآيات التى ذكرناها ..

والشيطان من شطن إذا بعد ، فهو بعيد بطبعه وبفسقه عن كل خير ..

الرجيم ، ومعناه المرجوم أى المطرود من الخير كله ، وذلك فى المواضع .

* وفى قوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾ [آل عمران : ٣٦]

الآية وردت على لسان امرأة عمران ، وهى أم مريم ، جدة المسيح ـ عليه السلام ـ لأمه . تناجى ربها أنها وضعت ما في بطنها أنثى ، وكانت قد نذرت أن يكون مولودها محرراً ـ أى متفرغا للعبادة وخدمة بيت المقدس . ومع ذلك فقد وفت بنذرها ، وطلبت من الله أن يعيذ هذه المولود وذريتها من الشيطان الرجيم ، وقد أجاب الله دعاءها .

فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **ما من مولود إلا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من مسه إلا مريم وابنها** » ثم يقول أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم « **وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم** » . ـ رواه الشيخان ـ

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ **وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ** ﴾ [الحجر : ١٧]

الضمير فى حفظناها يعود إلى السماء ، فهى محروسة من الشياطين الذين يسترقون السمع .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ [الحجر : ٣٤]

الضمير فى (منها) يعود إلى الجنة . فقد طرد منها بعد استكباره ورفضه السجود لآدم حين أمر الله الملائكة بالسجود له .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [النحل : ٩٨]

* وفى قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ [ص : ٧٧]

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴾ [التكوير : ٢٥]

ما هو : أى القرآن الكريم ، ليس من قول الشيطان الرجيم ، بل هو منزل من عند الله تعالى .



* * *

الملعون

* فى قوله تعالى : ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا (١١٧) لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾

[النساء : ١١٧ ، ١١٨]

أى ما يعبد المشركون من دون الله إلا الأصنام الضعاف المسماة بأسماء الإناث كاللات والعزى ، والعرب يطلقون على كل ضعيف أنثى ، كما يعبدون الشيطان الملعون الذى لعنه الله وتوعد بأن يتخذ من الناس من يضله ويغويه ويبعده عن طاعة الله .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الحجر : ٣٤ ، ٣٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [ص : ٧٧ - ٧٨]

* * *

المريد

* في قوله تعالى : ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴾ [النساء : ١١٧]

مريدا : متمردا متجردا من الخير .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴾ [الحج : ٣]

سبب نزول الآية

أخرج ابن أبى حاتم عن أبى مالك قال : نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث - لباب النقول -

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴾ [الصافات : ٧]

أى زينا السماء بالكواكب لتحفظها من كل شيطان متمرد ..

الخذول ـ أى الذى يخزل ضحيته ويتخلى عنه فى الشدة

* فى قوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً** ﴾ [الفرقان : ٢٩]

* * *

الكفور

* فى قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا** ﴾ [الإسراء : ٢٧]

الكفور : شديد الكفر لنعم ربه .

* * *



الغرور : ـ بفتح الغين ـ

* فى قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ** ﴾ [لقمان : ٣٣]

لا يجزى : لا يغنى .   ـ لا تغرنكم : لا تخدعنكم .

لا يغرنكم بالله : أى فى حلمه وإمهاله .

الغرور : الشيطان وسمى بذلك لخداعه وكيده ومكره .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ** ﴾ [فاطر : ٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾

[الحديد : ١٤]

المنادون هم المنافقون ينادون الذين آمنوا يوم القيامة .... فتنتنم أنفسكم : أضللتم أنفسكم بالنفاق وأهلكتموها .

وتربصتم : انتظرتم للمؤمنين الدوائر والمصائب .

ارتبتم : شككتم .

الأمانى : الأباطيل .

* * *

الخناس

* فى قوله تعالى : ﴿ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ [الناس : ٤]

* * *

تسخير الجن والشياطين لسليمان عليه السلام

* فى قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٢]

يغوصون : يغوصون له فى البحار ليستخرجوا منها اللؤلؤ .

أعمالا دون ذلك : أعمالا أخرى غير هذه كأعمال البناء وصناعات التماثيل وغير ذلك .

كنا لهم حافظين : حتى لا يهربوا ، أو يفسدوا ما صنعوا ، أو يمتنعوا عن العمل .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ [النمل : ١٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ [النمل : ٣٩]

آتيك به : آتيك بعرش بلقيس .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾

[سبأ : ١٢ ، ١٣]

غدوها شهر ورواحها شهر : تسير في الصباح مسيرة شهر ، وفي المساء مسيرة شهر .

عين القطر : عين النحاس المذاب .

محاريب : أبنية عالية وقصور مرتفعة .

جفان : جمع جفنة وهى صحفة الطعام الواسعة

كالجواب : كالحياض الواسعة .

قدور راسيات : جمع قِدر التى يعد فيها الطعام ، وهى ثقيلة لا تتحرك من مكانها لعظمها .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ [ص : ٣٦ - ٣٨]

رخاء : منقادة لينة

حيث أصاب : حيث أراد

مقرنين : مقيدين .

الأصفاد : جمع صَفَد وهو القيد .

* * *



الإيمان بالقضاء والقدر

والإيمان بالقضاء والقدر من أركان الإيمان ، قال النبي ـ ﷺ ـ لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : « **واعلم أن الخليقة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك** » وفي رواية : رفعت الأقلام وجفت الصحف . رواه الترمذي .

وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **كل شيء بقدر حتى العجز والكيس** » .

وعنه قال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « **كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء** »

ـ أخرجه مسلم ـ

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه قال : « **المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا وكذا ، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان** » رواه مسلم .

وذكر عن علي رضي الله عنه أنه قال : إن أحدكم لن يخلص الإيمان إلى قلبه حتى يستيقن يقينا غير ظن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، ويقر بالقدر كله . أي خيره وشره ، حلوه ومره ـ كما جاء في حديث صحيح .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : القدر نظام التوحيد ، فمن وحد الله ولم يؤمن بالقدر كان كفره بالقضاء نقضا للتوحيد ، ومن وحد الله وآمن بالقدر كانت العروة الوثقى لا انفصام لها .

وعن أبي بن كعب ، وحذيفة ، وابن مسعود ، وزيد بن ثابت : لو أنفقت مثل جبل أحد ذهبا في سبيل الله ما قبل منك حتى تومن بالقدر ، وتعلم أن ما

أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وإن مت على غير ذلك دخلت النار - طريق الهجرتين لابن القيم -

آيات تشير إلى قضاء الله وقدره

* في قوله تعالى : ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة : ١١٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾ [البقرة : ٢١٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٤٧]

القائلة مريم حين بشرها جبريل بولادة المسيح عليه السلام

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾

[آل عمران : ١٤٥]

إلا بإذن الله : أي بقضائه وقدره .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٦٦]

التقى الجمعان : المؤمنون والمشركون يوم أحد .

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [النساء : ٧٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ [الأنعام : ٢]

قضى أجلا : قدر أجلا محدودا لكل مخلوق ، وهو أجل الحياة الذى ينتهى بالموت .

وأجل مسمى عنده : هو يوم البعث .

تمترون : تشكون فى البعث وتجادلون فيه .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لا يُنظَرُونَ ﴾ [الأنعام : ٨]

لقضى الأمر : أى لقضى بإهلاكهم . ـ لا ينظرون : لا يُمهلون .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأنعام : ٣٥]

لو شاء الله لجمعهم على الهدى : أى لو شاء هدايتهم جميعا لهداهم ولكنه لم يشأ ..

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ٥٧ - ٦٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٥]

حديث حول الآية

عن عائشة - رضى الله عنها قالت : « دعى رسول الله - ﷺ - إلى جنازة غلام من الأنصار ، فقلت : يا رسول الله ، طوبى لهذا ، عصفور من عصافير الجنة، لم يدرك السوء ولم يعمله ، قال : أو غير ذلك ، إن الله خلق للجنة أهلا ، خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم » رواه الشيخان

وعن أبى قتادة أنه سمع النبى - ﷺ - يقول : « خلق الله آدم وأخرج الخلق من ظهره فقال : هؤلاء فى الجنة ولا أبالى ، هؤلاء فى النار ولا أبالى » قال قيل : علام نعمل ؟ قال : على مواقع القدر .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾

[الأعراف : ١١١]

الحديث في الآية عن قوم فرعون كانوا يتطيرون بموسى عليه السلام حين يصيبهم شر فرد الله عليهم بأن كل شيء من عند الله ولا شأن بموسى في ذلك.

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال : ١٧]

الآية تشير إلى ما حدث يوم بدر حيث قتل الله الكفار ، وكانت الرمية التى رماها النبى - ﷺ - تحقيقا لقدر الله

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

[الأنفال : ٤٢]

تشير الآية إلى ما حدث يوم بدر ومواقع المعسكرين قبل بدء المعركة .

والمقصود بالركب : عير أبي سفيان القادمة من الشام وكانت هي هدف المسلمين ، ولكن الله أراد أن تنجو العير ويحدث اللقاء بين المعسكرين ويتحقق النصر للمؤمنين ويمحق الكافرين .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة : ٥١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٢) فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

[يونس : ٢٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [يونس : ٤٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ [يونس : ٩٦ ، ٩٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [يونس : ١٠٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

[يونس : ١٠٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود : ٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [هود : ٣٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [هود : ١١٨ - ١١٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود : ١٢٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٢١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف : ٥٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [يوسف : ١١٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [الرعد : ٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ (٨) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾

[الرعد : ٨ ، ٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد : ١١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴾ [الرعد : ٢٦]

يقدر : يضيّق

متاع : متعة قليلة سرعان ما تزول .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [الرعد : ٣١]

ولو أن قرآنا : جواب الشرط يفهم من السياق تقديره : لكان هذا القرآن.

قطعت به الأرض : شققت به فكانت سهولا ووديانا وعيونا .

أفلم ييأس : أفلم يعلم. ـ قارعة : داهية .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ (٤) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾ [الحجر : ٤ ، ٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الحجر : ٢١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [النحل : ٦١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء : ٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء : ٣٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ [الإسراء : ٥٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً ﴾ [الإسراء : ٧٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ﴾ [الإسراء : ١٠٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ [الكهف : ٢٧]

ملتحدا : ملجأ .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً ﴾ [الكهف : ٥٨]

موئلا : ملجأ .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ [المؤمنون : ٢٧]

إليه : إلى نوح .

بأعيننا ووحينا : بحفظنا ورعاتنا وإرشادنا وتعليمنا إياك .

فار التنور : فاض الماء من موقد النار .

من سبق عليه القول : من سبق القضاء بهلاكه .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾

[المؤمنون : ٤٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان : ٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [القصص : ٦٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب : ٣٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [يس : ٣٨ ، ٣٩]

منازل : هي ثمانية وعشرون منزلاً في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر ، ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوما ، وليلة إن كان تسعة وعشرين يوما .

العرجون : عود الشماريخ إذا عتق فإنه يرق ويتقوس ويصفر .

- تفسير الجلالين -

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : ٤٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ .. ﴾ [الحديد : ٢٢ ، ٢٣]

* * *

في كتاب : في اللوح المحفوظ .

نبرأها : نخلقها أي نخلق الأرض والأنفس .

قال ابن كثير : هذه الآية الكريمة العظيمة من أدل دليل في الرد على القدرية نفاة العلم السابق قبحهم الله ، روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « **قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة . وزاد ابن وهب : وكان عرشه على الماء** » ورواه الترمذي وحسنه وصححه .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [التغابن : ١١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ **فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا** ﴾ [الطلاق : ٢، ٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ ... **إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ** ﴾ [المعارج : ٤٠ ، ٤١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ** ﴾ [المزمل : ٢٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ **مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ**

السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴾ [عبس : ١٨ - ٢٢]

* * *

تقدير الله فى كونه

* فى قوله تعالى : ﴿ فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [الانعام : ٩٦]

فالق الإصباح : شاق الضياء من الظلمة وكاشفه .

حسبانا : أى بحساب دقيق يتعلق به مصالح العباد .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥) إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٥ ، ٦]

جعل الشمس ضياء : جعلها مضيئة ساطعة بالنهار ، وخصت بالضياء لأن الضياء له سطوع وبرهان وهو ما يناسب الشمس لعظم جرمها .

قدره منازل : سيره فى منازل وهى البروج .

اختلاف الليل والنهار : تعاقبهما .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ [الرعد : ٨]

ما تغيض الأرحام : ما تنقصه من إلقاء الجنين قبل تمامه .

وما تزداد : وما تزداد على الاشهر التسعة المعلومة

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الحجر : ٢١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان : ٢]

قدره تقديرا : خلق كل شيء بقدرته مع الإتقان والإحكام ، وقيل : الخلق هو الإيجاد بعد العدم ، والتقدير هو إتقان الصنعة وتخصيص كل مخلوق بمقداره وصنعته وزمانه ومكانه ومصلحته وأجله وغير ذلك . ـ صفوة التفاسير ـ

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الاحزاب : ٣٨]

حرج : ضيق أو إثم .

فرض له : أحل له من الزوجات فوق الأربع ، أو التزوج بمطلقة متبناه إبطالا لعادة الجاهلية .

الذين خلوا من قبل : من الانبياء السابقين الذين وسّع الله عليهم .

قدرا مقدورا : قضاء مقضيا وحكما مقطوعا به من الأزل .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾ [سبأ : ١٨]

الحديث فى الآية عن قوم سبأ الذين مزقهم الله بعد انهيار سد مأرب بسبب كفرهم .

قدرنا فيها السير : نظمنا فيها السير حيث يسيرون من منزل إلى منزل ومن قرية إلى قرية .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾

[يس : ٣٨ - ٤٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾

[فصلت : ٤٩]

فقضاهن : فأتم خلقهن .

أوحى : رتب فى كل سماء ما تحتاج إليه من الملائكة والأشياء .

مصابيح : نجوم وكواكب .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : ٤٩]

بقدر : أى بمقدار معلوم مكتوب في اللوح المحفوظ .

* وفي قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾

[الواقعة : ٦٠]

ما نحن بمسبوقين : ما نحن بعاجزين .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ . . . ﴾

[المزمل : ٢٠]

الخطاب في الآية للنبي ـ ﷺ ـ الذى أمره الله تعالى في صدر هذه السورة بقيام الليل وقراءة القرآن .

يقدر الليل والنهار : يعلم مقادير ساعات الليل والنهار ويحصيها بدقة .

علم أن لن تحصوه : علم عجزكم عن إحصاء مقادير الليل والنهار بدقة ، فخفف عنكم لذلك .

* * *

تقدير الله فى الأرزاق

* في قوله تعالى : ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [الانعام : ٥٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود : ٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ﴾ [الرعد : ١٧]

هذه الآية جاءت في معرض الأمثال التي ضربت في القرآن الكريم ، ولكنها في الوقت نفسه تشير إلى أن كل شيء بقدر وأن الأمطار من أسباب الرزق ، وأن الرزق من المياه موزع بين أماكن الأرض بقدر معلوم وحكمة بالغة .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴾ [الرعد : ٢٦]

يبسط : يوسع .

يقدر : يُضيق .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الحجر : ٢١]

تشير الآية إلى أنه ما من شيء من الأرزاق والمنافع في الكون إلا من خزائن الله تعالى التي لا تنفد ، وإنه ليصرفها بمقدار معلوم حسب حكمته العالية وقضائه المحكم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ [النحل : ٧١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء : ٣٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [القصص : ٨٢]

الذين تمنوا مكانه بالأمس : هم طلاب الدنيا الذين غرهم ما عليه قارون من مال وجاه وسلطان ، فتمنوا أن يكون لهم مثل ما لقارون من ذلك .

ويكأن الله : نعجب لأن الله .

ليخسف بنا : أى لخسف بنا الأرض كما خسفها بقارون وأمواله وداره .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [العنكبوت : ٦٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الروم : ٣٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

[الروم : ٤٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ : ٣٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [سبأ : ٣٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الزمر : ٥٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ ﴾ [غافر : ١٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر : ٦٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴾ [فصلت : ١٠]

فيها : الضمير يعود على الأرض

رواسى : جبالا ثابتات فوق الأرض .

قدر فيها أقواتها : قدر فيها أرزاق أهلها الذين يعيشون فوقها من إنس وجن وطير وحيوان ووحش وهوام وغيرها .

سواء : متساوية لطالبى الرزق بالسعى فيها ، أى الكل متساوون فى السعى فى طلب الرزق ولكل حظه المقسوم له .

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الشورى : ١٢]

مقاليد : مفاتيح .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٧) وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [الشورى : ٢٧ ، ٢٨]

لبغوا : لظلموا وأفسدوا - بقدر : بتقدير معين .

قنطوا : يئسوا .

الغيث : المطر ، وهو من أسباب الرزق ، وقد يعبر عنه بالرزق كما في آية غافر ، وآية الجاثية الآتية بعد

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ [الشورى : ٤٩ ، ٥٠]

والذرية رزق بيد الله سبحانه وتعالى .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [الزخرف : ١١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤)

وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الجاثية : ٤ ، ٥]

يبث : ينشر .

أنزل من السماء من رزق : أنزل مطرا يكون سببا للرزق .

تصريف الرياح : إرسالها وتغيير اتجاهها من جهة إلى جهة أخرى .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ **لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا** ﴾

[الطلاق : ٧]

ذو سعة : ذو يسار وهو الغنى المقتدر .

قدر عليه رزقه : ضُيق عليه رزقه .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ **فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ** ﴾

[الفجر : ١٥ ، ١٦]

ابتلاه ربه فاكرمه : امتحنه بالغنى واليسر .

ابتلاه فقدر عليه رزقه : امتحنه بالفقر وضيق العيش .

تشير الآيتان إلى سوء تقدير المبتلى في حالتي اليسر والعسر ، فبدلا من أن يشكر الله في النعماء ويحمد الله ويعطي مما أفاء الله عليه باهى بنفسه ويظن أن هذا العطاء من حقه ، وأنه مفضل على غيره ، وبدلا من أن يصبر على الضراء

والفقر ويتضرع إلى الله أن يكشف عنه ويوسع عليه يظن أن الله أذله وأهانه .

* * *

التقدير الإلهي في المخلوقات

* في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [الأنعام : ٩٥]

يخرج الحي من الميت : يخرج النبات الحي من الحب اليابس ، ويخرج المؤمن من الكافر .

مخرج الميت من الحي : يخرج الحب اليابس من النبات الحي ، ويخرج الكافر من المؤمن .

أني تؤفكون : كيف تصرفون عن الحق بعد هذه الدلائل القوية على قدرة الله ؟

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام : ١٠٢]

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ③ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ④ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ⑤ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ⑥ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ⑦ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ⑧ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ

وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [النحل : ٣ - ٩]

هذه الآيات فى معرض نعم الله تعالى التى لا تحصى ، وهى فى الوقت نفسه تشير إلى تقدير الله تعالى فى خلقه وأمره النافذ فى كونه .

خصيم مبين : مجادل شديد الخصومة فى غير الحق .

تريحون : تعودون فى العشى من المرعى .

تسرحون : تخرجون إلى المرعى فى الصباح .

بشق الأنفس : بصعوبة بالغة .

يخلق ما لا تعلمون : من وسائل النقل والمواصلات غير هذه . كالسيارات والطائرات ومركبات الفضاء وغيرها ، التى حدثت فى العصر الحديث . وهذه الآية من إعجاز القرآن .

قصد السبيل : بيان الطريق المستقيم إلى الخير .

جائر : حائد عن الحق والاستقامة .

ولو شاء لهداكم أجمعين : لأن الهداية بيد الله وتقديره .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [النحل : ٧٠]

أرذل العمر : الشيخوخة التى يتحول فيها الإنسان إلى حالة من الضعف والهرم والعجز .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه : ٥٠]

* وفى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الحج : ٥ ، ٦]

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٢ - ١٦]

* وفى قوله تعالى : ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان : ٢]

* وفى قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ [الروم : ٥٤]

* وفى قوله تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس : ٨١ - ٨٣]

* وفى قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ

ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب ﴾ [الزمر : ٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ﴾ [الزمر: ٦٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون ﴾ [غافر : ٦٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون ﴾ [غافر : ٦٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ [القمر : ٤٩]

حول الآية

قال ابن كثير : يستدل ائمة السنة بهذه الآية الكريمة على إثبات قدر الله تعالى السابق لخلقه ، وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل برئها ، وردوا بهذه الآية وبما يشابهها من الآيات ، وبالأحاديث الثابتة على الفرقة القدرية الذين ظهروا في أواخر عصر الصحابة.

سبب نزول الآية

وقال ابن كثير : روى أحمد عن أبي هريرة - رضي الله عنه قال : جاء مشركو قريش إلى النبي - ﷺ - يخاصمونه في القدر ، فنزل قول تعالى : « **يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر ، إنا كل شيء خلقناه بقدر** » وهكذا رواه مسلم والترمذي وابن ماجة .

وروى ابن أبي حاتم عن زرارة عن النبي - ﷺ - انه تلا هذه الآية « **ذوقوا مس سقر . إنا كل شيء خلقناه بقدر** » قال : « **نزلت في أناس من أمتي يكونون في آخر الزمان يكذبون بقدر الله** » .

***

ومن الأحاديث حول الآية

عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ - قال : « **لكل أمة مجوس ومجوس أمتي الذين يقولون : لا قدر ، إن مرضوا فلا تعودوهم ، وإن ماتوا فلا تشهدوهم** » رواه الإمام أحمد .

* وعن عبادة بن الوليد بن عبادة قال : حدثني أبي قال : دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت ، فقلت : أوصني واجتهد لي ، فقال : أجلسوني ، فلما أجلسوه قال : يا بني إنك لم تطعم الإيمان ولم تبلغ حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره . قلت : يا أبتاه وكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره ؟ قال : تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك ، يا بني إني سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « **إن أول ما خلق الله القلم ، ثم قال له اكتب ، فجرى القلم في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة** » يا بني إن مت ولست على ذلك دخلت النار .

رواه الإمام أحمد .

***

* وفي قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (٢١) إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ** ﴾ [المرسلات : ٢٠ - ٢٣]

الماء المهين : النطفة . - القرار المكين : الرحم .

إلى قدر معلوم : إلى زمن معلوم وهو وقت الولادة .

فقدرنا : أى على تصويره وخلقه وحفظه ورعايته ورزقه ..

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾ [عبس : ١٨ - ٢٠]

* وفى قوله تعالى : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾ [الأعلى : ١ - ٣]

لله سبحانه وتعالى التسبيح والتنزيه ، وله الحمد على هذه القدرة العظيمة فقد خلق الخليقة وسوّى كل مخلوق فى أحسن الهيئات ، وهدى الإنسان للشقاوة والسعادة (فكل ميسر لما خلق له) .

وهدى الأنعام إلى مراتعها كقوله تعالى : إخبارا عن موسى أنه قال لفرعون : « ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » - تفسير ابن كثير -

* * *

التقديرات الإلهية بالنسبة للأمم

للأمم آجال كالأفراد

* فى قوله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٤]

* وفى قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾ [الأعراف : ١٣٥]

الرجز : العذاب الذى كان واقعا بهم وهو الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين ونقص الثمرات . والحديث فى الآية عن قوم فرعون .

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلا نَفْعًا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [يونس : ٤٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾ [الحجر : ٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ [الكهف : ٥٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾ [المؤمنون : ٤٣]

* * *

تقدير استخلاف الأمم فى الأرض

* في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ [الأنعام : ٦]

قرن : المراد به الأمة .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴾ [الأنعام : ١٣٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام : ١٣٧]

كانوا يعرشون : كانوا يقيمون عرائش للكروم والأشجار .

الحديث عن بني إسرائيل الذي استخلفوا الأرض بعد قوم فرعون وورثوها منهم .. وليس الاستخلاف هذا دائما ، وإنما هو لفترة زمنية محدودة بوقتهم بشرط مداومتهم على الاستقامة على أمر الله ، ثم سُلبوا ذلك بسبب ظلمهم وعدوانهم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التوبة : ٣٩]

الا تنفروا : إن لم تلبوا دعوة الجهاد وتخرجوا مجاهدين في سبيل الله .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [هود : ٥٧]

الآية على لسان هود عليه السلام .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ [الأنبياء : ١١]

قصمنا : أهلكنا .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ [المؤمنون : ٣١]

تشير الآية إلى هلاك قوم نوح وخلافة قوم هود بعدهم .

* وفي قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴾

[المؤمنون : ٤٢]

تشير الآية إلى هلاك قوم هود وخلافة أقوام آخرين بعدهم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور : ٥٥]

سبب نزول الآية

لما قدم رسول الله ـ ﷺ ـ وأصحابه المدينة رمتهم العرب عن قوس واحدة ، فكانوا لا يبيتون إلا في السلاح ، ولا يصبحون إلا في لامتهم ـ أي سلاحهم ـ فقالوا : أترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله عز وجل ، فنزلت الآية ـ صفوة التفاسير ـ

وهذا وعد ظهر صدقه بفتح مشارق الأرض ومغاربها لهذه الأمة ، وفي الحديث الشريف : « إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن ملك أمتي يبلغ ما زوى لي منها » . رواه مسلم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٤٤) وَلَٰكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ [القصص : ٤٤ ، ٤٥]

جانب الغربي : بجانب الجبل الغربي الذى سمع موسى عليه السلام مناجاة الله له من حوله .

تطاول عليهم العمر : مضى عليهم الزمن وامتد .

ثاويا : مقيما .

أهل مدين : المدينة التى أقام فيها موسى بعد خروجه من مصر هاربا عند نبى الله شعيب .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾

[الدخان : ٢٥ - ٢٨]

* وفى قوله تعالى : ﴿ هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ [محمد : ٣٨]

* وفى قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [الواقعة : ٦٠ ، ٦١]

بمسبوقين : بعاجزين .

فيما لا يعلمون : من الصفات والاحوال .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ [المعارج : ٤٠ - ٤١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً ﴾ [الإنسان : ٢٨]

شددنا أسرهم : قوينا أعضاءهم ومفاصلهم .

* * *

التقدير الإلهي في هلاك الأمم وعذابها .

سبب الهلاك الظلم

* في قوله تعالى : ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ (٤) فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلاَّ أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾

[الأعراف : ٤، ٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (١٣) ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس : ١٣ ، ١٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود : ١٠٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (١١٦) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾

[هود : ١١٦، ١١٧]

أولوا بقية : أصحاب عقل ورأى ودين .

ما أترفوا فيه : ما غرقوا فيه من الترف والنعم .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ [الكهف : ٥٩]

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ [الأنبياء : ١١]

* وفى قوله تعالى : ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ [الحج : ٤٥]

خاوية على عروشها : متهدمة سقطت حيطانها فوق سقوفها .

بئر معطلة : متروكة بموت أهلها لا ينتفع أحد بمائها .

قصر مشيد : مرتفع البنيان أصبح خربا لا يسكنه أحد .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ [الحج : ٤٨]

كاين : كم من ، أى كثير من القرى .

أمليت لها : أمهلت أهلها .

ثم أخذتها : أهلكتها وعذبتها .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لا يَنطِقُونَ ﴾ [النمل : ٨٥]

وقع القول عليهم : حق العذاب لهم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ [القصص : ٥٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ١٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ [العنكبوت : ٣١]

* * *

ومن أسباب الهلاك المعاصي والذنوب

* في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ [الأنعام : ٦]

القرن : أهل كل عصر والمراد به الأمة .

مدراراً : غزيراً .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾

[الأنعام : ٤٢ ـ ٤٤]

مبلسون : آيسون من النجاة .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ [القصص : ٥٨]

بطرت معيشتها : استكبرت ، وأداها الغنى إلى المعصية والغفلة عن حق الله.

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [العنكبوت : ٣٤]

* * *

ومن أسباب الهلاك تكذيب الرسل

* في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف : ٩٦]

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴾

[الأعراف : ١٠١]

تلك القرى : هي قرى قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب التي سبق ذكرها في هذه السورة وقد كذبوا بأنبيائهم فهلكوا .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [النحل : ٣٦]

الطاغوت : كل ما يعبد من دون الله .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ (٤٤) ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٤٥) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (٤٦) فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (٤٧) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴾ [المؤمنون : ٤٤ - ٤٨]

تترا : متتابعين .

أتبعنا بعضهم بعضا : في الإهلاك .

بُعْداً : بُعْداً من رحمة الله وهلاكاً لهم .

سلطان : معجزة واضحة .

عالين : مستكبرين . ـ لنا عابدون : مطيعون خاضعون .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ (٨٣) حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨٤) وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴾ [النمل : ٨٣ ـ ٨٥]

فوجا : جماعة وهم الرؤساء وقادة الكفر . يجمعون أولا ثم يلحق بهم أتباعهم .

يوزعون : يساقون إلى موقف الحشر .

حق القول عليهم : وجب العذاب لهم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [العنكبوت : ١٨]

مفهوم السياق : فقد كذب الأمم من قبلكم فهلكوا .. فإياكم أن تكذبوا فتهلكوا .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [العنكبوت : ٣٧]

الضمير فى كذبوه يعود على شعيب عليه السلام .

الرجفة : الزلزلة الشديدة التى حدثت بصيحة جبريل عليه السلام .

جاثمين : هالكين .

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٠]

تشير الآية إلى هلاك الأقوام الذين كذبوا برسلهم بأنواع العذاب المختلفة فمنهم من هلك بالريح العاصفة كقوم لوط وقوم هود ، ومنهم من هلك بالصيحة التي زلزلت الأرض بهم ، كقوم شعيب وقوم صالح ، ومنهم من خسفت الأرض بهم كقارون وقوم لوط ، ومنهم من هلك غريقاً كقوم نوح وفرعون وقومه .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ [غافر : ٥]

الأحزاب : الأمم الذى تحزبوا على رسلهم بعد نوح وهم عاد وثمود وغيرهما .

ليدحضوا : ليبطلوا ويهزموا .

فكيف كان عقاب : الاستفهام للتهويل والتعظيم من شأن العقاب الذى أصابهم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [الزخرف : ٢٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [الطور : ١١]

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ۝ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ۝ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ... إلى قوله ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ... ﴾ [القمر : ٩ - ١٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۝ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ۝ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ [القمر : ١٨ - ٢١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ۝ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۝ أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ۝ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ۝ إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ۝ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ۝ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ۝ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾ [القمر : ٢٣ - ٣١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴾ [القمر : ٣٣ - ٣٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ۝ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر : ٤١ - ٤٢]

* * *

ومن أسباب هلاك الأمم ترفها

* في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ

وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الأعراف : ٩٤ - ٩٥]

يضرعون : يلجأون إلى الله بالتوبة ويؤمنون ويستقيمون .

بدلنا مكان السيئة الحسنة : بدلنا حياتهم من شقاء وفقر وشدة إلى سعادة ورخاء وغنى .

حتى عفوا : حتى كثروا ونموا وازداد عددهم .

وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء : المقصود أنهم كفروا ولم يشكروا النعم وقال : هذه عادة الدهر أنه يمنع ويعطي ، ويفقر ويغني ، وليس ما أصاب أسلافنا وأصابنا ابتلاء من عند الله .

أخذناهم بغتة : أهلكناهم نتيجة جحودهم النعمة ، وركونهم إلى الشهوة ونسيانهم ما وجب عليهم من حق الله وطاعته .

* * *

* وفي قوله تعالى : **﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾** [هود : ١١٦]

ما أترفوا : الترف النعمة ، والمقصود أنهم انغمسوا فيها وآثروا شهوات أنفسهم على ما يجب عليهم من حقوق وواجبات دينية ودنيوية . وهذا الترف هو المؤدى إلى الهلاك .

* * *

* وفي قوله تعالى : **﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا**

يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل : ١١٢]

يشير المثل فى هذه الآية إلى أن بطر النعمة والانغماس في الترف ونسيان أمر الله وطاعته يؤدى إلى الهلاك والضياع .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾ [الإسراء : ١٦]

أمرنا مترفيها ففسقوا فيها : أمرناهم بالطاعة وأداء الحقوق والاستقامة فلم يطيعوا الأمر وانصرفوا إلى الفسوق والعصيان .

وخص المترفون بالأمر لأنهم هم القادة والرؤساء ، والناس على دين ملوكهم

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ [القصص : ٥٨]

بطرت معيشتها : لم تحمد الله على نعمائه التى أنعمها عليهم ، بل استعملت النعمة فى الشهوة والمعصية ونسيت حق الله فيها .

فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا : خلت مساكنهم من السكان بعد هلاكهم وإبادتهم بسبب عدم استعمالهم النعمة فى وجهها الصحيح وشكر الله عليها .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾

[سبأ : ٣٤ ، ٣٥]

اغتر الكافرون بما أفاء الله عليهم من نعمة وأعطاهم من مال وأولاد فكذبوا بالرسل وجحدوا البعث والحساب والجزاء فكان حقا على الله أن يهلكهم ويعذبهم.

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٣]

وجدنا أباءنا على أمة : على طريقة ودين موروث

* * *

تقدير تفرقها واختلافها

* في قوله تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة : ٢١٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

[المائدة : ٤٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [يونس : ١٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [هود : ١١٨ ، ١١٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (92) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٢ ، ٩٣]

أنكاثا : أنقاضا .

تتخذون أيمانكم دخلا : اى خديعة ومكرا .

اى تحلفون للناس إذا كانوا أكثر منكم ليطمئنوا إليكم فإذا أمكنكم الغدر بهم غدرتم .

والآية الأولى تشير إلى التحذير من نقض العهود وضمن ذلك تشبيها بامرأة كانت تبرم غزلها ثم تنقضه ، فأصبح عملها هذا مثلا في نقض العهد بعد تأكيده .

كما تشير الآية إلى أن هناك تفاوتا بين الأمم فبعضها أكبر عدداً وأقوى عدة، وبعضها أقل عدداً وأضعف حيلة .. (أن تكون أمة هى أربى من أمة) .

والآية الثانية تشير إلى أن تقدير الله تعالى قضى بهذا الاختلاف ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ [الحج : ٣٤]

منسكا : شريعة ، وأصل المنسك : الموضع الذى يعتاده الإنسان ويتردد إليه إما للخير وإما للشر

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [الشورى : ٨]

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٦) وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٧) ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية : ١٦ - ١٨]

فضلناهم على العالمين : أى عالمى زمانهم العقلاء

بينات من الأمر : أمر الدين من الحلال والحرام ، وبعثة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام .

بغيا بينهم : حسدا وكبرا .

شريعة : طريقة ومنهاج

* * *

لا هلاك لأمة ظلما وبدون إنذار

* فى قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٣١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ [يونس : ٤٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾

[هود : ١١٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ (١٠٩) حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾

[يوسف : ١٠٩ - ١١٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [النحل : ٣٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾

[الإسراء : ١٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴾ [المؤمنون : ٤٤]

جعلناهم أحاديث : جعلنا هلاكهم عبرة وعظة لغيرهم .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ لَهَا مُنذِرُونَ (٢٠٨) ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ [الشعراء : ٢٠٨ ، ٢٠٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ [القصص : ٥٩]

أم القرى : عاصمتها .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ : ٢٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ [غافر : ٥]

* * *

تكريم الإيمان للإنسان

الإنسان فى القرآن

خلق الإنسان

* وفى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء : ١]

* وفى قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ [الانعام : ٢]

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام : ٩٨]

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾ [الاعراف : ١١]

* وفى قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الاعراف : ١٨٩]

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر : ٢٦]

الحمأ المسنون : الطين اليابس - والمقصود بالإنسان آدم أصل الخليقة الإنسانية.

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾

[النحل : ٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَوَلا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾

[مريم : ٦٧]

ولم يك شيئا : أي لم يك شيئا مذكورا أو معروفا ، ولكن الله خلقه ابتداء .

* وفي قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾

[الأنبياء : ٣٧]

أي خلق الإنسان مطبوعا على العجلة والتسرع .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [الحج : ٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ

عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾

[المؤمنون : ١٢ ـ ١٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [الفرقان : ٥٤]

جعله نسبا وصهرا : جعله ذا نسب ومصاهرة .

أى أنشأ منه ذكوراً ينسب إليهم ، وأنشأ منه إناثا يصاهر بهن

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ (٢٠) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم : ٢١ ، ٢٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾

[الروم : ٥٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة : ٧ ـ ٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [فاطر : ١١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الإنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [يس : ٧٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾

[ص : ٧١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [الزمر : ٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [غافر : ٦٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ق : ١٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ (٤٥) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾ [النجم : ٤٥ ـ ٤٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ [الرحمن : ٣ ـ ٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [نوح : ١٤]

أى خلقكم الله طوار بعد طور ، كنتم نطفة ، ثم علقه ، ثم مضغة وهكذا.

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣٩) أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ [القيامة : ٣٧ - ٤٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا (١) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا

[الإنسان : ١ ، ٢]

أمشاج : أخلاط ، من ماء الرجل وماء المرأة .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (٢١) إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴾ [المرسلات : ٢٠ - ٢٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴾

[عبس : ١٨ ، ١٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴾ [الانفطار : ٧ ، ٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ [الطارق : ٥ - ٧]

الصلب : ظهر الرجل .

الترائب : جمع تريبة وهي موضع القلادة من الصدر . والمقصود يخلق من عظام صدر المرأة مع منى الرجل المدفوق من ظهره .

* وفى قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ [العلق : ٢]

* * *

تكريم الله للإنسان

* فى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [الإسراء : ٧٠]

حديث في ظل هذه الآية :ـ

روى الإمام الطبرانى عن عبد الله بن عمرو عن النبى ـ ﷺ ـ قال : « **إن الملائكة قالت : يا ربنا أعطيت بنى آدم الدنيا يأكلون فيها ويشربون ويلبسون ، ونحن نسبح يحمدك ولا نأكل ولا نشرب ولا نلهو ، فكما جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة قال : لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدى كمن قلت له كن فيكون** » .

* * *

مظاهر التكريم

خلقه الله بيده

* فى قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ [ص : ٧٥]

* * *

نفخ الله فيه من روحه

* فى قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [الحجر : ٢٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ... ﴾ [السجدة : ٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلاَّ أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٧٠) إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [ص : ٧١ - ٧٢]

* * *

أسجد له الملائكة

* في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٣٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾ [الأعراف : ١١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾

[الحجر : ٢٨ - ٣١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ [الإسراء : ٦١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ

مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ﴾ [الكهف : ٥٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴾ [طه : ١١٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [ص : ٧١ - ٧٤]

معنى السجود فى الآيات

أجمع المسلمون على أن السجود المأمور به هنا ليس سجود عبادة ، ولكنه سجود تكريم لآدم تعظيما له وتحيه له ، كالسلام منهم عليه . وقد كانت الأمم السالفة يُحَيِّي بعضهم بعضا بالسجود له ، كما قال تعالى فى قصة يوسف عليه السلام « **ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدوا** » .

* * *

النبى - ﷺ - يرفض هذه التحية له من أصحابه

روى القرطبى فى تفسيره نقلا عن ابن ماجة فى سننه ، والبستى فى صحيحه عن واقد قال : لما قدم معاذ من الشام سجد لرسول الله - ﷺ - ، فقال رسول الله - ﷺ - : « **ما هذا ؟** » فقال : يا رسول الله ، قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لبطارقتهم وأ ساقفتهم فأردت أن أفعل ذلك بك . قال : « **لا تفعل فإني لو أمرت شيئا يسجد لشيء لأمرت المرأة تسجد لزوجها ، لا تؤدى المرأة حق ربها حتى تؤدى حق زوجها** » .

* * *

آدم أكرم الخلق على الله

روى ابن كثير فى البداية والنهاية قال : كتب ملك الروم إلى معاوية يسأل: ما أحب الكلام إلى الله ؟ ومن أكرم العباد على الله عز وجل ، ومن أكرم الإماء على الله عز وجل ، ويسأله عن أربعة فيهم الروح لم يركضوا فى رحم ، وعن قبر سار بصاحبه ، وعن مكان فى الأرض لم تطلع فيه الشمس إلا مرة واحدة .

فارسل معاوية إلى ابن عباس - رضى الله عنهما يطلب منه الجواب . فأجابه بما يأتى :

أما أحب الكلام إلى الله : فسبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وأما أكرم العباد على الله فآدم ، خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وعلمه أسماء كل شيء ، وأسجد له ملائكته .

وأما أكرم الإماء عند الله فهى مريم ابنة عمران .

أما الأربعة الذين لم يركضوا فى رحم ، فآدم ، وحواء ، وعصا موسى حين تحولت إلى حية ، وكبش إبراهيم الذى فدى به إسماعيل .

وأما القبر الذى سار بصاحبه فهو حوت يونس الذى ابتلعه .

وأما المكان الذى لم تطلع عليه الشمس إلا مرة واحدة فهو البحر الذى انفلق لموسى حين جاز بنو إسرائيل فيه .

فلما قرأ ملك الروم هذا الجواب أعجبه وقال : والله ما هى من عند معاوية ولا من قوله ، وإنما هى من عند أهل النبى - ﷺ -

- البداية والنهاية لابن كثير جـ٨ صـ٣٠٣ - مكتبه المعارف بيروت -

* * *

من مظاهر تكريم الإنسان : تعليم الله له

* في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾

[البقرة : ٣١ - ٣٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الإِنسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ [الرحمن : ١ - ٤]

علمه البيان : ألهمه النطق الذي يستطيع أن يبين به عن مقاصده ورغباته ، ويتميز به عن سائر الحيوان .

* * *

ومن مظاهر تكريمه : استخلافه في الأرض

* في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

[الأنعام : ١٦٥]

جعلكم خلائف الأرض : جعلكم خلفاء في عمران الأرض يخلف بعضكم بعضا فيها .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف : ٦٩]

الآية جاءت على لسان هود عليه السلام ينصح قومه ويذكرهم ويدعوهم إلى الله .

زادكم في الخلق بسطة : زادكم على غيركم طولا في القامة وقوة في البدن.

آلاء الله : نعمه .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٤]

الآية جاءت على لسان صالح ـ عليه السلام ـ

بوأكم في الأرض : أنزلكم المساكن في الأرض .

سهولها : أماكنها المنبسطة .

لا تعثوا في الأرض مفسدين : لا تكثروا فيها الفساد .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس : ١٤]

من بعدهم : أى من بعد الذى أهلكهم الله بسبب كفرهم وفسادهم .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴾ [يونس : ٧٣]

فنجنياه : الضمير يعود على نوح عليه السلام

جعلناهم خلائف : جعلنا الذين نجوا معه في الفلك خلفاء عن الذين هلكوا بالغرق فى الطوفان ، وكان عدد هؤلاء الناجين ثمانين .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل : ٦٢]

حديث حول الآية

روى ابن كثير في تفسيره حديثا رواه الإمام أحمد فى مسنده عن رجل من بنى الهجيمى ـ هو جابر بن سليم الهجيمى ـ قال : قلت يا رسول الله إلام تدعو ؟ قال : « **أدعو إلى الله وحده الذى إن مسّك ضر فدعوته كشف عنك ، والذى إذا ضللت بأرض قفر فدعوته رد عليك ، والذى إن أصابتك سنة فدعوته أنبت لك** » قال : قلت أوصنى قال : « لا تسبن أحدا ، ولا تزهدن فى المعروف ولو أن تلقى أخاك وأنت منبسط إليه وجهك ، ولو أن تفرغ من دلوك فى إناء المستقى ، واتزر إلى نصف الساق ، فإن أبيت فإلى الكعبين ، وإياك وإسبال الإزار فإن إسبال الإزار من المخيلة وإن الله لا يحب المخيلة .

قال الصحابى : فما سببت بعده أحدا ولا شاة ولا بعيرا

* وفى قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلاَّ مَقْتًا وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلاَّ خَسَارًا ﴾ [فاطر : ٣٩]

* * *

ومن مظاهر تكريمه حسن صورته

* فى قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ٦]

وتصوير الله ليس أبدع منه تصوير .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾ [الأعراف : ١١]

صورناكم : صورنا أباكم آدم بشرا سويا فى أحسن صورة .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴾ [السجدة : ٧]

جاء خلق الإنسان فى سياق إحسان خلق كل شيء فدل ذلك على أن خلق الإنسان جاء على غاية من الكمال والجمال .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ

فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾

[غافر : ٦٤]

جعل الأرض قرارا : جعلها مستقرا لكم فى حياتكم وبعد مماتكم .

والسماء بناء : جعلها سقفا محفوظا كالقبة المبنية مرفوعة فوقكم .

صوركم فأحسن صوركم : صوركم أحسن تصوير وفى أحسن الأشكال .
قال الزمخشرى فى الكشاف : لم يخلق الله حيوانا أحسن صورة من الإنسان .

تبارك الله : تعالى وتمجّد وتقدس .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار : ٧ ، ٨]

سواك فعدلك : جعلك سويا سالم الأعضاء ، تسمع وتعقل وتبصر ، وجعلك معتدل القامة منتصبا فى أحسن الهيئات .

ما شاء ركبك : ركبك فى أى صورة شاءها واختارها لك من الصور الحسنة العجيبة .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين : ٤]

أى لقد خلقنا جنس الإنسان فى أحسن شكل ، متصفا بأجمل وأكمل الصفات ، من حسن الصورة وانتصاب القامة ، وتناسب الأعضاء ، مزينا بالعلم والفهم والعقل والتمييز ، والنطق والأدب . ـ صفوة التفاسير ـ

* * *

ومن مظاهر تكريمه تسخير كل شيء له

* في قوله تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٢]

* في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ١٦٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام : ٩٦ ـ ٩٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام : ٩٩]

نخرج منه خضرا : نباتا أخضر

حبا متراكبا : مركبا بعضه فوق بعض .

قنوان : عراجين كالعناقيد ـ دانية : قريبة للمتناول

ينعه : نضجه وإدراكه .

وفى الآية إشارة إلى جمال الزرع وأن الاستمتاع لا يتحقق بأكله فقط بل بالنظر إلى حسنه وجماله أيضا

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (١٤١) وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٤٢) ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٤٣) وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الانعام : ١٤١ ـ ١٤٤]

جنات : حدائق وبساتين .

معروشات : محتاجات للعريش كالكرم ونحوه .

غير معروشات : مستغينة عن العريش كالنخل وغيره .

حمولة : صالحة لأن تحمل على ظهرها الناس والأثقال .

* وفى قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [يونس : ٦٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾

[إبراهيم : ٣٢ - ٣٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ (١٩) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (٢٠) وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢١) وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ [الحجر : ١٩ - ٢٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٧) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٨) وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (٩) هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١) وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٣) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤) وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ

تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

[النحل : ٥ ـ ١٨]

تسيمون : ترعون مواشيكم ـ ذرأ : خلق وسخر

الفلك مواخر : السفن سائرات جاريات .

رواسي : جبالا ... ـ سبلا : طرقا .

وعلامات : دلائل من جبال وآكام يستدل بها المسافرون برا وبحرا إذا ضلوا الطريق .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ [النحل : ٧٩ ـ ٨١]

الطير مسخرات : جعله يطير في الجو بقدرته تعالى لا يمسكه إلا هو . وفي ذلك دليل على قدرة الله ، لعل الإنسان يهتدي بذلك إلى الإيمان ... وقد جعل الله الطير مسخراً للإنسان فهو يصطاده ليكون طعاماً له ما لم يكن من الجوارح.

تستخفونها : تحملونها خفيفة

ظعنكم : سفركم وترحالكم

أكنانا : مواضع تسكنون فيها وتتحصنون فيها كالكهوف والمغارات والشعاب .

سرابيل : ما يلبس من ثياب ودروع .

تقيكم بأسكم : تمنع عنكم الطعان فى الحروب .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ﴾ [الإسراء : ١٢]

آية الليل : ظلامه ـ آية النهار : ضياءه ونوره .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلاً لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١) وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (٣٢) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾

[الأنبياء : ٣١ ـ ٣٣]

فجاجا سُبلا : طرقا واسعة .

عن آياتها : عن آيات الشمس فى النجوم والقمر التى فى السماء .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحج : ٦٥]

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ⟨١٨⟩ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ⟨١٩⟩ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلآكِلِينَ ⟨٢٠⟩ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ⟨٢١⟩ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٨ - ٢٢]

شجرة تخرج من طور سيناء : شجرة الزيتون المباركة .

تنبت بالدهن : بالزيت الطيب المبارك الذى يتخذ علاجا وطعاما .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ⟨٤٥⟩ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ⟨٤٦⟩ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ⟨٤٧⟩ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ⟨٤٨⟩ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ⟨٤٩⟩ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا ﴾

[الفرقان : ٤٥ - ٥٠]

مد الظل : بسطه من وقت طلوع الفجر إلى شروق الشمس .

قبضناه : قلصناه بطلوع الشمس إلى الجهة التى يريدها الله بتدرج يسير لا يلحظه أحد .

الليل لباساً : ساترا للكائنات بظلامه .

النوم سباتا : راحة للأبدان .

النهار نشوراً : ينتشر فيه الناس لطلب المعاش .

صرفناه بينهم : وزعناه بينهم

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

[لقمان : ٢٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ [لقمان : ٢٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ [السجدة : ٢٧]

الأرض الجرز : الأرض الجافة اليابسة الجرداء التي لا نبات فيها .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (٤١) وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴾ [يس : ٤١ - ٤٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يس : ٧١ - ٧٣]

الفلك المشحون : سفينة نوح ، سخرها الله تعالي لحمل الناجين معه ، وفي أصلابهم كانت ذرية الذين جاءوا بعدهم .

* وفي قوله تعالى : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم

مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ ... ﴾

[الزمر : ٦]

ثمانية أزواج : هى ما ذكرها في سورة الأنعام ... ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ، ومن الإبل اثنين ، ومن البقر اثنين ..

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ [غافر : ٧٩ ، ٨٠]

* وفى قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية : ١٢ ، ١٣]

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ [ق : ٩ - ١١]

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴾ [البقرة : ٤١]

* وفى قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ [الواقعة : ٦٨ ، ٧٣]

المزن : السحب .

أجاجاً : ملحا لا يصلح للشرب .

تورون : تشعلون بأن تقدحوا عودا من شجرة معينة بعود آخر فتشتعل النار .

المقوين : المسافرين .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ [الملك : ١٥]

ذلولا : سهلة ميسرة للسير عليها والانتفاع بها في الزرع واستخراج الخيرات.

مناكبها : أنحائها .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا ﴾ [نوح : ١٩ - ٢٠] .

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ ﴾

[عبس : ٢٤ - ٣٢]

وقضبا : القضب القت الرطب .

غلبا : كثيرة الأشجار .

أباً : الأبُّ ما ترعاه البهائم ، وقيل : التين .

الذوق أحدى الحواس الخمس ، ويطلق على ما يذاق بالفم من طعام وشراب لتدرك حلاوته أو مرارته أو برودته أو حرارته أو غير ذلك ، وقد ينزل المعنوى منزلة الحسى ، وقد وردة هذه الحاسة في الآيات التالية ..

* في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٦]

ذوقوا العذاب : صور العذاب في صورة الطعام أو الشراب الذى يذاق بالفم وهذا التصوير يشير إلى تقوية المعنى المقصود بإبراز الشيء المعنوى فى صورة الشيء المحسوس .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾

[آل عمران : ١٨١]

مناسبة الآية

دخل أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ يوما بيت المدراس الذى يجتمع فيه اليهود ، فوجد ناساً منهم قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له : « فنحاص بن عازورا » وهو من علمائهم ، فقال له أبو بكر : ويحك اتق الله وأسلم ، فوالله إنك لتعلم أن محمدا رسول من عند الله قد جاءكم بالحق ، تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة والإنجيل ، فقال فنحاص : والله يا أبا بكر ، ما بنا إلى الله من حاجة من فقر وإنه إلينا لفقير ، ولو كان غنيا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم ، ينهانا

عن الربا ويعطينا ، ولو كان غنيا ما أعطانا الربا ، فغضب أبو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة ، وقال : والله لولا العهد الذى بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله . فذهب فنحاص إلى رسول الله - ﷺ - فقال : يا محمد ، انظر ما صنع بى صاحبك . فقال رسول الله - ﷺ - : ما حملك على ما صنعت يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله إن عدو الله قال قولا عظيماً ، زعم أن الله فقير وأنهم أغنياء ، فغضبت لله وضربت وجهه . فجحد فنحاص ذلك ، فأنزل الله الآية تكذيبا لفنحاص وتصديقا لأبى بكر - أسباب النزول للواحدى -

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾

[آل عمران : ١٨٥]

* وفى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾

[النساء : ٥٦]

تبديل الجلود يشير إلى أن مركز الإحساس فى الجسم هو الجلد ، وهذا من السبق العلمى الذى أشار إليه القرآن ، ولم يثبت علميا إلا بالكشوف العلمية الحديثة .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ

﴿ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾ [المائدة : ٩٥]

وبال أمره : عقوبة ذنبه .

عما سلف : عما تقدم من قتل الصيد قبل تحريمه .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٠]

وُقفوا : عرضوا .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام : ٦٥]

عذابا من فوقكم : الرجم .

من تحت أرجلكم : الخسف والغرق .

يلبسكم شيعا : يفرق بينكم فتصبحون فرقا متناحرة وأهواء مختلفة .

يذيق بعض بأس بعض : يقاتل بعضكم بعضا .

حديث حول الآية

روى الإمام أحمد عن سعد بن أبي قاص : ـ رضي الله عنه ـ قال : أقبلنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ حتى مررنا بمسجد بني معاوية ، فدخل فصلى ركعتين ، فصلينا معه ، فناجى ربه عز وجل طويلا ، ثم قال : « **سألت ربي ثلاثا : سألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها ، وسألته أن لا يهلك أمتي بالسَّنة**

فأعطانيها ، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها » وأخرجه مسلم عن عثمان بن حكيم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ **سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ** ﴾ [الانعام : ١٤٨]

ذاقوا بأسنا : ذاقوا عذابنا . ـ تخرصون : تكذبون .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ **فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾ [الاعراف : ٢٢]

دلاهم بغرور : أوقعهما الشيطان بخداع شديد حتى أقبلا على الشجرة التي نُهيا عن الاقتراب منها فذاقاها .

يخصفان : يلصقان .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ **وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ** ﴾ [الاعراف : ٣٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ **ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ** ﴾ [الانفال : ١٤]

ذلكم : اسم الإشار : يعود على عذاب الهزيمة للكفار فى بدر .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٥]

المكاء : الصفير . ـ التصدية : التصفيق .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [الأنفال : ٥٠]

* وفى قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [التوبة : ٣٥]

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ [يونس : ٢١]

الناس : هنا هم كفار مكة .

لهم مكر : هم الملائكة الموكلون بتسجيل الأعمال ـ وهم الحفظة ـ

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [يونس : ٥٢]

* وفى قوله تعالى : ﴿ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ [يونس : ٧٠]

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ [هود : ٩ ، ١٠]

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل : ٩٤]

دخلا بينكم : فسادا وخديعة .

تزل قدم بعد ثبوتها : تنحرف عن طريق الإسلام .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل : ١١٢]

فى قوله : (أذاقها الله لباس الجوع والخوف) استعارة مكنية ، حيث شبهت الآية لباس الجوع والخوف من حيث الكراهية بالطعم المر ، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الإذاقة على طريق الاستعارة المكنية .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ إِذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً ﴾ [الإسراء : ٧٥]

ضعف الحياة : ضعف عذاب الحياة .

ضعف الممات : ضعف عذاب الممات .

الخطاب للنبي - ﷺ - حين حاول المشركون أن يفتنوه ولكن الله حفظه وعصمه .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [الحج : ٩]

ثاني عطفه : لاوى عنقه تكبرا وعجبا .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [الحج : ٢٢]

يخرجوا منها : أى من جهنم

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج : ٢٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان : ١٩]

صرفا : دفعا للعذاب .

نصرا : منعا لكم من العذاب .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت : ٥٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت : ٥٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [الروم : ٣٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ [الروم : ٣٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم : ٤١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن

يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

[السجدة : ٢٠ ، ٢١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ [سبأ : ١٢]

بين يديه : بين يدى سليمان عليه السلام

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ [سبأ : ٤٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر : ٣٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴾ [الصافات : ٣١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴾ [الصافات : ٣٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ [ص : ٥٧]

هذا يعود على العذاب الذى يلاقيه الكفار فى جهنم .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٢٦]

* وفى قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لا يُنصَرُونَ ﴾ [فصلت : ١٦]

عليهم : أى على قوم عاد

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [فصلت : ٥٠]

* وفى قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الإِنسَانَ كَفُورٌ ﴾ [الشورى : ٤٨]

* وفى قوله تعالى : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ [الدخان : ٤٩]

الخطاب موجه إلى أبى جهل لعنه الله .

قال ابن كثير : عن عكرمة قال : لقى رسول الله - ﷺ - أبا جهل لعنه الله فقال : « إن الله تعالى أمرنى أن أقول لك أولى لك ثم أولى لك فأولى » قال : فنزع ثوبه من يده وقال : ما تستطيع لى أنت ولا صاحبك من شيء ، ولقد علمت أنى أمنع أهل البطحاء وأنا العزيز الحكيم . قال : فقتله الله تعالى يوم بدر وأذله وعيره بكلمته وأنزل « **ذق إنك أنت العزيز الكريم** » .

أى تقول له الزبانية فى جهنم ذلك على وجه التهكم والتقريع .

* وفى قوله تعالى : ﴿ لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [الدخان : ٥٦]

إن أهل الجنة فى نعيم مع طول الأمد ، وأهل النار فى عذاب مع طول الأمد .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الأحقاف : ٣٤]

* وفى قوله تعالى : ﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ [القمر : ٣٧ ، ٣٩]

* وفى قوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الحشر : ١٥]

* وفى قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التغابن : ٥]

* وفى قوله تعالى : ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴾ [الطلاق : ٩]

* وفى قوله تعالى : ﴿ لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا ﴾ [النبأ : ٢٤]

* وفى قوله تعالى : ﴿ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا ﴾ [النبأ : ٣٠]

* * *

* في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [النساء : ٤٣]

هذه الآية نزلت قبل تحريم الخمر تحريما قاطعا .

وتحذر الآية من دخول المساجد في حالة الجنابة إلا إذا كان المجتاز عابر سبيل . .

ويجوز التيمم عند فقدان الماء للمحدث والجنب .

الغائط : مكان قضاء الحاجة .

لامستم النساء : كناية عن الجماع .

صعيدا طيبا : ترابا طاهرا .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة : ٦]

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [الأنعام : ٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾ [الجن : ٨]

قائل ذلك الجن حين حاولوا استراق السمع كما كانوا يفعلون قبل مولد النبى - ﷺ - فوجدوها قد حرست بالشهب التى تحرق كل من يحاول الاقتراب منها .

* * *

حاسة البصر

* وفي قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة : ٧]

تصف الآية حال الكفار الذين لا يبصرون دلائل القدرة فيهتدون .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [البقرة : ١٨]

تعطيل الحواس إشارة إلى عدم نفعها لأنها لم تهد أصحابها إلى الحق فكأنها غير موجودة .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٠]

هذا مثل ضربه الله للمنافقين الذين إذا أصابهم الرخاء - الذى يشبه البرق - استقاموا وإن أصابتهم شدة - وذلك باختفاء البرق - نكصوا على أعقابهم وارتدوا.

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ** ﴾

[الأنعام : ٤٦]

يصدفون : يعرضون .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ **قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [الأنعام : ٥٠]

* وفى قوله تعالى : ﴿ **لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الأنعام : ١٠٣]

أى لا تصل إليه الأبصار ولا تحيط به وهو يراها ويحيط بها لشمول علمه للخفيات .   - صفوة التفاسير -

ومعنى لا تدركه الأبصار : أى لا تستطيع رؤيته فى الدنيا ، أما فى الآخرة فالرؤية ثابتة بقوله تعالى : « **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة** » .

وفى الحديث المتواتر « **إن المؤمنين يرون الله فى الدار الآخرة فى العرصات وفى روضات الجنات** » نرجو الله تعالى أن نكون منهم

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأعراف : ٤٧]

الحديث في الآية عن أصحاب الأعراف .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [الأعراف : ١٩٥]

الحديث في الآية عن الأصنام التي يتخذها المشركون آلهة من دون الله .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٩٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٣١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [يونس : ٦٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَىٰ وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾ [هود : ٢٤]

الفريقين : الكفار والمؤمنين .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [الرعد : ١٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا ... ﴾ [الحجر : ١٤ ، ١٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل : ٧٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ﴾ [الإسراء : ١٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ [الإسراء : ٣٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾ [طه : ٩٦]

الآية حكاية عن موسى السامرى الذى صنع العجل لبنى إسرائيل فعبدوه من دون الله . ويقصد بالرسول جبريل عليه السلام .. والقبضة : هى قبضة من تراب أخذها من تحت أرجل الفرس الذى كان يركبه جبريل عند عبور البحر .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ **لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ** ﴾ [الأنبياء : ٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** ﴾

[الحج : ٤٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ** ﴾ [المؤمنون : ٧٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ...** ﴾ [النور : ٣٠ ، ٣١]

الا ما ظهر منها : ما يبدو منها عادة ، وعن ابن عباس : وجهها وكفيها والخاتم ..

حديث : عن عائشة - رضى الله عنها - أن أسماء بنت أبى بكر - رضى الله عنهما - دخلت على النبى - ﷺ - وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال : « **يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وأشار إلى وجهه وكفيه** » . - تفسير ابن كثير

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ﴾ [النور : ٣٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ [النمل : ٥٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النمل : ٨٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ [القصص : ١١]

قالت : هي أم موسى عليه السلام .

قصيه : تتبعي أثره

بصرت به عن جنب : بصرت به عن بعد .

وكان ذلك بعد أن ألقت موسى ابنها وهو في الصندوق في النيل خوفا من فرعون ، فإذا بالصندوق يقع في يد فرعون .. وكان في هذا نجاته بقدرة الله وحكمته .. لقد نجاه الله من فرعون بفرعون نفسه .. فهل هناك عناية أعظم من هذه ؟؟

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة : ٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ

رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : ١٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلا يُبْصِرُونَ ﴾ [السجدة : ٢٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ [الاحزاب : ١٠]

تشير الآية إلى غزوة الاحزاب حين جاء المشركون يحيطون بالمدينة من كل مكان حتى اضطرب المسلمون ووقع الرعب بينهم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴾ [فاطر : ١٩]

المقصود بالأعمى الكافر ، وبالبصير المؤمن .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس : ٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴾ [يس : ٦٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلا الْمُسِيءُ قَلِيلاً مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [غافر : ٥٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ

وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [فصلت : ٢٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

[فصلت : ٢٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾ [الزخرف : ٥١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾

[الجاثية : ٢٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [الأحقاف : ٢٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لا تُبْصِرُونَ ﴾ [الطور : ١٥]

تقول الملائكة للكفار وهم في النار : أسحر هذا ، بل أنتم عمى لا تبصرون ؟

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم : ١٧]

ما زاغ : ما مال ، أى ما مال بصر النبى - ﷺ - عما رآه ليلة المعراج وما تجاوز ما رآه .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ ﴾ [الواقعة : ٨٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ [الملك : ٣ ، ٤]

تفاوت : تناقض وتباين وتنافر .

فطور : تشقق وتصدع .

خاسئا : ذليلا صاغرا عاجزا عن رؤية عيب أو خلل .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [الملك : ٢٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝ وَمَا لا تُبْصِرُونَ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [الحاقة : ٣٨ - ٤٠]

يقسم الله تعالى بما يشاهده الخلق وما لا يشاهدونه على ان القرآن من عند الله تعالى نزل به رسول كريم هو جبريل عليه السلام

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان : ٢]

* فى قوله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ [آل عمران : ١٣]

الفئتان : هما فئة المسلمين ، وفئة قريش ، وقد التقتا فى بدر ، ونصر الله المسلمين .

لكم : الخطاب لكل كافر لا يؤمن بالله ليعتبر بما يجرى من أحداث فيؤمن.

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ [النور : ٤٤]

الذين ينتفعون بأبصارهم ويدركون بعقولهم مظاهر قدرة الله يؤمنون بالله .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ [الحشر : ٢]

فى المصير الذى تعرض له بنو النضير عبرة لمن كان له عقل يفكر وعين تبصر.

* * *

حاسة السمع

* فى قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة : ٧]

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٩٣]

الحديث فى الآية عن بنى إسرائيل حين رفع فوقهم جبل الطور .

أشربوا فى قلوبهم العجل : أشربوا حب عبادة العجل من دون الله .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٠٤]

كان اليهود يقولون راعنا حين يرون النبى - ﷺ - ، وهى كلمة سب عندهم فى لغتهم ، فنهى القرآن المؤمنين أن يقولوها وأمرهم أن يقولوا للنبى - ﷺ - : انظرنا .

سبب النزول

أخرج ابن المنذر عن السدى قال : كان رجلان من اليهود هما مالك بن الصيف ورفاعة بن زيد إذا لقيا النبى - ﷺ - قالا له وهما يكلمانه : راعنا سمعك واسمع غير مسمع ، فظن المسلمون أن هذا الشيء كان أهل الكتاب يعظمون به أنبياءهم ، فقالوا للنبى - ﷺ - علي ذلك . فأنزل الله الآية

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٧٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ١٧١]

ينعق : يصيح ويصوت .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٨١]

بدله : الضمير يعود على الإيصاء الذى يُسْمع من المرضى عند وفاتهم ، والآية تشير إلى تحذير من يسمع الإيصاء من تبديل ما يسمع .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة : ٢٨٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ [آل عمران : ١٨٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران : ١٩٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [النساء : ٤٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء : ١٤٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [المائدة : ٧]

تذكر الآية المسلمين بعهدهم الذى عاهدوا النبى - ﷺ - عند إسلامهم - كانوا يقولون : بايعنا رسول الله - ﷺ - على السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله . - تفسير ابن كثير -

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١) سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المائدة : ٤١ - ٤٢]

سبب نزول الآيتين

انزل الله الآيتين في طائفة من اليهود قهرت إحداهما الأخرى في الجاهلية حتى ارتضوا ، فاصطلحوا على أن كل قتيل قتلته العزيزة من الذليلة فديته خمسون وسقا ، وكل قتيل قتلته الذليلة من العزيزة فديته مائة وسق ، فكانوا على ذلك حتى قدم رسول الله - ﷺ - فقتلت الذليلة من العزيزة قتيلا فأرسلت العزيزة أن ابعثوا بمائة وسق .

فقالت الذليلة : وهل كان ذلك في حيين قط دينهما واحد ، ونسبتهما واحدة ، وبلدهما واحد دية بعضهم نصف دية بعض ؟ إنا أعطيناكم هذا ضيما منكم لنا وخوفا وفرقا ، فأما إذ قدم محمد فلا نعطيكم ، فكادت الحرب تهيج بينهما، ثم ارتضوا على أن جعلوا رسول الله - ﷺ - بينهما ، فارسلوا إليه أناسا من المنافقين ليختبروا رأيه ، فأنزل الله تعالى : « يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر .. ... »رواه الإمام أحمد وابو داود . وروى عن جابر قال: زنى رجل من أهل فدك ، فكتب أهل فدك إلي ناس من اليهود بالمدينة أن اسألوا محمداً عن ذلك ، فإن أمر بالجلد فخذوه عنه ، وإن أمركم بالرجم فلا تأخذوه عنه ، فسألوه عن ذلك فذكر نحو ما تقدم ، فأمر به فرجم ، فنزلت « فإن جاءوك فاحكم بينهم .. » الآية - لباب النقول -

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [المائدة : ٨٣]

نزلت الآية في وفد النجاشي الذى قدم من الحبشة ، قرأ الرسول - ﷺ - عليهم القرآن فرقت قلوبهم وبكوا وآمنوا .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَن

تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

[المائدة : ١٠٨]

ذلك : اسم الإشارة يعود على الحكم السابق وهو رد اليمين على الورثة .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنعام : ٢٥]

منهم : أى من المشركين . ـ أكنة : أغطية .

وقرا : ثقلا . ـ أساطير الأولين : خرافات السابقين من الأمم الماضية

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾

[الأنعام : ٤٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأعراف : ١٠٠]

أو لم يهد : أو لم يتبين .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٩]

ذرأنا : هيأنا وأعددنا

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنظِرُونِ ﴾ [الأعراف : ١٩٥]

لا تنظرون : لا تمهلون .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٩٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠٤]

حديث شريف

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : « **من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ، ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة** » رواه أحمد .

استمعوا : أي اسكتوا له بقصد ونيّة لتفهموا معانيه .

وأنصتوا : تدبروا في المعاني وانقطعوا عن الشواغل في أثناء الاستماع .

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ (٢١) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ (٢٢) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الانفال : ٢٠ ، ٢٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة : ٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [التوبة : ٤٨]

لو خرجوا : أى المنافقون وذلك فى غزوة تبوك .

خبالا : فسادا وشرا وفتنة .

أوضعوا خلالكم : اسرعوا فيكم بالنميمة والشر ليفتنوكم عن دينكم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٣١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [يونس : ٦٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَىٰ وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾ [هود : ٢٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف : ٣١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [النحل : ٦٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل : ٧٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء : ٣٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٧]

إذ هم نجوى : يحدث بعضهم بعضا سرا .

مسحورا : مجنونا .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ [الكهف : ١٠١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ [مريم : ٩٨]

هل تحس منهم من أحد : هل تجد منهم أحداً

أو تسمع لهم ركزا : تسمع لهم صوتا خفيا .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴾ [طه : ١٣]

الخطاب فى الآية موجه إلى موسى - عليه السلام - .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ [طه : ١٠٨]

الداعى : هو الذى يدعو الناس إلى الحشر .

لا عوج له : لا انحراف لهم عنه .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢]

ذكر محدث : قرآن نزل حديثا .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٤٥]

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾

[الحج : ٤٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [المؤمنون : ٧٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ [النور : ١٢]

الآية تشير إلى حديث الإفك ، وتقول : هلا حين سمعتم هذا الإفك ظننتم أيها المؤمنون بأنفسكم خيرا وقلتم : هذا كذب ظاهر .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١٦]

بهتان : كذب مختلق .

وسبحانك : كلمة تقال عند التعجب من شيء غريب .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً ﴾

[الفرقان : ١٢]

رأتهم : أي النار حين ترى الكفار قادمين إليها .

زفيراً : صوتا شديداً .

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ [الفرقان : ٤٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٥]

قال : أي فرعون يخاطب حاشيته ويقول لهم الا تستمعون لما يقول موسى؟

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٨٠) وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [النمل : ٨٠ ، ٨١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ [القصص : ٥٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾ [القصص : ٧١]

سرمدا : دائما متصلا .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [الروم : ٢٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٥٢) وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [الروم : ٥٢ ، ٥٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [لقمان : ٧]

ولى مستكبرا : أعرض متجبرا ، قيل : هو النضر بن الحارث ، وكان قد اشترى جاريتين مغنيتين بهدف صرف الناس عن الإسلام ، كان كل من يريد الإسلام دعاه النضر إلى بيته وأسمعه غناء الجاريتين وصرفه بذلك الغناء عن الإسلام .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة : ٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : ١٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ [السجدة : ٢٦]

أو لم يهد لهم : أو لم يتبين لهم ـ القرون : الأمم

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر : ١٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴾ [فاطر : ٢٢]

بمسمع من القبور : المراد إسماع إجابة . وإلا فأهل القبور يسمعون ولكن لا يجيبون ، وقد جاء فى قتلى بدر حين خاطبهم النبى - ﷺ - قال : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴾ [يس : ٢٥]

هذه الآية جاءت على لسان مؤمن آل يس الذى آمن بالرسل ، وهو حبيب ابن موسى النجار ، ونصح قومه بالإيمان فقتلوه .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ [الزمر : ١٨]

* وفى قوله تعالى : ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ ﴾ [فصلت : ٤]

تشير الآية إلى أن القرآن نزل بشيرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين ولكن الكفار أعرضوا عنه كأنهم لا يسمعون .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [فصلت : ٢٠]

إذا ما جاءوها : أى جاء الكفار إلى النار .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

[فصلت : ٢٢]

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [فصلت : ٢٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الزخرف : ٤٠]

الاستفهام فى الآية غرضه التعجب من حال هؤلاء الكفار الذين لا يستجيبون للهدى ..

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الجاثية : ٨]

تشير الآية إلى النضر بن الحارث الذى كان يصر على الإعراض عن سماع آيات الله ويحرص على عدم الانتفاع بها أو سماعها .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾

[الجاثية : ٢٣]

سبب نزول الآية

أخرج ابن المنذر وابن جرير عن سعيد بن جبير قال : كانت قريش تعبد الحجر حينا من الدهر فإذا وجدوا ما هو أحسن منه طرحوا الأول وعبدوا الآخر. فنزلت الآية ـ لباب النقول ـ

وقيل : نزلت فى الحارث بن قيس السهمى أحد المستهزئين ، لأنه كان يعبد ما تهواه نفسه . ـ التفسير الوجيز ـ

وقيل : إن أبا جهل طاف بالبيت ذات ليلة ومعه الوليد بن المغيرة ، فتحدثا فى شأن النبى ـ ﷺ ـ . فقال أبو جهل : والله إنى لأعلم أنه صادق ، فقال له: مه وما دلك على ذلك ؟ فقال : يا أبا عبد شمس ، كنا نسميه فى صباه الصادق الأمين ، فلما تم عقله وكمل رشده نسميه الكذاب الخائن !! والله إنى لأعلم أنه لصادق . قال : فما يمنعك أن تصدقه وتؤمن به ؟ قال : تتحدث عنى بنات قريش أنى اتبعت يتيم أبى طالب من أجل كسرة ، واللات والعزى لا أتبعه أبدا . فنزلت الآية ـ تفسير القرطبى عن مقاتل

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [الأحقاف : ٢٦]

الحديث عن قوم هود وهم عاد ... والمخاطبون هم قريش ، تنذرهم الآية بمصير قوم هود الذين كذبوا رسولهم فهلكوا وكانوا أشد قوة منهم .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾

[محمد : ١٦]

تتحدث الآية عن المنافقين الذين كانوا لا يلقون سمعا إلى النبى - ﷺ - ، بل كانوا ينشغلون عنه فى أثناء تلاوة القرآن حتى إذا انتهى المجلس سألوا أهل العلم عما كان قوله - ﷺ -

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق : ٣٧]

* وفى قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ [الطور : ٣٨]

هل للكفار سلم يصعدون فيه إلى السماء فيستمعون كلام الملائكة ؟ إن كان ذلك حقا فليأتوا ببرهان صادق . والاستفهام فى الآية للتعجب من كفرهم وإعراضهم .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المنافقون : ٤]

هذا وصف للمنافقين - لهم منظر وليس لهم مخبر ، ولهم منطق يعجب وليس لهم فعل يعجب .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [التغابن : ١٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك : ١٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [الملك : ٢٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾ [القلم : ٥١]

يزلقونك : يوقعنك . ـ بأبصارهم : بحسدهم لك

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان : ٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾ [الجن : ٩]

* * *

ارتباط حاسة السمع بالعقل

* في قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة : ٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٧٥]

تشير الآية إلى إصرار هؤلاء على الكفر ، فقد سمعوا وعقلوا ولكنهم حرفوا ما سمعوه وعقلوه ..

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ١٧١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾ [الانعام : ٢٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لا يَعْقِلُونَ ﴾ [يونس : ٤٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ [الفرقان : ٤٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق : ٣٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك : ١٠]

حاسة الشم

جاء في القرآن الكريم ما يشير إلى هذه الحاسة ولم تجيء بلفظها كما جاءت الحواس الأخرى .

أما ما يشير إليها فهو :

* قوله تعالى : ﴿ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴾ [الرحمن : ١٢]

العصف : القشر أو التبن .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ [الواقعة : ٨٨ - ٨٩]

الريحان في الآيتين هو النبات المعروف ذو الرائحة الطيبة ، وما خلق الريحان إلا ليشم وينتفع برائحته الطيبة ..

* * *

أحوال الإنسان

* في قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٢٨]

تشير الآية إلى أن من أحوال الإنسان الضعف والعجز عن المقاومة .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [النحل : ٧٠]

تشير الآية إلى أن من أحوال الإنسان أنه قد يموت صغيراً ، وقد يعمر حتى يبلغ أرذل العمر .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً ﴾ [الإسراء : ١١]

تشير الآية إلى أن من أحوال الإنسان العجلة وقد يتسرع فيدعو بالشر والهلاك على نفسه وولده وأهله وذلك في حال الغضب .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾ [الكهف : ٥٤]

تشير الآية إلى أن من أحوال الإنسان كثرة جداله وصعوبة اقتناعه بالحق إلا من هداه الله .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُورًا ﴾ [الإسراء : ١٠٠]

من أحوال الإنسان الإمساك والتقتير مهما كثر ماله .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [الأنبياء : ٣٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ ﴾ [الحج : ٦٦]

تشير الآية إلى أن من أهوال الإنسان جحود النعم وكفرانها .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ [الروم : ٥٤]

تشير الآية إلى أن الإنسان يتطور في خلقه من حالة الضعف إلى حالة القوة ثم إلى حالة الضعف مرة أخرى ، حيث كان نطفة فعلقة فمضغة، ثم يكون جنينا في بطن أمه ، ثم ولد ضعيفا يعتمد في غذائه علي الرضاع من ثدى أمه، ثم لم يزل يكبر حتى صار قويا غلاما شابا فكهلا ، ثم تحولت قوته إلى ضعف مرة أخرى وذلك في مرحلة الشيخوخة والهرم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ [يس : ٦٨]

تشير الآية إلى أن من يطول عمره كثيرا يرتد إلى الوراء فيضعف ويخرف حتى لا يأبه به أحد

قال الشاعر في ذلك :

ومن لا يعتبط يكبر ويهرم وتسلمه المنون إلى انقطاع
وما للمرء خير في حياة إذا ما عد من سقط المتاع

يعتبط : يمت قبل الشيخوخة ـ والمنون : الموت

ـ سقط المتاع : الاثاث البالى الذى لا قيمة له .

* وفي قوله تعالى : ﴿ لا يَسْأَمُ الإنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ (٤٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٠) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾ [فصلت : ٤٩ - ٥١]

يئوس قنوط : شديد اليأس والكآبة والحزن .

نأى بجانبه : تباعد عن الشكر بكليته ، ومال بجنبه كبرا وعجبا .

ذو دعاء عريض : صاحب دعاء كثير مستمر .

والآيات تشير إلى بعض أحوال الإنسان فإنه لا يمل من طلب المزيد من الخير، وإنه أصابه ضيق أو شدة يئس وتبرَّم وضاق ذرعا بالحياة .

وهذا بالطبع الإنسان غير المؤمن ، ومن شأنه أيضا أنه في حالة الرخاء بعد الشدة يظن أن هذا من حقه ، وينكر البعث ، ويتكبر على الخلق ، فإذا وقع في ضيق كثر دعاؤه وتضرعه إلى الله .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الإنسَانَ كَفُورٌ ﴾ [الشورى : ٤٨]

تشير الآية إلى أن من أحوال الإنسان البطر عند النعمة والجحود عند الشدة.

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ [المعارج : ١٩ - ٢١]

تشير الآيات إلى أن من أحوال الإنسان أنه يصيب الهلع والجزع عن المكروه ، فإذا ما أصابه الغنى كان شحيحا بخيلا على غيره من المحتاجين .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾ [الفجر : ١٥ - ١٦]

* وفى قوله تعالى : ﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾ [العلق : ٦ ، ٧]

* وفى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ [العاديات : ٦]

من أحوال الإنسان الكافر أنه يجحد نعمة ربه .

* * *

مدلول كلمة الإنسان فى القرآن

جاءت كلمة الإنسان فى القرآن فى مواضع كثيرة . جاءت (أل) في بعضها لبيان الجنس ، وجاءت (ال) فى بعضها للعهد تعنى إنسان معهودا .

جاءت الإنسان لمطلق الإنسان فى مواضع منها :

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٢٨]

فالضعف في جنس الإنسان .

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم : ٣٤]

جاء فى صفوة التفاسير : الإنسان اسم جنس ، أى أن الإنسان لمبالغ فى الظلم والجود ظالم لنفسه بتعديه حدود الله ، جحود لنعم الله ، وقيل : ظلوم فى الشدة يشكو ويجزع كفار فى النعمة يجمع ويمنع .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يوسف : ٥]

فالشيطان عدو لجنس الإنسان .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴾ [الإسراء : ١٣]

* وفى قوله تعالى : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴾ [السجدة : ٧]

* وفى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان : ٢]

* وفى قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ [البلد : ٤]

كبد : مشقة .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ [العلق : ٢]

* * *

وجاءت كلمة الإنسان لتعنى إنسانا معهودا في مثل المواضع الآتية .

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر : ٢٦]

الإنسان هنا آدم عليه السلام

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الإنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم : ٣٤]

المقصود بالإنسان هنا الكافر الذى يجحد نعمة الله تعالى .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ الإنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [النحل : ٤]

قال بعض العلماء : وإن كان جنس الإنسان قد خلق من نطفة إلا أن المعنى هنا الكافر الذى أنكر البعث وقال : من يحيى العظام وهى رميم .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴾ [الإسراء : ٨٣]

الإنسان هنا هو الكافر لأن المؤمن لا تبطره النعمة ولا ييئسه الفقر .

* وفى قوله تعالى : ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا ﴾ [الإسراء : ١٠٠]

صور الآية يشير إلى المقصود بالإنسان هنا الكافر ، لأن الخطاب موجه إلى الكفار الذين ينكرون البعث . فالإنسان هوالكافر .

وقد يكون المقصود جنس الإنسان مهما بلغ من الكرم فهو إلى جانب عطاء الله وكرمه بخيل .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف : ٥٤]

الإنسان هنا هو الكافر الذى يحاول فى الحق بعد ما تبين .



* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾

[مريم : ٦٦]

الإنسان هنا أبى بن خلف أو الوليد بن المغيرة التى نزلت الآية بشأن أحدهما . - تفسير الجلالين -

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان : ٢٩]

الإنسان هو أبى بن خلف الذى نزلت فى شأنه الآية والآيات السابقة عليها.

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

[العنكبوت : ٨]

الإنسان فى الآية سعد بن أبى وقاص - رضى الله عنه -

جاء فى أسباب النزول للواحدى : عن سعد بن أبى وقاص قال : كنت رجلا باراً بأمى ، فلما أسلمتُ قالت : ما هذا الدين الذى أحدثت يا سعد؟ لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتُعيرُ بى . قال : فمكثت يوما وليلة لا تأكل ، فأصبحت وقد جهدت ، ثم مكثت يوما آخر وليلة لا تأكل . فلما رأيت ذلك قلت : تعلمين والله يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت دينى هذا لشيء أبدا ، فإن شئت فكلى وإن شئت فدعى. فلما رأت ذلك أكلت . فأنزل الله هذه الآية

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ [الأحزاب : ٧٢]

الأمانة : التكاليف الشرعية ، وقيل : الطاعة .

جاء فى تفسير ابن كثير : عن ابن عباس - رضى الله عنهما - : يعنى الأمانة الطاعة عرضها على السموات والأرض والجبال قبل أن يعرضها على آدم فلم يطعنها . فقال لآدم : إنى قد عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم يطقنها فهل أنت آخذ بما فيها ؟ قال : يا رب وما فيها ؟ قال : إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت .

فأخذها آدم فتحملها . فذلك قوله تعالى :﴿ وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ﴾ .

فالإنسان فى الآية يقصد به آدم عليه السلام

* وفى قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [يس : ٧٧]

الإنسان هنا يقصد به العاص بن وائل السهمى ، وقيل : أبى بن خلف .

جاء فى تفسير القرطبى : روى أن أبى بن خلف من صناديد كفار قريش جاء بعظم بال إلي النبى - ﷺ - ، ففته بيده ، ثم قال : أتزعم يا محمد أن الله يحى هذا بعد ما رم ؟ فقال له النبى - ﷺ - : « **نعم يحييه ثم يبعثك ويدخلك النار** »، فانزل الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ .

* وفى قوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴾ [القيامة : ٣]

الإنسان مقصود به الكافر .

* وفى قوله تعالى : ﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾

[العلق : ٦ ، ٧]

الإنسان فى الآية يقصد به أبو جهل لعنه الله - تفسير الجلالين -

* * *

البشر مرادف الإنسان

وكلمةالبشر ترادف الإنسان - وقد جاءت كلمة البشر فى المواضع الآتية .

* وفى قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٤٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٩]

ربانيين : علماء فقهاء .

سبب نزول الآية

أخرج ابن إسحاق عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله - ﷺ - ، ودعاهم إلى الإسلام : أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ؟ قال - ﷺ - معاذ الله . فأنزل .. ما كان لبشر أن يؤتين الله... » الآية والتي بعدها .

وأخرج عبد الرزاق فى تفسيره عن الحسن قال : بلغني أن رجلا قال : يا رسول الله . نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض ، أفلا نسجد لك ؟ قال: « لا ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله ، فإنه لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله ، فأنزل الله اللآية .. لباب النقول .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [المائدة : ١٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي

خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام : ٩١]

تجعلونه قراطيس : تجلونه أوراقا مكتوبة مفرقة . ـ خوضهم : باطلهم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ [هود : ٢٧]

المخاطب : نوح عليه السلام . ـ أراذلنا : أخساؤنا

بادىء الرأى : بدون بحث وتحقق .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف : ٣١]

تشير الآيةإلى ما حدث من النسوة اللاتى انتقدن امرأة العزيز التى راودت يوسف عليه السلام عن نفسه . وأن امرأة العزيز دعتهن إلى وليمة عندها وأمرت يوسف بالخروج عليهن فلما رأينه ذهلن من جماله ، وانشغلن به عما ى أيديهن من سكاكين حتى قطعن بها أيديهن بدلا من تقطيع الفاكهة اللاتى كن يقطعنها .. وحكمن عليه بأنه ملك لشدة جماله وليس بشرا ..

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا

تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [إبراهيم : ١٠ - ١١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر : ٢٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر : ٣٣]

قال : أى إبليس اللعين .

صلصال : طين يابس يصلصل ، أي يظهر صوتا إذا نقر عليه أو حرك .

حمأ مسنون : طين أسود متغير الرائحة .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل : ١٠٣]

قال الكفار : إن محمدا - ﷺ - يتلقى القرآن ويتعلمه من ببشر اسمه جبر وهو غلام وأسلم على يد النبى - ﷺ - ، كان نصرانيا روميا من صقلية ، وكان يصنع السيوف وأسلم على يد النبى - ﷺ - ، وكان النبى - ﷺ - يذهب إليه أحيانا .

ولكن المشركين من جهلهم لم يدركوا أن لسان هذا الغلام رومى ، ولا ينطق العربية إلا بصعوبة ديدة ، فكيف يتسنى له أن يلقن النبى - ﷺ - هذا القرآن العربى الفصيح الذين عجزوا هم عن مضاهاته ؟

* وفي قوله تعالى : ﴿ ... قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَراً رَّسُولاً (٩٣) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلاَّ أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَّسُولاً ﴾

[الإسراء : ٩٣ ، ٩٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾

[الكهف : ١١٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيًّا ﴾ [مريم : ١٧]

فاتخذت : أى مريم

اتخذت من دونهم حجابا : اتخذت سترا يسترها من الناس .

روحنا : جبريل عليه السلام .

بشر سويا : بشرا تام الخلقة .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ [مريم : ٢٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [مريم : ٢٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلاَّ

بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٤]

سبب نزول الآية

قال بعض الرواة : نزلت الآية حين قال بعض الكفار : إن محمدا سيموت .

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال : نعي إلى النبي - ﷺ - نفسه فقال : «**يا رب فمن لأمتي** »؟ فنزلت الآية - لباب النقول -

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَنزَلَ مَلائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ ﴾

[المؤمنون : ٢٤]

ما هذا : اسم الإشارة يعود على نوح عليه السلام .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴾

[المؤمنون : ٣٣ ، ٣٤]

ما هذا إلا بشر : اسم الإشارة يعود على هود عليه السلام .

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴾

[المؤمنون : ٤٧]

القائل فرعون وقومه ..

لبشرين : هما موسى وهارون عليهما السلام .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [الفرقان : ٥٤]

الماء : أى ماء النطفة .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ مَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [الشعراء : ١٥٤]

أنت : الضمير يعود على صالح عليه السلام .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [الشعراء : ١٨٦]

المخاطب في الآية شعيب عليه السلام .

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ [الروم : ٢٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ ﴾ [يس : ١٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾ [ص : ٧١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾ [فصلت : ٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى : ٥١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾ [القمر : ٢٤]

سُعُر : بضمتين : جنون .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [التغابن : ٦]

أبشر : كلمة بشر تطلق على المفرد والجمع ، يقال : هذا بشر وهؤلاء بشر.

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ [المدثر : ٢٥]

قائل ذلك الوليد بن المغيرة حين طلب منه قوله أن يقول كلمة عن القرآن تصرف الناس عنه ، وكان قد أبدى إعجابه قبل ذلك وقال عنه : إنه له لحلاوة وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق ، وإنه ليعلو ولا يُعلى .

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴾ [المدثر : ٢٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴾ [المدثر : ٣١]

هى تعود على جهنم التى وصفت فى الآيات السابقة .

* وفي قوله تعالى : ﴿ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴾ [المدثر : ٣٦]

تشير الآيات إلى النار جعلها الله نذيرا للناس .

موقف الإنسان من الدين

لم يلتزم جنس الإنسان بواجب الأمانة التي حملها ، ولكن اختلف موقفه من الدين الذي شرعه الله لخلقه وأوجب عليهم الإيمان به ..

ولذلك كان من الناس مؤمنون ، وكان منهم مشركون ، وملحدون ومكذبون ضالون ومنافقون .

وقد جاء في القرآن الكريم آيات تشير إلى هذه الأصناف من البشر : -

أولا : المؤمنون وصفاتهم

* في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة : ٣ - ٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة : ٢٨٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٢]

تصور الآية المؤمن في صورة الحي ، والكافر في صورة الميت .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا

تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٢ - ٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٧٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ٧١ - ٧٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨٨) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ٨٨١ - ٨٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩) دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [يونس : ٩ ، ١٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦)

فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون : ١ - ١١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور : ٦٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥٧ - ٦١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ

يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٣ - ٧٦]

* وفى قوله تعالى : ﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [النمل : ٢ ، ٣]

* وفى قوله تعالى : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٥، ١٦]

* وفى قوله تعالى : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ ﴾ [الأحزاب : ٢٣ ، ٢٤]

قضى نحبه : استشهد فى سبيل الله .

من ينتظر : من فى أجله بقية ، ينتظر الشهادة .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [الشورى : ٣٦ - ٤٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح : ٢٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات : ١٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [الحديد : ١٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة : ٢٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ

رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾

[المعارج : ٢٢ ـ ٣٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ [البينة : ٧ ، ٨]

* * *



المؤمنون وأداء الشعائر

جاء الحرص على أداء الشعائر في صدر سورة البقرة حيث قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة : ٢ ، ٣]

والشعائر تشمل الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج .

وهذا ما يسمى بالعبادات في الإسلام :-

العبادات في الإسلام

أولا : الصلاة

الأمر بأدائها

* في قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [البقرة : ٤٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [البقرة : ٤٥]

وإنها لكبيرة : أي شاقة .

خص الصلاة بالذكر من بين العبادات تنويها بذكرها ، وكان ﷺ إذ حزبه أمر فزع إلى الصلاة .

والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ

وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ... ﴾ [البقرة : ٨٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة : ١١٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٥٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨]

فمن قائل إنها العصر ، ومن قائل أنها المغرب ، ومن قائل إنها العشاء ، ولكل دليل يستدل به . ومن قائل إنها صلاة الجمعة ، ومن قائل إنها الصلوات بأجمعها ، لأن قوله حافظوا على الصلوات يعم الفرض والنفل ، ثم خص الفرض بالذكر .

ولم تتعين ليحافظ المومن على كل صلاة مظنة أنها الوسطى .

وقانتين : طائعين خاشعين ، وقيل : داعين .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ ... فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ [النساء : ١٠٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٢]

المقيمين : بالنصب ، وعلة نصبه أنه نصب على المدح .

واختصاص المقيمين بالمدح يدل على أهمية الصلاة وعظيم أثرها ..

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ [المائدة : ٥٥]

سبب النزول

قال جابر بن عبد الله : قال عبد الله بن سلام للنبي ـ ﷺ إن قومنا من قريظة والنضير قد هجرونا وأقسموا الا يجالسونا ولا نستطيع مجالسة أصحابك لبعد المنازل ، فنزلت الآية فقالوا : رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين أولياء ـ تفسير القرطبي ـ

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾

[الأنعام : ٧٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٣، ٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ٥]

تتحدث الآية عن المشركين الذين كان بينهم وبين المسلمين عهد ، ثم انقضت مدة عهدهم ، فإن تابوا بعد ذلك وأسلموا وأقاموا الصلاة تركهم المسلمون وشأنهم ، ولكن إذا استمروا في العناد قاتلهم المسلمون .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة : ١١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٧١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٨٧]

تبوءا : اتخذا - بيوتا : أي بيوتا للعبادة .

اجعلوا بيوتكم قبلة : اجعلوها مساجد تصلون فيها سرا حتى لا تتعرضوا للأذى .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود : ١١٤]

طرفي النهار : الصبح والمغرب وقيل : الطرف الأول الصبح ، والثاني : الظهر والعصر .

والزلف : المغرب والعشاء .

سبب النزول

نزلت الآية في رجل من الأنصار ، قيل : هو أبو اليسر بن عمرو ، وقيل : اسمه عباد ، خلا بامرأة فقبلها وتلذذ بها فيما دون الفرج .وفي سنن الترمذي : عن عبد الله قال : جاء رجل إلى النبي - ﷺ - فقال : إني عالجت امرأة في أقصى المدينة وإني أصبت منها دون أن أمسها ، وأنا هذا فاقض فيَّ ما شئت . فقال له عمر : لقد سترك الله ، لو سترت على نفسك ؟ فلم يرد عليه رسول الله - ﷺ - شيئا ، فانطلق الرجل فأتبعه رسول الله - ﷺ - رجلا فدعاه ، فتلا عليه الآية . فقال رجل من القوم : هذا له خاصة ؟ قال : « لا ، بل للناس كافة . قال الترمذي : حسن صحيح .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾

[الرعد : ٢٢]

يدرءون : يدفعون ، أي يدفعون الإساءة بالإحسان .

عقبى الدار : لهم العاقبة المحمودة فى الدار الآخرة وهى الجنة

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ **قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ** ﴾ [إبراهيم : ٣١]

لا بيع فيه : لا تجارة فيه ، واليوم هو يوم القيامة . ولا خلال : ولا صداقة ، من الخلة وهى الصداقة ، والمقصود أنه لا صديق ينفع صديقه يوم القيامة ، فكلٌ مشغول بنفسه .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ **رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ** ﴾ [إبراهيم : ٣٧]

المتحدث فى الآية هو إبراهيم عليه السلام يدعو ربه بعد أن أنزل ابنه إسماعيل وأمه هاجر بموضع البيت الحرام .

ليقيموا الصلاة : خصها من جملة الدين لفضلها ومكانها منه ، وهى عهد الله عند العباد ، ففى الحديث الشريف « **خمس صلوات كتبهن الله على العباد** » .

أجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم : اجعل وفوداً من الناس تنزع وتميل إليهم وقد تحققت دعوة إبراهيم عليه السلام ، فها هى ذى الوفود من كافة بقاع الأرض تتجه إلى مكة المكرمة التى يجبى إليها ثمرات كل شيء .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ [إبراهيم : ٤٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٨]

دلوك الشمس : زوالها .

غسق الليل : ظلمة الليل .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴾

[الإسراء : ١١٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [مريم : ٣١]

هذه الآية على لسان عيسى بن مريم عليه السلام .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٤]

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ

نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه : ١٣٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الحج : ٣٥]

وجلت قلوبهم : خافت وخشعت

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ [الحج : ٤١]

مكناهم : جعلنا لهم سلطانا ومكانة .

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج : ٧٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ ... فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الحج : ٧٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [المؤمنون : ١ ، ٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [المؤمنون : ٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ﴾ [النور : ٣٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [النمل : ٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الروم : ٣١]

منيبين إليه : راجعين إليه بالتوبة والإخلاص .

اتقوه : خافوه وامتثلوا أمره .

ولا تكونوا من المشركين : في هذا التعبير إشارة إلى أن العبادة لا تنفع إلا مع الإخلاص .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ (٣) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [لقمان : ٣ ، ٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ [لقمان : ١٧]

هذه الآية تشير إلى نصائح لقمان لابنه وهو يعظه . وقد أمره فيها بإقامة

الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على ما يصيبه من أذى ..

من عزم الأمور : أى من مكارم الأخلاق وعزائم أهل الحزم السالكين إلى طريق النجاة .

وعلاقة الصبر بما تقدمه . أى امر بالمعروف وانه عن المنكر وإن نالك فى سبيل ذلك أذى أو ضرر . فإن نالك فاصبر عليه . وهذا يشير إلى أن تغيير المنكر يقتضى أذى من يُغيره .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ ... وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣]

الأمر فى الآية موجه إلى نساء النبى - ﷺ - .

الرجس : الإثم والذنب .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ ... إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [فاطر : ١٨]

بالغيب : يخافونه دون أن يروه . - تزكى : اهتدى .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾ [فاطر : ٢٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الشورى : ٣٨]

استجابوا لربهم : استجابوا إلى الإيمان بربهم ونصروا دعوته ، والمقصود بهم الانصار فى المدينة .

أمرهم شورى : يتشاورون فيما بينهم فى مهام الامور .

والآية تشير إلى أهمية الشورى وأثرها فى نجاح الأمور . وفي الحديث : « **لا خاب من استخار ولا ندم من استشار** » .

ومن كلام الحكماء : ما تشاور قوم قط إلا هُدوا لأرشد أمورهم ـ قاله الحسن ـ

وقال ابن العربى : الشورى ألفة للجماعة ، ومسبار للعقول ، وسبب إلى الصواب ، وما تشاور قوم إلا اهتدوا .

وقال بشار بن برد :

إذا بلغ الرأى المشورة فاستعن ... برأى لبيب أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة ... فإن الخوافي قوة للقوادم

حديث شريف

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **إذا كان أمراؤكم خياركم ، وأغنياؤكم سمحاءكم ، وأمركم شورى بينكم فظَهَر الأرض خير لكم من بطنها ، وإذا كان أمراؤكم شراركم ، وأغنياؤكم بخلاءكم ، وأموركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها** » .

رواه الترمذى .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ **أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [المجادلة : ١٣]

أأشفقتم : أخفتم .

نجواكم : مناجاتكم الرسول لله ـ ﷺ ـ سرا .

سبب نزول الآية

كان الله تعالى قد أنزل قوله : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ..** ﴾ ، فشق ذلك على المسلمين لشدة حاجتهم فخفف الله عنهم ، ونسخ هذا الحكم ، وأنزل الآية المذكورة .

قال الرواة : لم يعمل بآية الصدقة بين يدى النحوى إلا على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ فقد روى عنه أنه قال : فى كتاب الله آية ما عمل بها أحد قبلى ، ولا يعمل بها أحد بعدى وهى « **يأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة** » كان لى دينار فبعته ، فكنت إذا ناجيت الرسول ـ ﷺ ـ تصدقت بدرهم حتي نفد ، فنسخت بالآية الاخرى « **أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات** » .. ـ تفسير القرطبى ـ

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾

[الجمعة :٩]

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ **إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ** ﴾

[المعارج : ٢٢ ، ٢٣]

* وفى قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ** ﴾ [المعارج : ٣٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ ... فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المزمل : ٢٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴾

[الأعلى : ١٤ ، ١٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴾ [العلق : ١٩]

الضمير في لا تطعه يعود على أبي جهل لعنه الله ، كان ينهى النبي - ﷺ - عن الصلاة .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة : ٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾

[الماعون : ٤ ، ٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر : ١ - ٣]

* * *

مقومات الصلاة

وجوب التطهر لها

* في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [النساء : ٤٣]

تنهى الآية عن الاقتراب من الصلاة في حال السكر ، وقد نزلت الآية قبل أن تحرم الخمر ، وكانت مقدمة لتحريم الخمر نهائيا .

كما نهت عن الصلاة في حالتي الحدث الأصغر والأكبر ، وأمرت بوجوب التطهر قبل أداء الصلاة ، بالوضوء في حالة الحدث الأصغر ، والاغتسال في حالة الحدث الأكبر ، فإن لم يوجد الماء فالتيمم ينوب عنه ..

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة : ٦]

تيمموا : اقصدوا . صعيدا طيبا : ترابا طاهرا .

حرج : ضيق .

الخشوع والطمأنينة فيها

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [البقرة : ٤٥]

الخاشعين : جمع خاشع وهو المتواضع .

والخشوع هيئة فى النفس يظهر منها في الجوارح سكون وتواضع .

ومظهر الخشوع في القلب الخوف ، وفى الصلاة غضّ البصر ، وفى الجوارح السكون عن الحركة ، ودليله ما جاء فى الحديث : لو خشع قلبه لخشعت جوارحه .

ويكون الخشوع حسنا ما لم يكن متكلفا ، وضابطه كما قال الأعمش : ليس الخشوع بأكل الخشن ولبس الخشن وتطاطؤ الرأس ، لكن الخشوع أن ترى الشريف والدنىء فى الحق سواء ، وتخشع لله فى كل فرض افترض عليك . ونظر عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - إلى شاب قد نكسً رأسه فقال : يا هذا، ارفع رأسك فإن الخشوع لا يزيد على ما فى القلب .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨]

قانتين : طائعين ..

وقيل : القنوت طول الركوع والخشوع وغض البصر وخفض الجناح ..

وقيل : قانتين أي ساكنين ، ودليل ذلك أن الآية نزلت فى المنع من الكلام فى الصلاة ، وكان ذلك مباحا فى صدر الإسلام وهذا هو الصحيح . فقد روى مسلم وغيره عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه قال : كنا نسلم على رسول الله - ﷺ - وهو فى الصلاة فيرد علينا ، فلما رجعنا من عند النجاشى

سلّما عليه فم يرد علينا ، فقلنا : يا رسول الله ، كنا نسلم عليك في الصلاة فترد علينا ؟ فقال : « **إن في الصلاة شغلا** » .

وقيل في معنى قانتين : داعين ـ ومعنى قنت : دعا . يقال : قنت في صلاته أي دعا فيها .

وقيل : قانتين القنوت : وهو طول القيام ، ومنه الحديث الشريف الذى أخرجه مسلم وغيره « **أفضل الصلاة طول القنوت** » .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ **الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ** ﴾ [آل عمران : ١٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ **يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ** ﴾ [آل عمران : ٤٣]

اقنتى : أى أطيلى القيام في الصلاة ، أو اخشعى ..

قال الأوزاعى : لما قالت الملائكة لمريم ذلك قامت إلى الصلاة حتى ورمت قدماها وسالت دماً وقيحا .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ** ﴾ [النساء : ٣٤]

حديث حول الآية

عن أبى هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ : « **خير النساء التى إذا**

نظرت إليها سرتك ، وإذا أمرتها أطاعتك ، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك » رواه أبو داود والطيالسى فى مسنده .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ **فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا** ﴾

[النساء : ١٠٣]

قضيتم الصلاة : المراد صلاة الخوف التى صليتموها .

وعلى جنوبكم : وأنتم مضطجعون ، يعنى بذلك الذكر على اى حال يكون الإنسان وقد تجوز الصلاة في أثناء الاضطجاع للمريض الذى لا يقدر على الجلوس والقيام .

اطمأننتم : أمنتم من الخوف .

كتاب موقوتا : أمرا مفروضا على حسب الأوقات المعلومة وهى الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [النحل : ١٢٠]

أمةً : الأمة الذى يعلم الناس الخير .

حنيفا : الحنيف الذى يميل عن الباطل إلى الحق .

والقانت : الخاشع الذى يطيل القيام فى صلاته .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾

[الإسراء : ١١٠]

سبب نزول الآية

روى ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : نزلت هذه الآية والنبى - ﷺ - مُتوارٍ بمكة ، وكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فإذا سمع المشركون ذلك سبُّوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به ، فقال الله تعالى : « **ولا تجهر بصلاتك** » فيسمع المشركون ، قراءتك ولا تخافت بها » عن أصحابك ..

أخرجه البخارى ومسلم والترمذى .

ويستفاد من الآية أن تكون قراءة المصلى وسطا بين الجهر والإخفاء .

خبر حول الآية

روى عن ابن سيرين قال : كان أبو بكر - رضى الله عنه - يُسرُّ قراءته ، وكان عمر يجهر بها ، فقيل لهما فى ذلك ، فقال أبو بكر : إنما أناجى ربى ، وهو يعلم حاجتى إليه ، وقال عمر : أنا أطرد الشيطان ، وأوقظ الوسنان . فلما نزلت هذه الآية قيل لأبى بكر : ارفع قليلا ، وقيل لعمر : اخفض أنت قليلا

- ذكره ابن جرير الطبرى فى تفسيره -

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [المؤمنون : ١ ، ٢]

سبب نزول الآية

روى المعتمر عن خالد عن محمد بن سيرين قال : كان النبى - ﷺ - ينظر

إلى السماء فى الصلاة فانزل الله عز وجل هذه الآية : « **الذين هم فى صلاتهم خاشعون** » فجعل رسول الله ـ ﷺ ـ ينظر حيث يسجد .

وفى رواية هشيم : كان المسلمون يلتفتون فى الصلاة وينظرون حتي أنزل الله تعالى « **قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون** » فاقبلوا على صلاتهم ، وجعلوا ينظرون أمامهم .

*** * ***

* وفي قوله تعالى : ﴿ **وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ** ﴾ [الروم: ٢٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ **وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا** ﴾ [الاحزاب : ٣١]

الحديث فى الآية عن نساء النبى ـ ﷺ ـ

يقنت : يخشع ويُطع .

أعتدنا : أعددنا وهيأنا .

*** * ***

* وفي قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** ﴾

[الاحزاب : ٣٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر : ٩]

* وفي قوله تعالى : ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ [التحريم : ٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ [التحريم : ١٢]

* * *

الأمر بالمحافظة على الصلاة

* في قوله تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨ ، ٢٣٩]

تشير الآية إلى وجوب المحافظة على الصلاة في أوقاتها والمواظبة على أدائها .

والأمر يشمل أداء الصلاة في السفر والحضر ، والأمن والخوف ، والصحة والمرض .

ومعنى « رجالا » سائرين على أرجلكم ، وذلك في حال السفر .

وركبانا : راكبين رواحلكم .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ

أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [الأنعام : ٩٢]

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [المؤمنون : ٩]

والمحافظة تشمل الحرص على أدائها فى أوقاتها وعدم تأخيرها كما تشمل عدم التفريط فى أركانها وآدابها .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ [المعارج : ٢٢ ، ٢٣]

دائمون : ساكنون .

وقيل : دائمون على مواقيتها لا يفرطون فيها ولا يؤخرونها .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [المعارج : ٣٤]

الفرق بين دائمون ويحافظون : أن دوامهم عليها معناه أن يحافظوا على أدائها لا يخلّون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل ، ومحافظتهم عليها أن يراعوا إسباغ الوضوء لها ، ومواقيتها ، ويقيموا أركانها ويكملوها بسننها وآدابها ، ويحفظوها من الإحباط باقتراف المآثم ، فالدوام يرجع إلى نفس الصلوات ، والمحافظة إلى أحوالها . ـ تفسير القرطبى ـ

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾

[الماعون : ٤ ، ٥]

ساهون : أي ساهون عنها بإضاعة الوقت ولا يتمون ركوعها ولا سجودها .
وفي قراءة : [**الذين هم عن صلاتهم لاهون**].

حديث شريف :

عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال : قال النبي ـ ﷺ ـ في قوله :
﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ** ﴾ قال : « **الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها تهاونا بها** » .

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : هم المنافقون يتركون الصلاة سرا ويصلونها علانية ، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى ..

لطيفة

الفرق بين : « **عن صلاتهم ساهون** » و« **في صلاتهم ساهون** » .

قال عطاء : الحمد لله الذى قال : عن صلاتهم ولم يقل في صلاتهم . والفرق أن قوله عن صلاتهم ـ أنهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة اكتراث بها ، وذلك فعل المنافقين أو الفسقة . ومعنى (في) أن السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث النفس ، وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم . ـ تفسير القرطبي ـ

مراعاة أوقات الصلاة

* في قوله تعالى : ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ** ﴾ [هود : ١١٤]

طرفي النهار : الطرف الأول صلاة الصبح ، والطرف الثاني صلاة الظهر والعصر . .

زلفا من الليل : المغرب والعشاء .

والزلف : الساعات القريبة بعضها من بعض .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٨]

دلوك الشمس : وقت الظهر ، والدلوك الزوال وآخره الغروب ، ووقت الدلوك يشمل وقتي الظهر والعصر .

غسق الليل : الغسق الظلمة ، ويشمل وقتي المغرب والعشاء

وقرآن الفجر : يشير إلى صلاة الفجر .

* * *

صلاة الجمعة

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [الجمعة : ٩ - ١١]

صلاة الجمعة - وقتها وقت صلاة الظهر إذا زالت الشمس .

ذكر الله : الصلاة والخطبة التي يذكّر فيها الإمام الناس .

والآية الأخيرة تشير إلى استهجان بعض المنافقين الذين هرعوا إلى صوت الطبل والزمر عند قدوم قافلة تجارية إلى المدينة ، وكان قدومها في أثناء خطبة

الجمعة ، فتركوا النبى - ﷺ - قائما يخطب ومضوا يستقبلون القافلة ..

حديث فى فضل صلاة الجمعة

عن أبى الجعد الضمرى - وكانت له صحبة - أن رسول الله - ﷺ - قال : « **من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاونا بها طبع الله على قلبه** » أورده ابن ماجة فى سننه .

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : « **من توضأ يوم الجمعة فأحسن الوضوء ثم راح إلي الجمعة فاستمع وأنصت غفر الله له ما بين الجمعة إلى الجمعة وزيادة ثلاثة أيام** » - أخرجه مسلم فى صحيحه -

* * *

وجوب استقبال القبلة فى الصلاة

* فى قوله تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة : ١١٥]

تشير الآيةإلى وجوب تحرى القبلة فى الصحارى والليلة المظلمة ، فإن تحرى وصلى إلى غير جهتها وهو لا يعلم فصلاته صحيحة .

قال عبد الله بن عامر بن ربيعة : نزلت الآية في من صلى إلى غير القبلة فى ليلة مظلمة ، وقال : كنا مع النبى - ﷺ - فى سفر فى ليلة مظلمة فلم ندر أين القبلة ؟ فصلى كل واحدا منا على حياله ، فلما أصبحنا ذكرنا ذلك للنبى - ﷺ - فنزلت الآية . رواه الترمذى .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ **قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ**

أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ١٤٤]

حول الآية

حين فرضت الصلاة فى ليلة الإسراء والمعراج كانت القبلة إلى بيت المقدس ، وظلت القبلة كذلك حوالي ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهرا ، وكان النبى - ﷺ - يود لو أن القبلة حُوِّلت إلى البيت الحرام فى مكة ، حتى أذن الله تعالى بذلك ، فأمر نبيه - ﷺ - والمسلمين أن يصلوا إلى المسجد الحرام .. ونزلت الآية فى ذلك .

تقلب وجهك فى السماء : أى نظرك إلى السماء وسؤالك ربك أن يوجهك إلى الكعبة .

شطر المسجد الحرام : جهة المسجد الحرام .

حديث شريف

عن ابن عباس - رضى الله عنهما أن رسول الله - ﷺ - قال : « **البيت قبلة لأهل المسجد ، والمسجد قبلة لأهل الحرم ، والحرم قبلة لأهل الأرض فى مشارقها ومغاربها من أمتى** » . - تفسير القرطبى -

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ **وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [البقرة : ١٤٥]

تشير الآية إلى أن أهل الكتاب يعرفون الحق ولا يتبعونه ، ولئن ووجهوا بكل الآيات والحجج والبراهين لرفضوا اتباع القبلة التى أمر الله نبيه - ﷺ - بالاتجاه إليها . والنبى - ﷺ - لا يتبع قبلة أهل الكتاب لأنها تخالف الحق الذى جاء من

عند الله .. ولئن اتبع أهواءهم لكان من الظالمين .

ما أنت بتابع قبلتهم : هذا خبر يتضمن معنى الأمر ، أى لا تتبع قبلتهم واتبع القبلة التى أمرك الله بها .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة : ١٤٩ ـ ١٥٠]

* * *



الأمر بإقامة الصلاة

* فى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة : ٣]

إقامة الصلاة تعنى أداءها بأركانها وسننها وهيآتها في أوقاتها ، يقال : قام الشيء إذا دام وثبت ، من قولك قام الحق إذا ظهر وثبت .

وإقامتها أيضا إدامتها من أقام الشيء إذا أدامه ، وإلى هذا المعنى أشار عمر ـ رضى الله عنه ـ : من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [البقرة : ٤٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [البقرة : ٨٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ [المائدة : ٥٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الأنفال : ٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ [التوبة : ١٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٧١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [الرعد : ٢٢]

* وفي قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم : ٣٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ [إبراهيم : ٤٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الحج : ٣٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ

وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [الحج : ٤١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الحج : ٧٨]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النور : ٥٦]

* وفي قوله تعالى : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ [النور : ٣٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [النمل : ٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الروم : ٣١]

* وفي قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [لقمان : ٤]

* وفي قوله تعالى : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان : ١٧]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا

يُحمَلْ منهُ شيءٌ ولو كانَ ذا قُربَىٰ إنَّما تُنذرُ الَّذين يَخشَوْنَ ربَّهُم بالْغَيْبِ وأقَامُوا الصَّلاةَ ومَن تَزَكَّىٰ فإنَّما يَتزكَّىٰ لِنفسِهِ وإلَى اللهِ الْمَصيرُ ﴾ [فاطر : ١٨]

* وفى قوله تعالى : ﴿ إنَّ الَّذينَ يَتلُونَ كِتابَ اللهِ وأقَامُوا الصَّلاةَ وأنفقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجارَةً لَّن تَبُورَ ﴾ [فاطر : ٢٩]

* وفى قوله تعالى : ﴿ والَّذينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وأقَامُوا الصَّلاةَ وأمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الشورى : ٣٨]

* وفى قوله تعالى : ﴿ ... فَأقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكَاةَ وأطِيعُوا اللهَ ورَسُولَهُ ... ﴾ [المجادلة : ١٣]

* وفى قوله تعالى : ﴿ ... وأقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكَاةَ وأقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا... ﴾ [المزمل : ٢٠]

* وفى قوله تعالى : ﴿ ومَا أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ويُقِيمُوا الصَّلاةَ ويُؤْتُوا الزَّكَاةَ وذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة : ٥]

تعليق على معنى إقامة الصلاة

جاء فى غرائب القرآن للنيسابورى :

معنى إقامة الصلاة أحد ثلاثة أشياء : إما تعديل أركانها وحفظها من أن يقع فيها زيغ فى فرائضها وسننها وآدابها ، من أقام العود إذا قومه .

وإما الدوام عليها والمحافظة « **والذين على صلاتهم دائمون** » « **والذين هم على صلواتهم يحافظون** » .

من قامت السوق إذا نفقت .

وإما التجلد والتشمر لادائها ، والا يكون في مؤديها فتور عنها ولا توان ، من قولهم قام في الأمر ، خلاف تقاعد عنه ، فعبر عن الأداء بالإقامة لأن القيام بعض أركانها . غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري جـ١ صـ٢٦٨ .

* * *

منكر الصلاة كافر

* في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ ﴾ [المائدة : ٥٨]

كان اليهود إذا سمعوا نداء المؤذن تضاحكوا وسخروا فيما بينهم ، وهم أهل كفر وشقاق ، وتشير الآية إلى أن من يفعل ذلك لا يعقل ، والمؤمنون هم العقلاء .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الروم : ٣١]

تنهى الآية على الإشراك ومن علامته إنكار الصلاة وعدم إقامتها .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ (١٠) أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ (١٢) أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٣) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ (١٤) كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلاَّ لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾

[العلق : ٩ - ١٩]

نزلت هذه الآيات في حق أبي جهل - لعنه الله - نهى النبي - ﷺ - عن الصلاة وهدده إن رآه يصلي ليطأنّ عنقه . وقد نصر الله تعالى نبيه - ﷺ - وخذل عدوه . فقد أخبر الرواة أنه حين رأى النبي - ﷺ - يصلي أقبل نحوه يحاول إنفاذ تهديده فرأى فحلا من الإبل يريد أن يبتلعه ، فولى أبو جهل منه مدبرا وهو خائف يرتعد .

وفي الآيات إشارة إلى أن منكر الصلاة كافر ، فإنه لا ينهى عن الصلاة إلا الذي لا يؤمن بالله وبما أنزله .

* * *

عقوبة تارك الصلاة

* في قوله تعالى : ﴿ **فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا** ﴾ [مريم : ٥٩]

من بعدهم : أي من بعد السلف الصالح الذين كانوا يتبعون آثار الأنبياء ويحافظون على تعاليمهم .

خلْف : بسكون اللام ، وهم أولاد السوء .

أضاعوا الصلاة : تكاسلوا عنها ، وأهملوها ، ولم يقيموها بأركانها المطلوبة .

حديث شريف

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : « **إن أول ما يحاسب به الناس يوم القيامة من أعمالهم الصلاة ، فيقول الله تبارك وتعالى لملائكته وهو أعلم : انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها ، فإن كانت كتبت له تامة ، وإن كان انتقص منها شيئا قال : انظروا هل لعبدي من تطوع ؟ فإن كان له تطوع قال : أكملوا لعبدي فريضته من تطوعه ثم تؤخذ الأعمال على ذلك** » - رواه الترمذي وأبو داود -

* وفى قوله تعالى : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴾ [المدثر : ٤٢ ـ ٤٤]

سقر : جهنم .

يسأل المؤمنون الكافرين قائلين : ما الذى أدخلكم النار ؟ يقولون : لأننا لم نكن نصلى ، ولم نكن نطعم المساكين والمحتاجين .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ (٣١) وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ (٣٣) أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٤) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٥) أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [القيامة : ٣١ ، ٣٦]

الآيات تتحدث عن أبى جهل لعنه الله ، الذى لم يصدق بالرسالة، ولم يصل وكان مكذبا بالنبى ـ ﷺ ـ ومعرضا عن دعوته ، وكان معجبا بنفسه يتبختر فى مشيته ، ولذلك هدده الله تعالى بقوله : أولى لك فأولى : ومعناه هلاك لك وويل لك .

سُدى : مهملا لا يُؤْمر ولا يُنهْى ..

والاستفهام فى الآية الأخيرة للتعجب ، ولإنكار جهله .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ [الماعون : ٤ ، ٥]

تتوعد الآيتان المصلين الذين يغفلون عن الصلاة ويتناسونها ولا يحافظون عليها بالويل والهلاك .

أنواع من الصلاة

صلاة الخوف

* في قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨]

تشير الآية إلى أن الخائف من عدو متربص أو وحش مفترس له أن يصلي - أي يؤميء بالصلاة وهو ماش أو يصلي يصلي على دابته التي يركبها ، مستقبلا القبلة أو غير مستقبل لها ، فإذا زال الخوف ، استأنف صلاته في أوقاتها كالعادة .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٠٢) فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ [النساء : ١٠٢ ، ١٠٣]

هاتان الآيتان تشيران إلى أحكام صلاة الخوف وتتلخص فيما يأتي :

* هذه الصلاة شرعت لتؤدى في مناسبة خاصة وظروف ملجئة ، هي ظروف الحرب ، حيث يواجه المسلمون عدوهم ويخشون أن ينصرفوا عنه إلى الصلاة فيتمكن منهم .

* وهي واجبة في الحرب وخوف الغرة من العدو.

* وكيفيتها : يجعل الإمام الناس طائفتين ، طائفة أمام العدو ، وطائفة يصلي بهم ركعة إذا كان مسافراً ، وركعتين إذا كان مقيما ، وكذل في المغرب .

وتنصرف الطائفة التي صلت لتقف أمام العدو وتخلفها الأخرى وراء الإمام ليصلي بهم بقية الصلاة ، ويسلم وحده ، وتذهب هذه الطائفة إلى وجه العدو لتأتي الطائفة الأولى ، فيقفون مكانهم ليتموا الصلاة بغير قراءة ، لأنهم لاحقون، ويتحرون أن يقفرا مقدار ما وقف الإمام فكأنهم خلفه ، ويسلمون ويذهبون .

وتأتي الطائفة الأخرى فيتمون صلاتهم بقراءة ، لأنهم مسبوقون ، ثم يسلمون. ولو أن الطائفة الثانية أتمت صلاتها مكانها بعد سلام الإمام جاز .

وهذا مذهب الاحناف ، وللمذاهب الأخرى آراء .. راجع الفقه الإسلامي على المذاهب الأربعة للمؤلفين جـ ٣ صـ١٢ .

* * *

صلاة القصر والمسافر

* في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾

[النساء : ١٠١]

ضربتم : سافرتم

تتضمن الآية حكم قصر الصلاة للمسافر ، وفي ذلك بيان عند أئمة الفقه نجمله فيما يأتي : -

* أسباب القصر في السفر دفع المشقة الناتجة عن السفر الطويل وما يترتب عليه من انشغال الذهن وتوتر النفس واضطراب الخاطر .

* لم يقيد الشرع السفر الذى يبيح القصر بوسيلة من وسائل الركوب ، ولكنه أطلق ذلك .

* تقصر الصلاة الرباعية فقط فتصبح ركعتين ، أما صلاة المغرب والصبح فلا قصر فيهما .

والأحناف يوجبون على المسافر القصر ، والمالكية يقولون : إنه سنة مؤكدة .

والحنابلة يجوزونه ويرون أنه أفضل من الإتمام ، والشافعية يقولون إن القصر رخصة ، يخير المسافر بين الإتمام وهو عزيمة ، وبين القصر وهو رخصة .

* ومسافة السفر الذى يبيح القصر عند الشافعية تقدر بمرحلتين ، والمرحلة عندهم ثمانية فراسخ والفرسخ ثلاثة أميال ، وكان يقدر قديما بأربعة آلاف ذراع ، فكان مسافة السفر ثمانية وأربعون ميلا . وتقدر بمسيرة يومين معتدلين . وهذا هو مذهب الحنابلة أيضا .

وقدر أبو حنيفة المسافة بالسير فقال : مقدار المسافة مسيرة ثلاثة أيام ولياليها بحيث يسير كل يوم من الصباح إلى الزوال .

وعند بعض الأحناف تقدر المسافة بأنها أربعة وعشرون فرسخا .

والمالكية يقولون : مسافة القصر ثمانية أميال .

* ويشترط لجواز القصر للمسافر أن يكون سفره لغرض صحيح سليم - دينى كالحج والعمرة وزيارة الأهل وصلة الأرحام ، أو دنيوى كالتجارة ، والخلاصة أن يكون فى غير معصية . - راجع فى ذلك الفقه الإسلامى على المذاهب الأربعة للمؤلفين جـ٢ صـ٥٩٥ .

* * *

صلاة قيام الليل

* فى قوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ

﴿ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود : ١١٤]

ذكر بعض العلماء أن الآية تشير إلى الصلوات الخمس المفروضة ، فطرفي النهار تعنى الصبح والظهر والعصر ، وزلفا من الليل تعنى المغرب والعشاء .

وذكر بعض العلماء أن زلفا من الليل : تعنى صلاة الليل بدون تحديد ـ ذكر ذلك الأخفش ـ فيما نقله القرطبى ـ .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٩]

تهجد به : تعبد به ـ أى بالقرآن .

والتهجد : ترك النوم للعبادة .

نافلة لك : كرامة لك ، وزيادة على الفرض .

مقاما محمودا : هو مقام الشفاعة الذى خص الله تعالى به نبيه ـ ﷺ ـ يوم القيامة .

حديث شريف

عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « **من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً ـ ﷺ ـ الوسيلة ، والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيامة** » . ـ رواه البخارى ـ

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴾ [ق : ٤٠]

التسبيح بالليل - يعنى ذكر الله فى الصلوات أثناء الليل .

قال بعض العلماء المقصود من التسبيح بالليل صلاة المغرب وصلاة العشاء .

وقيل : هو تسبيح الله تعالى فى الليل .

وقيل : هى صلاة الليل كله .

وقيل : إنها ركعتا الفجر .

وقيل : إنها صلاة العشاء الآخرة ..

حديث شريف

جاء فى الصحيح « **من تعارَّ من الليل فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، سبحان الله ، والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، ثم قال : اللهم اغفر لى وله أو دعا أستجيب ، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته** » .

رواه البخارى فى صحيحه عن عبادة بن الصامت جـ٢ صـ٦٨ .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ **كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾ [الذاريات : ١٧ ، ١٨]

ما يهجعون : ينامون ، وما زائدة مؤكدة .

الأسحار : جمع سَحَر ، وهو الوقت السابق على طلوع الفجر .

وخص الأسحار بالذكر لأنه وقت ترجى فيه الإجابة من الله تعالى .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ **وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ** ﴾ [الطور : ٤٩]

في الآية أمر للنبي ـ ﷺ ـ خاصة ولأمته عامة بتسبيح الليل .

والمقصود بإدبار النجوم غيابها ، ويكون ذلك عند طلوع الفجر ، والمقصود بذلك عند جمهور العلماء ركعتا الفجر ، واختار الطبرى أن المقصود به صلاة الصبح

حديث شريف

عن عائشة ـ رضى الله عنها قالت : لم يكن النبى ـ ﷺ ـ على شيء من النوافل أشد معاهدة منه على ركعتين قبل الصبح .

وعنها عن النبى ـ ﷺ ـ قال : « **ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها** » . رواه الإمام مسلم في صحيحه .

* وفي قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً** ﴾ [المزمل : ١ ـ ٦]

المزمل : المتلفف بالثياب .

رتل القرآن ترتيلا : اقرأه بتأن وتدبر .

قولا ثقيلا : نوحى إليك القرآن ذا الأحكام القوية والتكاليف الشديدة .

ناشئة الليل : ساعاته وأوقاته ، وقيل قيام الليل .

قال بعض العلماء : المقصود بناشئة الليل هى الصلاة بين المغرب والعشاء .

وقال بعضهم : المقصود بها القيام بالليل بعد النوم ، وقيل : القيام من آخر الليل .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ... ﴾ [المزمل : ٢٠]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً ﴾ [الإنسان : ٢٦]

* * *

الصلاة على النبي - ﷺ -

* في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦]

جاء في فضل الصلاة على رسول الله - ﷺ - .

قال - ﷺ - : « **من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا** » رواه مسلم وأحمد عن أبي هريرة .

وعن أبي الدرداء - رضى الله عنه - عن النبي - ﷺ - : « **من صلى عليّ حين يصبح عشرا ، وحين يمسى عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة** » رواه الطبراني في الكبير ، ورواه أحمد في مسنده .

قال سهل بن عبد الله التسترى : الصلاة على النبي - ﷺ - أفضل العبادات ، لأن الله تعالى تولاها هو وملائكته ، ثم أمر بها المؤمنين ، وسائر العبادات كذلك .

وقال أبو سليمان الداراني : من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي - ﷺ - ثم يسأل الله حاجته ، ثم يختم بالصلاة على النبي - ﷺ - ، فإن الله يقبل الصلاتين وهو أكرم أن يرد ما بينهما .

الأمر بالصلاة للأمم السابقة

* في قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾
[البقرة : ٤٣]

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [البقرة : ٤٥]

الأمر في الآيتين موجه إلى بني إسرائيل ، وينسحب بعد ذلك إلى أمة محمد - ﷺ - ، فإنه لم ينسخ من الشرائع الماضية إلا ما تنافى مع مضمون شريعة الإسلام .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [البقرة : ٨٣]

أخذ الميثاق على بني إسرائيل في ضوء هذه الآية يتضمن إقامة الصلاة ، ومؤدى ذلك أنه كانت لهم صلاة يؤدونها .. وقد تختلف في تفاصيلها مع الصلاة التي فرضت على المسلمين .

* وفي قوله تعالى : ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [آل عمران : ٣٩]

الضمير في نادته يعود على زكريا عليه السلام . وتشير الآية إلى أن هناك صلاة كان يؤديها .

* وفى قوله تعالى : ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٣]

الأمر موجه إلى مريم بالخشوع لله وبالسجود والركوع وذلك من أعمال الصلاة.

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ [آل عمران : ١١٣]

قائمة : مؤمنة .

يسجدون : يصلون . عبر عن الصلاة بالسجود .

* * *

* وفى قوله تعالى : ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم : ٣٧]

* وفى قوله تعالى : ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ [إبراهيم : ٤٠]

الحديث فى الآيتين عن إبراهيم عليه السلام .. ويطلب من الله تعالى أن يجعله مقيم الصلاة هو وذريته .. وإبراهيم عليه السلام هو أبو الأنبياء عليهم السلام .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [مريم : ٣١]

الآية وردت على لسان عيسى عليه السلام .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴾ [مريم : ٥٤، ٥٥]

* وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه : ١٤]

الخطاب في الآية موجه إلى موسى عليه السلام .

* * *

* وفي قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٣]

جعلناهم : الضمير (هم) يعود إلى سلسلة الأنبياء السابقين موسى وهارون ، ومن قبلهما إبراهيم وإسحاق ويعقوب ..

* * *

* في قوله تعالى : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ [لقمان : ١٧]

الآية وردت على لسان لقمان يوصي ولده ، وكان لقمان معاصرا لداود عليه السلام .

* وفى قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة : ٥]

وما أمروا : الضمير يعود على أهل الكتاب والمشركين .. وقد أمر كلاهما بالصلاة والزكاة بعد عبادة الله وحده .. لأن هذا الدين هو الدين القيم الذى جاء به الأنبياء جميعا من لدن آدم عليه السلام حتى سيدنا محمد ـ ﷺ ـ .. فإنه لا دين إلا بصلاة ..

متى فرضت الصلاة على أمة محمد ـ ﷺ ـ ؟

فرضت الصلاة مع البعثة ، وكانت ركعتين في الغداة وركعتين في العشى ، ولكنها لم تفرض بصورتها الراهنة إلا ليلة الإسراء والمعراج .

* * *



فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة

يطلب من مكتبات الأهرام
وسائر مكتبات الجمهورية

رقم الإيداع بدار الكتب
٩٩/٤١٩٤